يوسف بن أمحمد الباروني

جزيرة جربة في موكب التاريخ

تحقيق وإعداد :سعيد بن يوسف الباروني

الإهـــداء

إليك يا والدي العزيز يوسف بن امحمد الباروني أهدي هذا الكتاب الذي هو كتابك.

- إلى روحك الطاهرة يا أبي بعد أن عشت متفانيا في إعداد هذا البحث الذي ركزت أرضيته وجمعت شتاته. أسأل الله أن يكتبه لك صدقة جارية ويمن عليك برحمته الواسعة ويسكنك فراديس جنانه بما ساهمت به في إحياء التراث الجربي.

- إلى روحك الزكية و إلى كل من يقدّر جهودك، أهدي إخلاصي وأمانتي في جمع وترتيب ما أمكن جمعه مما كتبته. أرجو أن أكون قد حقّقت أمنيتك الغالية و أن تهبّ نسمات الرحمة على قبرك الطّاهر الزّكيّ. رحمك الله.

ابنك
سعيـــــــد
جـربـــة فـــي 26شوال 1418
23 فيفري 1998

بسـم الله الرحمان الرحيم

تقديم الكتاب

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

يسرني أيها القارئ الكريم أن أقدم إليك كتاب " جزيرة جربة في موكب التاريخ" للوالد يوسف بن أمحمد الباروني رحمه الله.

أقدمت على هذا العمل رغبة في نشر ما جمعه والدي رحمه الله وسهر من أجله الليالي منكبا على مكتبه باحثا بين رفوف مكتبة الأجداد ومتنقلا بين مواطن الإباضية بكل من ليبيا والجزائر وسلطنة عمان، وتنفيذا لوصيته الغالية التي أوصاني بها وهو يحتضر بأنه ترك كل ما كتبه أمانة في عنقي حتى أتولى إخراجه من حيز المخطوطات إلى نور المطبوعات.

شعرت من واجبي أن أتمم ما بدأه والدي وأحقق أمنيته في طبع ما كتبه على مرحلتين:

1-) الحلقة الأولى: الحياة السياسية والاجتماعية بجربة .

استعرض فيه المؤلف تاريخ جزيرة جربة من العهد الفينيقي باختصار، مركّزا على العهد الإسلامي خاصة إلى عهد الدولة الحسينية وانتصاب الحماية الفرنسية على البلاد التونسية. ذكر الأحداث التي هزت شمال إفريقيا ولحقت أهل جزيرة جربة نتيجة الصراع الدائر بحوض البحر الأبيض المتوسط

2-) الحلقة الثانية: الحياة الثقافية بجربة.

استعرض المؤلف في هذه الحلقة الحياة الثقافية بالجزيرة وأبرز فيها مساهمة أبناء جربة في البحث العلمي وتأثرهم بالثقافة العربية الإسلامية، فترجم لمجموعة من علماء الجزيرة وعرّف ببعض المدارس العلمية التي انتشرت بعديد المساجد، انطلاقا من أواخر القرن الثالث إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري.

اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسختين الأولى خطية بخط المؤلف رحمه الله والثانية مرقونة. حاولت أن أقابل بين النسختين ما استطعت وأثبت النص صحيحا في الصياغة وسلامة المعنى ومراجعة تواريخ الأحداث بالرجوع إلى المصادر التي اعتمدها في بحثه حتى يخرج الكتاب سليما من ضعف الأسلوب أو خلل في التعبير. فان قصر قلمي على بلوغ مرادي فإني أعتذر للقارئ الكريم وأستغفر الله من كل خطأ وزلل وأعتقد أن ما قدمته سيكون خطوة أولى تتبعها خطوات يقوم بها رجال الفكر والثقافة المولعين بالبحث لإحياء تراثنا وإبراز معالم شخصيتنا وربط حاضرنا المشرق بماضينا المجيد، ولعلها تكون مساهمة متواضعة منه في إثراء نهضتنا الثقافية ودفع مسيرتها إلى الأمام.

و لا أنسى أن أقدم الشكر والثناء للأستاذ الدكتور فرحات الجعبيري الذي لم يبخل بأي جهد، فأسهم في إخراج الكتاب بما قدمه لي من توجيهات وخدمات كانت بمثابة المشعل الهادي. جزاه الله كل خير .

جربة في 26 شوال1418

الموافق ل 23 فيفري1998

سعيد بن يوسف الباروني

بسم الله الرحمان الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وأصحابه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين

مقدمـــة الكتـــاب

الحمد لله الذي هداني الصراط المستقيم وألهمني التوفيق لخدمة العلم ومنه نستمد العون لإنجاز هذا العمل المتواضع ولا يفوتني أن أذكر أنّي تكبدت أتعابا شاقة في جمع المادة التاريخية من مصادر متنوعة ومتعددة قديمة وحديثة ووثائق تاريخية متفرقة وكان الهدف من هذا العمل إحياء لتراثنا الذي أخذ في الضياع والنسيان حرصت على جمعه وتسجيله حتى تتعرف الأجيال الحاضرة على تاريخ أجدادها في الماضي البعيد والقريب لأن تاريخ الجزيرة لم يكن مدونا في كتاب مستقل إنما هو موجود في عديد المصادر التاريخية مخطوطة ومطبوعة فجمعت حولي عدة كتب ووثائق ورسائل استخرجت منها مادة بحثي وسافرت إلى طرابلس وتونس والجزائر للاتصال بالمكتبات الخاصة والعامة واستعنت برجال العلم الذين لم يبخلوا علي بمصادر تاريخية وتجولت داخل الجزيرة أبحث عن المكتبات الخاصة للإطلاع على بعض الوثائق وهناك بعض العائلات بخلت علي بتراث أجدادها ولعلي أجد من شبابها المثقف من يفتح لي صدره ويطلعني على ما عندهم من تراث علمي في المستقبل كما رجعت إلى مكتبة أجدادي أستخرج منها حياة الأبطال وعظماء الرجال فوجدت فيها الخير الكثير مما دونه الجدود عليهم رحمة الله. فهذه الجزيرة مرت بأحداث تاريخية هامة أثرت في نفسية أبنائها لأن جربة من أقدم الأماكن اتصالا بالمدنيات الشرقية والغربية فموقعها بالحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط جعلها تتأثر بأغلب الحضارات التي عرفتها المنطقة.

فالجانب الأول من الكتاب بحثت فيه عن تاريخ سكان الجزيرة عبر العصور مختصرا على أبرز الأحداث التاريخية التي سجلها التاريخ البشري واهتممت بالتاريخ الإسلامي خاصة وعلاقة جربة بالدول المجاورة وارتباطها بها سياسيا واقتصاديا وذكرت أهم الأحداث السياسية التي حدثت في أرض هذه الجزيرة وشرحت موقف سكانها وأبطالها وعلمائها من هذه الأحداث التي هزت شمال إفريقيا وأهمها تحرك الأساطيل المسيحية التي أرادت أن تبسط نفوذها على كامل الثغور الإسلامية لتسيطر على التجارة البحرية بين الشرق والغرب.

أما الجانب الثاني من الكتاب فتحدثت فيه عن الحياة الثقافية بجربة ودور المساجد في نشر الثقافة الإسلامية وترجمت لمجموعة من علماء الجزيرة وعرفت بتراثهم المخطوط والمطبوع قديما وحديثا. وإني لا أدعي أني جمعت جميع التراث الثقافي بالجزيرة إذ مازالت الدراسة متواصلة في المستقبل في الملحق الثالث إن شاء الله لأني أعترف بتقصيري ومازلت لم أتصل بكثير من العائلات العلمية وخاصة في القرون المتأخرة نرجو من شبابنا المثقف في المستقبل أن يتفضل علينا بتراث أجداده لأن التعريف به أمانة محمولة على عنق كل مثقف يحب الخير للبلاد. فلنتعاون جميعا على إحياء تراثنا الذي صار إلى الضياع أقرب وليعذرني القارئ عن هذا التقصير وهو غير متعمد لأني طرقت الأبواب فلم أجد الجواب.

فتاريخ الجزيرة حلقة من حلقات التاريخ الإسلامي عبر العصور وتاريخ الجهاد العلمي والسياسي والديني عبر تاريخها الطويل ومازالت جربة تنجب

الأبطال ورجال العلم ورجال السياسة الذين خدموا البلاد والعباد وخلصوا الأوطان من المستعمر ثقافيا واقتصاديا. ومازال بها علماء ينيرون السبيل أمام الأجيال ويرشدون الأمة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بلسانهم وأقلامهم حتى يقتدي شبابنا بسيرة سلفنا الصالح ويعمل العاملون على رفع راية الإسلام في ربوع هذه الجزيرة وأرجو ممن يطلع على هذا الكتاب أن يتفضل علي بملاحظات وأن يرشدني إلى أخطائي وزلاتي ولا أشك في كثرتها. أدعو الله أن يوفقني لما يحبه ويرضاه وأن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم والحمد لله رب العالمين.

حرر في جزيرة جربة في 20 جمادى الأول 1408 الموافق ل 10 جانفي 1988

يوسف بن أمحمد بن يوسف بن علي الباروني

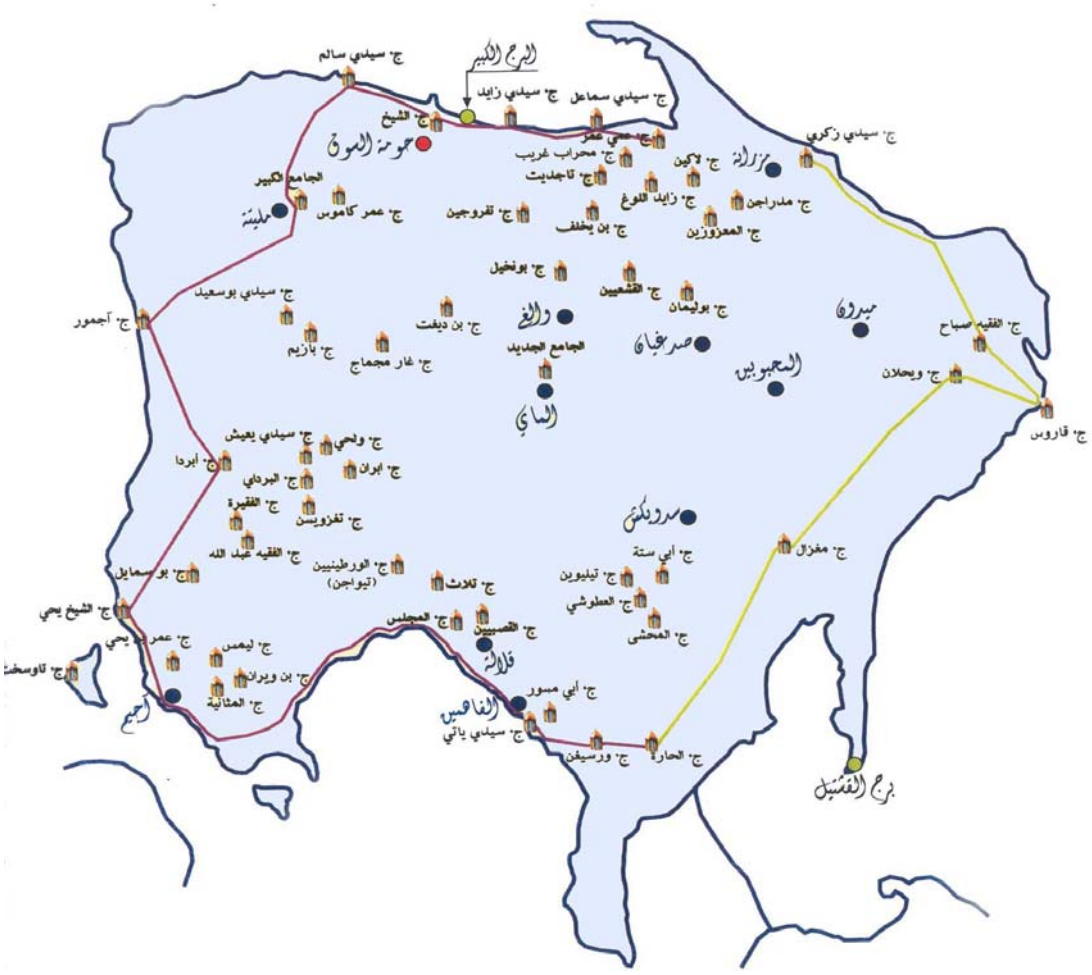

خريطة جزيرة جربة

الحلقة الأولى

تمهيـــــد

إن دراسة التاريخ علم قائم بذاته يبحث عن ماضي الشعوب قديما وحديثا ويعرفنا على حضارات الأمم التي عاشت على أرض هذه الجزيرة فيطلعنا على عاداتها وتقاليدها وتطور حياتها الاجتماعية والسياسية والدينية وندرك سر نجاحها في حياتها فنتعظ بالماضي.

فالتاريخ مرآة الشعوب تدرك به الأجيال الجهود الفكرية والعلمية التي بذلها الأولون.

هذه الجزيرة تمتاز بمظاهر طبيعية تميزها عن بقية الجهات نظرا لوضعها الاجتماعي والحضاري لأن أكثر سكانها شعب متحضر له أصالة عريقة من أقدم العصور فلها خاصيات تجعل من أهلها أمة قائمة بذاتها فتجد الترابط بين سكانها قويا لأن مصالحهم واحدة تجعلهم يشعرون أن في وحدتهم بقاءهم وصمودهم أمام الأحداث التاريخية التي مرت بالجزيرة.

فجزيرة جربة من أكبر الجزر التونسية الآهلة بالسكان تجد في أفراد شعبها روح التعاون والاتحاد والنشاط.

وأنا لست مؤرخا ولكني أحببت دراسة التاريخ منذ كنت طالبا في جامع الزيتونية لذا رأيت من المفيد جمع تاريخ الجزيرة من بطون الكتب القديمة وفي دراسة النصوص والوثائق التي جمعتها من مكتبتي وغيرها من المكتبات الخاصة والعامة فسجلتها وحررتها لعل الدارس لتاريخ جربة يجد فيها ضالته ويتعرف على حقيقة المجتمع الجربي وسعيت في جمع المعلومات ورتبتها حسب جهودي المتواضعة.

وقسمت بحثي إلى عنصرين، العنصر الأول التاريخ السياسي والعنصر الثاني التاريخ الثقافي.

فجزيرة جربة بلاد الأحلام كما يصفها الرومان وجزيرة الجمال من سكنها لذّ له العيش فيها وترك أرض أجداده وموطنه الأصلي وهي حقيقة جلبت إليها عشاق الطبيعة فهي بستان جميل وأرض كريمة لمن عرف حقها وعمل على إحيائها تدر على أهلها خيرات الدنيا ونعيم الآخرة لأنها تريح الروح والبدن فيجد من يطلب الدنيا ضالته ومن يطلب راحة النفس ورغبة في العبادة الروحية هوايته.

هذه الجزيرة الواقعة في الجنوب التونسي الرابضة في خليج قابس تشرف على البحر الأبيض المتوسط الذي نشأت على سواحله جميع الحضارات الفينيقية والفرعونية والرومانية والإسلامية فتأثر سكان هذه الجزيرة بجميع الحضارات لأنها كانت لها ارتباطات قديمة بعالم البحار وبها ميناء تجاري هام في حوض البحر الأبيض المتوسط وهمزة وصل بين إفريقيا السوداء وأوروبا البيضاء فشعبها ساهم في الحضارات البشرية وصارع الحياة لإثبات شخصيته تارة في كنف السلم وطورا في نطاق الثبات والصمود أمام كل غاز يريد استثمار خيراتها وامتلاك أرضها فإذا تتبعت أيها القارئ الكريم حياة الجزيرة عبر العصور القديمة والمتوسطة تؤمن أن شعبها الكريم يغار عليها ويدافع عنها ويصمد أمام كل مستبد أقدم عليها من الخارج.

هذه الجزيرة مرت بأحداث وبمحن قاست منها الويلات بسبب موقعها الجغرافي في حوض البحر الأبيض المتوسط مما جعلها عرضة لمطامع الظالمين وتزاحم الغاصبين.

فجربة كانت من أقدم الجهات اتصالا بالمدنيات الشرقية والغربية سكنها اللوبيون والفينيقيون والرومان والعرب والأسبان والأتراك، وتعاقبت هذه الدول على أرض هذه الجزيرة واحتلتها بالقوة فنشرت سلطتها على من جاورها من الأقطار واستهوت جربة دهرا طويلا مطامع المستعمرين إلى أن تخلصت من هذه الشعوب وعادت إلى حضيرة تونس تظفر باستقلالها وتنعم بحريتها.

السكـــان الأصليون بجربة

المعروف أن الأمازيغ هم السكان الأصليون لشمال إفريقيا وهم أول من سكن بواديها وحواضرها وهضابها يشتغلون بالفلاحة ولغتهم الأمازيغية يكتبون بها وينظمون بها الشعر والعلوم.

إن أول قبيلة بربرية عرفت في جزيرة جربة هي قبيلة " أفار " ولا يزال هذا الاسم معروفا في الجزيرة إلى اليوم.

ويقول حسن حسني عبد الوهاب « أن الرومان أخذوا كلمة أفريكا التي أطلقوها على إفريقيا من كلمة أفار البربرية، ثم ظهرت بالجزيرة قبائل جديدة تنسب إلى قبيلة لماية وزواغة وهوارة ولواتة وكتامة وقد تواردت فصائل عديدة من هذه القبائل على جربة في القرن الثاني للهجرة في عهد إمامة أبي الخطاب بطرابلس استوطنتها هذه القبائل نظرا لجودة تربتها واعتدال مناخها وأمنها لحماية البحر لها فأقبلوا على خدمة الأرض وزراعتها بأنواع الأشجار المثمرة واشتغلوا بتربية الأغنام وصيد الأسماك » .

ولم يهتم البربر ببناء المدن لأن حياتهم كانت بسيطة يسكنون الخيام وأكواخا من شجر النخيل وبعض البنايات البسيطة مبنية بالكلس والطين والحجارة لذلك لم نعثر على أثار تذكر في جربة لمدن بربرية وإنما الموجود قرى صغيرة ومنازل منتشرة في كامل الجزيرة.

وقد ورد اسم جربة في القاموس المحيط وذكرها قدماء اليونان في رحلاتهم وأساطيرهم و كانوا يسمونها جزيرة "آكلي اللوتوفاج" وقد تعرض العديد من المؤرخين وقدماء الرحالة من العرب وغيرهم فوصفوا موقعها ومناخها وتسمية مدنها وصناعتها ونشاط اقتصادها وعادتها وتقاليد أهلها ولعل أوفى ما وصلنا عنها وصف ابن خلدون الذي يقول: "سميت جربة على اسم فرقة من قبائل لماية البربرية وأهلها من قبيلة كتامة ومن بطونها قبيلة سدويكش وصدغيان وسكانها قبائل من نفزة وهوارة"، أما ما ذهب إليه الأستاذ محمد المرزوقي من أن سبب تسميتها بجربة: بكسر الجيم راجع إلى قبيلة في الجاهلية سكانها من اليونان كانت تعبد صنما من الذهب بالكنيسة التي بقرب القنطرة وهي الآن خراب فلما جاءت الفتوحات الإسلامية بشمال إفريقيا رفع اليونانيون هذا الصنم وحملوه إلى أسبانيا.

جـــربـــــة فـــي العهـــد الفينيقي

يقول أمين سلامة في كتابه معجم الأعلام ([1])في أساطير اليونان والرومان

يحكى لنا أسطورة أوليس ورحلته البحرية: "لقد هبت رياح شمالية عاتية حملتنا إلى هذه الجزيرة بعد تسعة أيام وفي اليوم العاشر حطت بنا السفينة على شاطئ الجزيرة ونحن في أشد الحاجة إلى الماء والطعام لنتغذى به

---

[1]- أمين سلامة, كتاب معجم الأعلام, ص: 55.

فلم نجد سوى زهور تسمى " النبق " فشربت الماء صحبة رجالي وأكلت النبق ثم أرسلت ثلاثة من رجالي لمعرفة حياة هذه الجزيرة الساحرة التي يسكنها شعب أمين هادئ. ويقول لقد استقبلنا سكان الجزيرة بكل حفاوة، ويضيف قائلا لما أكلت من هذه الزهور الحلوة شعرت بجاذبية أنستني أهلي وذريتي فرفضت العودة إلى مسقط رأسي وفضلت البقاء في هذه الأرض الطيبة الكريمة.

ويصف أرسطو جربة فيقول " جربة بلد الهواء النقي والنسيم اللطيف والشمس العذبة صافية الأديم متلألئة في بحر تتموج مياهه اللازوردية على رمال الشاطئ الذهبية " .

ويقول المؤرخون أول من احتل جزيرة جربة هم سكان جزر بحر " ايجي " مكثوا فيها ما يزيد عن ثلاثة آلاف سنة، واستمر احتلالها إلى سنة 1600 ق م وأدخلوا خلالها غراسة أشجار الزيتون وصناعة الفخار ثم احتلها اليونان في القرن الثالث عشر قبل المسيح ونزلوا بسفنهم أرض هذه الجزيرة واتصلوا بسكانها تجاريا وأطلقوا على هذه الأرض اسم جزيرة " آكلي اللوتس " ثم نزل بها الفينيقيون الذين قدموا من مدينة صور وصيدا من أرض لبنان في القرن العاشر(ق.م) وأسسوا بها مصارف ومراكز ومواني تجارية لترويج بضاعتهم فكانوا يتبادلون مع السكان مختلف السلع التي تحملها سفنهم بين سواحل قرطاج وليبيا واهتم الفينيقيون بخدمة الأرض وغراسة الأشجار وزراعة الحبوب وتربية المواشي وفي القرن الثاني قبل المسيح احتلها الرومان فأخذوا حضارة الفينيقيين.

جـــربـــة فـــي العهـــد الـرومـــاني

لما تنبه الرومان إلى أهمية جربة مدة احتلالهم لإفريقية وقضائهم على دولة قرطاج سنة 146 (ق.م) نزلت بها أساطيل رومانية وأدخلوا فيها حضارتهم فأنشأوا فيها ضيعات فلاحيه ومراسي تجارية ومدنا ساحلية ومدنا داخلية.

لقد ازدهرت جربة في العهد الروماني ازدهارا كبيرا لا تزال بقايا هذه الآثار العمرانية دالة على ذلك فاعتنى الرومان بالفلاحة وغراسة أشجار الزيتون والتين والكروم كما اهتموا بصناعة الفخار بجهة قلالة وصناعة الصوف وأسسوا بها المواني التجارية مثل مرسى (تبازة) غربي قرية قلالة وبنوا بها عدة مدن ما تزال آثارها شاهدة على ذلك وأهم مدن جربة القديمة المدينة التي تقع على ربوة حومة بني ديغت قرب جامع المدينة من جهة الشمال بها آثار داموس مدخله في ساحة المسجد في الركن الشمالي الشرقي من باب المسجد عرضه متران وقد سد بابه عندما وقع إصلاح المسجد خشية سقوط الأطفال فيه يتجه الداموس من الجنوب إلى الشمال طوله حسب الآثار الدالة عليه مائتا متر وقد وجدت آثار فرن أو حمام مبني بالآجر أما حصنه فلم يبق منه شئ يذكر.

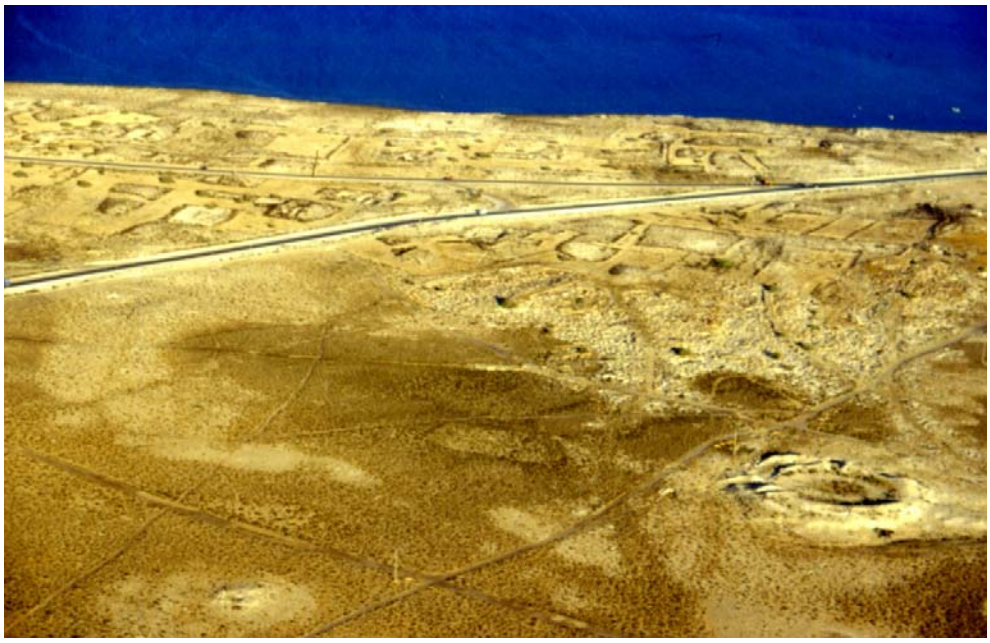

أثار مدينة مينانكس

أما مدينة "ميناكس" فتقع على الساحل الجنوبي شرقي القنطرة توجد بها أثار قصور قديمة وبيوت تحت الأرض وأحواض مائية وحمامات وبها فساقي طول هذه المدينة من الشرق إلى جهة الغرب نحو كيلو متر ونصف تقريبا وعندما احتلت فرنسا جربة بنت بها سوقا صغيرا وأجبرت تجار قرية سدويكش على أن ينقلوا تجارتهم إليها فرفضوا هذا الطلب لبعدها عن العمران البشري فلم يكتب لها الدوام.

وأخيرا هدمت مصلحة الأشغال العمومية بجربة الواجهة الأمامية لمدينة ميناكس من جهة الجنوب عند توسيع الطريق سنة 1400 هـ 1980م فبقي بها سبعة عشر دكانا، ومسكن به ثمانية بيوت مازالت صالحة للسكنى، كما توجد مقابر رومانية بجانب الطريق الذي يربط القنطرة بقلالة منحوتة تحت الأرض، وهذا المكان سمي « هنشير بن مرداس »

أما دار هنشير الغولة فيقع في جنوب الجزيرة من حومة بني معقل شكله مربع مبني بالحجارة الكبيرة أما حصن غردابة فيقع في واحة نخيل بغابة بني معقل مربع الشكل يبعد عن البحر مسافة 2 كلم، أراضي هذه الجهة صالحة للفلاحة وزراعة الحبوب والأشجار المثمرة.

أما مدينة السوق القبلي فتقع شرقي جنوب حصن غردابة بها آثار حصون وبها قبور منحوتة في الحجارة يحدها جنوبا سبخة برج القشتيل وشمالا حومة بني معقل وبها آثار ميناء على ساحل البحر وآثار مسجد سمي مسجد القمير الذي تسرب إليه الخراب ويبدو أن هناك آثار مدينة إسلامية انقرضت فتحول سكانها إلى داخل الجزيرة بسبب الغارات الصليبية التي تعاقبت على سكان هذه الجهة الذين وقع أسرهم وبيعهم في أسواق إيطاليا وصقلية.

أما مدينة"تيبازا أو تيفاشا" فتقع على ربوة مرمش غربي حومة غندري اندثرت آثارها ولم يبق إلا بقايا مسكن مربع به أقواس والراجح أنه بني من جديد.

أما مدينة "بريجو أو بورقو" فتقع في حومة خزرون شمال طريق ميدون الجديدة في سهل ممتد به أشجار الزيتون وحولها أراض صالحة للفلاحة وبقي منها قبر مبني من الحجارة المنحوتة يرتفع على الأرض أكثر

من ثلاثة أمتار مستطيل الشكل في داخله آثار مقبرة وبه نفق يفتح من جهة الجنوب طول هذه المدينة كيلو متر تقريبا من الشرق إلى جهة الغرب بها آثار نفق تحت الأرض يتجه إلى الجنوب حسب الآثار الدالة عليه بجانب الطريق المعبد.

أثار بورقو

وفي القرن الثالث ميلادي شيد الرومان عند برج القنطرة طريقا بريا مبنيا بالحجارة المنحوتة يشق بحيرة سدويكش ويبلغ طوله سبعة كيلو متر فكان المسافر يستطيع أن يسلكه راجلا، ويتوسط القنطرة حصن بني لحراسة الجزيرة به جسر متحرك يرفع بالسلاسل عند الحاجة فيقطع الطريق، وينزلونه حين يريدون المرور عليه. ([2])

جـــربـــة فـــي عهـــد الـونـــدال والبيزنطيين

تشير دائرة المعارف الإسلامية أن الوندال قد ورثوا الرومان في جربة عند احتلالهم إفريقيا ثم قدم البيزنطيون سنة 534 م إلى 642 م فاحتلوا تراث الرومان واهتموا بالعمران من جديد على غرار من سبقهم. لا نعرف شيئا عن حياتهم في جربة إلا ما نعرفه عن حياتهم العامة في كامل الشمال الإفريقي من ميلهم إلى إنشاء المدن والهياكل والحصون ومازالت الحفريات لم تعتن لحد الآن بالبحث عن العمران بجربة في العهد البيزنطي ولا نشك في أن الجزيرة كانت تعتمد أثناء هذه العصور على الزراعة والتجارة والصناعة وهذه هي العناصر الثلاثة التي تستمد منها الجزيرة حياتها إلى اليوم بالإضافة إلى الصيد البحري الذي كان يعيش منه عدد كبير من سكان جربة.

---

[2]) مؤنس الأحبة في أخبار جربة ص 35 - دائرة المعارف الإسلامية فصل جربة ص 172 جربة, أكبر جزيرة على الساحل الشرقي ومساحتها 514 كلم مربع ويبلغ عمق البحر ما بين 15 م و40 م هذه الجزيرة يفصلها عن البر بحر بوغرارة ومضيق القنطرة ومساحة بحر بوغرارة 500 كلم مربع وفي البحر منخفض قرب سدويكش 51 متر

ونستطيع أن نقول إن الزراعة وما تبعها من تربية الحيوانات دخلت الجزيرة مع دخول السكان الأصليين وإن التجارة بدأت حياتها مع اليونان والفينيقيين والرومان والبيزنطيين وقد عثر في مدينة " ميناكس " على آثار تدل على استعمالهم للألوان والأصباغ في الصناعة([3])

سبـــب نـــزول اليهـــود إلـــى جـــربـــة

يتحدث المؤرخون عن أرض فلسطين ([4]) قائلين إنها أرض الميعاد، أرض مقدسة غادرها بنو إسرائيل تحت ضغط ظروف تاريخية قاسية تشتتوا في مختلف أصقاع المعمورة والذي جرني إلى الحديث عن اليهود وجود جالية يهودية استقرت بجزيرة جربة بعد خراب مدينة القدس، خرجت منها جموع غفيرة تشتتت في أصقاع الدنيا وخاصة في الدول العربية وفي إفريقيا الشمالية ولجأ الكثير من اليهود إلى جزيرة جربة حيث استقروا بحومة بني ديغت فشيدوا الحارة الصغيرة خلال 586 (ق م) وفي حدود سنة 500 (ق م) أسست بيعة اليهود المعروفة اليوم بالغريبة ([5]) ولما أفل نجم البابليين وتألق الإيرانيون (الفرس) أطلقوا سراح اليهود وسمحوا لهم بعد سبعين سنة من تشتيتهم الأول بالعودة إلى فلسطين وتأسيس دولة لهم فعاد يهود ليبيا وتونس والجزائر والمغرب إلى مدينة القدس باستثناء يهود جربة الذين وجدوا في جربة حياة هادئة مطمئنة فطاب لهم العيش فيها فخيروا البقاء بها. وفي سنة 70 بعد المسيح تحطمت القدس مرة ثانية بأمر "تيتوس" الروماني وأطرد جل سكان فلسطين من ديارهم وكانت الهجرة اليهودية الثانية إلى أقطار أوروبا والبلدان الإفريقية وقد مكنتهم الظروف من القيام بدعوة دينية خاصة في القرن الثاني بعد المسيح حيث اعتنقت الكاهنة دين اليهودية وبخروجهم هذا انمحى كل أثر لليهود بفلسطين للمرة الثالثة وبقي الهيكل خرابا وأصبحت فلسطين ولاية بيزنطة تأوي اليهود الذين اعتنقوا المسيحية وليس عددهم بضئيل وفي القرن السابع أشرق نور الإسلام ودخل فلسطين فاعتنق الكثير من سكانها الإسلام وبعد الفتح الإسلامي بني المسجد الأقصى ومسجد الصخرة, وقد شرف الله المسجد الأقصى بزيارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فصلى فيه ليلة الإسراء والمعراج: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير " (سورة الإسراء 1)

ومن أقدم العصور نزل اليهود إلى جربة على إثر غزو ملك بابل أرض فلسطين في القرن السادس قبل الميلاد فوجدوا في هذه الجزيرة الأمن والاطمئنان والسلام وأقاموا عبادتهم وأعيادهم في بيعتهم فلاقوا الحرية الدينية كما تمتعوا بحرية الشغل وحرية التجارة وتقاضوا لدى المحاكم التونسية التي حفظت لهم جميع حقوقهم المدنية وتمتعوا بالإعفاء من الجندية على أن يدفعوا الجزية على يد عامل الاستخلاص الذي تعينه الدولة التونسية من اليهود. أما أماكن سكناهم فمحصورة بالحارتين الكبيرة والصغيرة بمقتضى قانون.

---

[3]) دائرة المعارف مادة جربة ص 165

[4]) محمد فنطر: فلسطين عبر التاريخ طبع ونشر مجلة الشباب

[5]) الصادق المدفاوي, تاريخ القرون الأولى, ج 1, ص 56

معبد الغريبة بمنطقة الرياض(الحارة الصغيرة سابقا) بجزيرة جربة

ويجتمع يهود جربة في أعيادهم ببيعتهم "الغريبة" ([6]) التي يرجع تاريخ بنائها إلى 25 قرنا خلت توجد فيها نسخة من التوراة هي من أقدم النسخ في العالم([7]) يقصدها يهود إفريقيا وأوروبا في شهر ماي من كل سنة تعقد فيها الإحتفالات الدينية و المهرجانات السياسية ليهود البحر الأبيض المتوسط.

يتعاطى يهود جربة التجارة وعدة مهن حرة وخاصة صناعة الحلي والنجارة والحدادة والبناء، وفي القديم يتميز اليهود بلباس خاص حتى إن المعز بن باديس أمر طبيبه بوضع عمامة صفراء على رأسه أما نساؤهم فلم تخضعن لهذا التميز. وفي عهد الإمام المازري أصدر أمرا من الدولة بتمييز ملابس اليهود حتى يعرف المسلم من اليهودي ([8]) إن تعيين زي خاص لأهل الذمة ليس من أصول الدين لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يغير زي يهود المدينة المنورة ([9]).

أما حياتهم الدينية فيتجمع يهود الجزيرة حول بيعتهم "الغريبة" يقصدها الرجال صباحا لأداء صلاة الفجر وبعد الظهر ثم يعودون بعد الغروب يقضون صلاة عربيت أما الأعياد والمواسم منها السبت فهو يوم مقدس في الشريعة اليهودية ينقطع اليهود عن العمل فيه ويتفرغون إلى العبادة ولا توقد فيه نار. ويحتفلون بعيد رأس السنة العبرية ويستمر يومين الأول والثاني من شهر أكتوبر وأيضا يوم الغفران وهو يوم العاشر من نفس الشهر وهو يوم معظم عندهم يصومونه ويتعبدون فيه، وموسم الحج يقع عندهم في 18 أفريل ورأس السنة الدينية آخر شهر مارس وذكرى سقوط "أورشليم" وتخريب الهيكل الثاني يوم حزن وصوم. ويشرف على الاحتفالات لهذه الأعياد والمواسم رب الأسرة أو أحد الرابيين الذين يقومون بدور الفقيه والمعلم

---

[6]) شيدت الغريبة من جديد على أنقاض البيعة القديمة خلال سنة 1920 م

[7]) مطبعة الديوان القومي للسياحة والمياه المعدنية تحت عنوان جربة جرجيس تونس 1979

[8]) محمد الحبيب بن خوجة, يهود المغرب العربي, ص 27, مطبعة الحيلاوي سنة 1978

[9]) أحمد ابن أبي الضياف, إتحاف أهل الزمان, ج ص 259, المطبعة الرسمية الجمهورية التونسية 1969

والواعظ والحاكم والكاتب العدلي والمنتصب للشهادة والذبح عند القصابين ([10]).

أما الزواج عند اليهود ففرض حتمي كما ينص التلمود بشرط اتحاد الزوجين في الدين ولا يعقد الزواج عند اليهود في شهر يوليه وللرجل أن يتزوج أكثر من واحدة وتدفع المرأة المهر للرجل ويلتزم بإرجاعه كاملا إذا طلقها.

الفتـــح الإســـلامـي لجـــزيـــرة جـــربـــة

في عهد معاوية بن أبي سفيان خرجت الدعوة الإسلامية من الجزيرة العربية إلى القارة الإفريقية فاعتنى المسلمون الأوائل بنشر تعاليم الإسلام في مصر وبرقة وليبيا وتونس ثم جربة.

دخل الإسلام هذه الجزيرة سنة 47 هـ (667 م - 668 م) على يد الصحابي رويفع بن ثابت الأنصاري ([11]) ولم يذكر المؤرخون شيئا عن درجة المقاومة التي وجدها المسلمون من أهلها سوى أنها فتحت عنوة وأن رويفع جمع السبي والمغانم وقام في الناس خطيبا فقال: أيها الناس إني لا أقول لكم إلا ما سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر قام فينا خطيبا وقال: لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه ([12]) والذي نستنتجه أن أهل جربة تقبّلوا الإسلام لما رأوا فيه من سماحة وعدل ومساواة بين المتساكنين أفضلهم عند الله أتقاهم.

وبقيت جربة تابعة لولاة طرابلس بداية من الفتح ولم تكن تابعة لولاة القيروان لأنهم في شغل عنها بسبب الفتن والثورات الداخلية وبقيت في الجزيرة حامية إسلامية تحرس الجزيرة وتعلم الناس الدين الجديد. أما بعد الفتح الإسلامي وطيلة القرن الأول وثلث القرن الثاني للهجرة فأمر تسيير شؤون الجزيرة يكتنفه الغموض مدة نيف وتسعين سنة.

بـــدايـــة الخـــلافـــات السيـــاسيـــة بالمشـــرق العـــربـــي

يقول الدكتور عوض محمد خليفات ([13]) « كانت مشكلة الخلافة أول مسألة اشتد فيها الخلاف بين المسلمين بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام وخاصة أنه لم يرد في القرآن الكريم نص صريح يتم بموجبه اختيار رئيس الدولة كما أن الرسول عليه السلام لم يعين الشخص الذي سيتولى زعامة المسلمين بعده". وضعت وفاة الرسول الأمة الإسلامية أمام مشكلة خطيرة وهي مشكلة الخلافة وقيادة الأمة والإشراف على شؤونها الدينية والدنيوية، وإن الدين لابد له من يحميه ويعمل على نشره في مناطق جديدة لم تصل إليها الدعوة من قبل وأن الدين الإسلامي دين عالمي ليس مقصورا على حدود الجزيرة العربية ومن الناحية الدنياوية لابد للأمة من قائم يحافظ

---

[10])) الحبيب بن خوجة كتاب يهود المغرب العربي, مطبعة الحيلاوي, 1978, ص 79

[11])) رويفع الأنصاري توفي في بلدة البيضاء من أرض برقة كان أميرا على طرابلس من قبل مسلم بن مخلد أمير مصر وكان معه جمع من الصحابة منهم حنش بن عبد الله السباني الصنعاني وفضالة ابن عبيد الأنصاري الأوسي

[12])) البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ص 19 - التيجاني- الرحلة ص 124

[13]عوض خليفات, نشأة الحركة الإباضية, جامعة الأردن, عمان, 1978 صفحة 44

على المكتسبات التي أحرزتها في ظل الإسلام وبعد مناقشات عنيفة اجتمعت كلمتهم على انتخاب أبي بكر الصديق أول خليفة للمسلمين، وقبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى استشار كبار الصحابة الموجودين في المدينة المنورة وعهد بها إلى عمر بن الخطاب ثم فكر عمر في أمر الأمة من بعده بعد أن تلقى طعنات من خنجر أبي لؤلؤة الفارسي فاستقر رأيه على أن يجعل الخلافة في واحد من ستة من الصحابة هم علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمان بن عوف وسعد ابن وقاص وقد بيّن عمر أسباب اختياره لهؤلاء النفر من الصحابة حينما قال مخاطبا إياهم " إني نظرت فوجدتكم رؤوس الناس وقادتهم ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم وقد توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو عنكم راض " إني لا أخاف اختلاف الناس عليكم إن استقمتم ولكني أخاف عليكم اختلافكم فيختلف الناس" وبعد مناقشات واستشارات دامت ثلاثة أيام بويع عثمان بالخلافة في ذي الحجة من عام 23 هـ وفي عهده واجهت الأمة الإسلامية أخطر محنة مرت بها بعد حروب الردة وهو ما عرف في التاريخ باسم الفتنة، كانت هذه الفتنة حدثا خطيرا ساعد في ازدياد شقة الخلاف بين المسلمين حول منصب الخلافة وقد أدت التطورات إلى أحداث فيما بعد. وأدى النزاع بين علي ومعاوية إلى بروز فرقة المحكمة أو الخوارج كما سماها أعداؤها أو الشراة كما سموا أنفسهم وانشقت هذه الجماعة عن علي عندما أصر على قبول التحكيم ونادت بانتخاب خليفة المسلمين عن طريق الشورى دون اعتبار للنسب القبلي أو الأصل العرقي وكانت فرقة المحكمة أول من تحدى سلطة قريش عندما انتخبوا عبد الله بن وهب الراسبي إماما لهم ونادوا بقية المسلمين للانضمام إليهم وبعد معركة النهروان اعتزل أفراد منهم أصحابهم وتوجهوا صوب البصرة حيث أخذوا يدعون لمذهبهم سرا خوفا من بطش الولاة الأمويين وقد تزعم هذا الفريق أبو بلال مرداس ابن حديج التميمي وكانت هذه الجماعة البذرة التي أنتجت الفرقة الإباضية أو أهل الدعوة كما كانوا يسمون أنفسهم.

شهد أبو بلال زعيم هذه الجماعة معركة صفين مع علي ابن أبي طالب وأنكر التحكيم واشترك في معركة النهروان مع المحكمة ضد علي ويبدو أنه لم يكن مرتاحا لما حدث من خلاف وفتنة بين المسلمين من قتل وتشريد على يد إخوانهم في الدين فانسحب مع نفر من أصحابه وأقام مع أبناء عمومته من قبيلة تميم الذين يشكلون جزءا هاما من سكان البصرة آنذاك. وكان يتزعم هذه القبيلة الأحنف بن قيس السعدي التميمي. لقي أبو بلال وأصحابه الحماية والترحاب من الأحنف وقبيلته. أخذ بلال ينشر آرائه وأفكاره بطريقة الإقناع بدون اللجوء إلى العنف والحرب وأنكر قتل المسلمين ودعا أتباعه بأن لا يجردوا سلاحا ولا يقتلوا أحدا إلا إذا تعرضوا للعدوان وأجبروا على القتال وبلغ من حسن سيرته حتى أن عددا من الفرق الإسلامية فيما بعد ادعت نسبته إليها واعتبرته واحدا من أبرز أتباعها وقد نشط مرداس في البصرة لنشر دعوته وأفكاره وكان يعقد المجالس والمناظرات لإقناع الناس بآرائه فانظم إليه عدد كبير من المعجبين به وأخذ عدد أنصاره يزداد ويتعاظم حتى أنهم ابتنوا لهم مسجدا خاصا بالبصرة. لقيت دعوة بلال استجابة جعلت عبيد الله بن زياد والي العراق يقول " إن كلام مرداس أسرع إلى القلب من النار إلى اليراع " وانظم إلى هذه المجموعة الفقيه المعروف جابر بن زيد الأزدي الذي لم يلبث أن أصبح رئيس الجماعة والمؤسس الحقيقي للحركة وانضوى الجميع تحت إمرته بما فيهم أبو بلال نفسه ولكن الجماعة آثرت أن تتكتّم على اسمه ولا تعلن عن علاقته بالحركة حتى لا يبطش به الولاة.

نتيجة لهذا النجاح الذي أحرزته المحكمة اتبع والي العراق سياسة قاسية تجاههم مما اضطرهم للجوء إلى السرية في نشر دعوتهم وكان عبد

الله بن زياد يبعث العيون والجواسيس لتعقبهم والقبض عليهم والزج بهم في السجون وكانت هذه الإجراءات الشديدة تقضّ مضاجعهم وتلقي الرعب في قلوبهم فقد كانوا يأتون مجالسهم متنكرين متشبهين بالنساء لدفع الريبة عنهم وهم في طريقهم إلى أماكن اجتماعاتهم وكانوا أحيانا ينتحلون صفة التجار والباعة المتجولين حتى يصلوا مقصدهم ولم يكتف ابن زياد بمطاردتهم والتنكيل بهم بل لجأ إلى أسلوب آخر يرمي إلى زرع الخلاف فيما بينهم أملا في القضاء عليهم من الداخل. فقد كان يحبس الجماعة منهم ثم يأمرهم بقتل بعضهم بعضا ومن قتل زميله عفا عنه وأخرجه من السجن وحاول زياد أن يزرع الفتنة بين العرب والموالي وخاصة أن دعوة بلال قد استهوت عددا من الموالي الذين كانوا يقطنون البصرة فناصروه واعتنقوا مبادئه نتيجة الاضطهاد الذي تعرض له القعدة في البصرة. آثر بلال الهجرة وترك المدينة مرتحلا إلى مكان آخر آملا في أن يأمن شر بن زياد وينشر آرائه ومذهبه بحرية أكثر وفي مناطق لم تصل إليها دعوته من قبل فسار معه أربعون رجلا من أتباعه حتى نزلوا " آسك " وقد أعلن مرداس وأصحابه أنهم لن يجردوا سيفا على أحد ولا يقاتلوا إلا من بدأهم بالعدوان وعلى الرغم من ذلك فقد خشي بن زياد نشاطه وانتشار دعوته فندب إليه الجيوش وأباده وأصحابه في عام 61 هـ وبعد استشهاد بلال بثلاثة أعوام حدث انقسام نهائي بين المحكمة فمال فريق منهم إلى التطرف وحبذ الفريق الآخر الاعتدال وبرز على إثر هذا الانقسام جماعة القعدة المعتدلة التي آثرت الهدوء والسير على نهج أبي بلال. وفي النصف الثاني من القرن الأول الهجري انقسمت القعدة إلى فرقتين الصفرية والإباضية. فسميت الإباضية بهذا الاسم نسبة إلى عبد الله بن إباض الذي تعتبره المصادر غير الإباضية مؤسس المذهب الإباضي. أما المؤرخون الإباضية فينسبون إلى عبد الله ابن إباض دورا ثانويا بالمقارنة مع جابر بن زيد الأزدي العماني الذي يعتبرونه إمام أهل الدعوة ومؤسس فقههم ومذهبهم ويجمع المؤرخون الإباضيون على أن عبد الله بن إباض كان يصدر في كل أقواله وأفعاله عن جابر بن زيد.

أما الإمام جابر فكان فقيه الإباضية ومفتيهم وهو الذي بلور الفكر الإباضي حيث أصبح متميزا عن غيره من المذاهب بينما كان ابن إباض المسؤول عن الدعوة والدعاة في شتى الأقطار وهو الذي قدمه أتباعه لمناظرة أعدائهم ويتكلم باسمهم علنا فصار معروفا لدى العامة فكان أشهر من جابر الذي أخفى معتقده واستعمل التقية الدينية فلم يخطر على أحد أنه زعيم الإباضية ومؤسس مذهبهم وخاصة أنه لم يكن معروفا لدى البصريين إلا بكونه أحد التابعين المحدثين الثقاة ومن أشهر فقهاء البصرة وعلمائها والواقع أن جابر كان ذا علاقة بالمحكمة منذ وقت مبكر وأصبح أحد مفكريها البارزين منذ بداية النصف الثاني للقرن الأول الهجري. وقد اكتسب ثقة أقرانه لعلمه ودينه فكانوا لا يبتّون في شيء إلا بعد مشورته وأما الأمويون فإنهم لا يريدون نسبة هذه الفرقة إلى جابر حتى لا يجذبوا إليهم الأنظار فتميل إليهم النفوس بخلاف نسبتهم إلى عبد الله بن إباض الذي يعتبر أقل تأثيرا على الناس والباحث في المصادر الإباضية الأولى لا يجد فيها أسم الإباضية بل يجد لفظ جماعة المسلمين أو أهل الدعوة أو أهل الاستقامة ولكن يبدو أنهم مع مرور الزمان وإصرار مخالفيهم على تسميتهم بهذا الاسم قد قبلوه لأنهم لم يجدوا فيه ما يؤذيهم أو يسيء إلى سمعتهم وقد ظهر هذا الاسم لأول مرة في المؤلفات الإباضية بالمغرب العربي في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري.

لما قدّم الإباضية ابن إباض ليجادل باسمهم ويناظر مناوئيهم ويكشف عن بعض مبادئهم في تلك الفترة الحرجة التي يعزز بها الحركة رأوا أنه لابد لهم من الإفصاح عن بعض آرائهم ومعتقدهم وخاصة ما يتعلق منها بوجهة نظرهم نحو متطرفي الخوارج حتى لا يتعرضوا للسخط من بقية الأحزاب الذين

يعتبرون الإباضية من الخوارج المتطرفين مثل الأزارقة مارقين تجب محاربتهم والقضاء عليهم، عبر الإباضية وأفصحوا عن آرائهم حتى لا توجه إليهم الاتهامات التي وسم بها متطرفوا الخوارج وكان ابن إباض هو المؤهل للقيام بهذه المهمة الدعائية لأنه بالإضافة إلى قدرته في المناظرة والمجادلة ينتمي إلى قبيلة تميم وهي إحدى أهم قبائل البصرة آنذاك ومن الصعب على ولاة الدولة الأموية أن يتعرضوا له بالأذى خوفا من إغضاب القبيلة.

توفي ابن إباض في الربع الأخير من القرن الأول الهجري، فلجأ أتباعه إلى السرية المطلقة في تنظيم دعوتهم وكان لجابر دور عظيم في هذا الشأن فانظم إليه عدد كبير من عرب الجنوب ومن الموالي. ولما توفي جابر بن زيد سنة 93 هـ خلفه أبو عبيده مسلم بن أبي كريمة التميمي في أداء المهمة التي اضطلع بها سلفه فوجد أبو عبيده مجتمعا إباضيا متماسكا تسوده الألفة والمحبة والتعاون فتزعم هذه الحركة السرية وكون منها حكومة بالبصرة مستعينا في ذلك بكبار مشائخ دعوته وعلمائها البارزين، قام أبو عبيده بتطوير المجالس السرية وتصنيف وظائفها وترتيب طبقاتها وقد قسم هذه المجالس إلى ثلاثة أنواع:

أولا المجالس العامة يحضرها جميع أهل الدعوة وثانيها مجالس أهل الذكر من العلماء يحضرها زعماء الدعوة وفي هذا المجلس تقرر السياسة التي يجب على أتباعهم الالتزام بها ويشبه ما يعرف اليوم باسم اللجنة التنفيذية أو اللجنة المركزية التي ترسم سياسة بعض الأحزاب أو الحركات أما النوع الثالث فهي مجالس أو مدارس حملة العلم وكانت تقام في سراديب أرضية لها منافذ عديدة لا يعرفها إلا الإمام وشيوخ الإباضية، وفي هذه المدارس كان الدعاة يتلقون العلم وأصول الدعوة وتعاليمها مباشرة عن الإمام أبي عبيده التميمي الذي كان يتظاهر بصنع القفاف حتى لا يخطر ببال أحد أنه زعيم حركة مناهضة للأمويين وكان أبو عبيده يجلس في السرداب يلقي دروسه على تلاميذه وكان هناك حارس يجلس عند الباب الخارجي يصنع القفاف فإذا أحس بالخطر يمسك بسلسلة حديدية فيتوقف أبو عبيده عن إلقاء دروسه ويخفي أوراقه وكتبه ويشتغل بصنع القفاف وإذا أمن الحارس وأيقن عدم وجود خطر حرك السلسلة مرة أخرى فيعود أبو عبيده وتلاميذه للدرس ومن هذا السرداب تخرج دعاة الإباضية في جميع الأمصار وكانت بلاد المغرب من بين الأمصار التي اتجه إليها حملة العلم. أرسل أبو عبيده بعض الدعاة للاستطلاع على أحوال الناس في المغرب العربي ومعرفة اتجاهاتهم ودراسة عاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم ومقدار تطورهم الفكري والحضاري ودرجة ولائهم للسلطة الحاكمة حتى يسهل على الإمام اختيار الأشخاص، وأول داعية دخل المغرب العربي هو سلمة بن سعد وعكرمة مولى ابن عباس. جاء سلمة إلى إفريقية في بداية القرن الثاني الهجري يدعو إلى المذهب الإباضي يقتحم المجاهل ويدخل القفار ويغشى المجتمعات التي لا تعرف له جنسا ولا لغة وليس له إلا الإيمان الذي عمر قلبه وتلك المعرفة الشاملة لكتاب الله وسنة رسوله وسير السلف الصالح من الصحابة والتابعين ولم تمض على دعوته أكثر من عشر سنين حتى انتشرت ما بين تلمسان بالجزائر وسرت بليبيا وقد حقق سلمة آماله في هذه الجهات وكان ينتقل لا يعتمد في ذلك على جيش ولا حرس ولم يصاحبه في هذه الرحلة الطويلة من البصرة إلى إفريقيا إلا الإيمان بصحة العقيدة وصفاء الفكرة وسلامة الدعوة ومعرفة واسعة للإسلام وأسراره.

واستطاع سلمة إقناع بعض الأشخاص ممن اعتنقوا المذهب الإباضي بالذهاب إلى المشرق ليأخذوا العلم ويتفقهوا في أصول الدعوة الإباضية على يد زعيم الحركة في البصرة الإمام أبي عبيده التميمي، وفي عام 135 هـ اتجهت إلى البصرة أول بعثة علمية منظمة اختير رجالها من

قبائل ومناطق مختلفة حتى تسهل عليهم بعد عودتهم الدعوة في مناطقهم وبين قبائلهم وتتألف هذه البعثة من أربعة أشخاص هم: إسماعيل بن درار الغدامسي من مدينة غدامس جنوب طرابلس وعبد الرحمان بن رستم من القيروان وعاصم السدراتي من سدراتة جنوب الجزائر قرب ورجلان وأبو درار القبلي النفزاوي من نفزاوة ولاية قبلي في الجنوب التونسي وانظم إليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وهو عربي من اليمن مكثوا في البصرة خمس سنوات يأخذون العلم ومبادئ الدعوة في مدرسة أبي عبيده وبعد أن اطمأن الإمام أبو عبيده إلى تمكن تلاميذه من مبادئ الدعوة ونقل أفكارهم إلى مواطنهم أمرهم بالعودة إلى بلادهم ليبشّروا بمذهبهم وزوّدهم بنصائحه وأرشدهم بالرجوع إليه فيما أشكل عليهم من أمور تكون وليدة الظروف التي تعارضهم في أماكن استقرارهم وقد نشط هؤلاء الدعاة لتحقيق أهدافهم مستغلين معرفتهم بأبناء مناطقهم وخبرتهم بعادتهم وبتقاليدهم وبالتالي بالأساليب التي تؤثر في إقناعهم وكسبهم إلى حركتهم.([14])

اقتبسنا هذا النص على طوله لأنه أنصف الإباضية إنصافا جيدا ولأن صاحبه أحسن الإستفادة من النصوص الإباضية, فالإباضية ليسوا خوارج وانما هم أهل الاستقامة وحيث ما حلّوا لم ينشروا الا الخير

دعـــاة الإباضية يـــؤسســون المـدارس فـــي المغرب العـربـــي

قام الدعاة الأوائل بتأسيس مدارس سرية في المغرب على غرار مدرسة البصرة وتخرج على أيديهم عدد من الدعاة الإباضية بإفريقيا واجتهد المشائخ والتلاميذ في تنظيم أنفسهم ونشر مبادئهم وركزوا في دعوتهم على المبادئ العامة البسيطة التي يفهمها عامة الناس وتتجاوب مع آمالهم ومشاعرهم مثل المساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين وأحقية كل مسلم في الوصول إلى أعلى مراتب السلطة وإن هذا الأمر ليس مقصورا على قريش ولا على العرب كما أعلنوا أنهم سيطبقون العدل والحق وأهابوا بالناس للانضمام إليهم حتى يثوروا ضد الولاة والأمراء الذين ساموهم التعسف والعذاب وأنهكوهم بالضرائب غير المشروعة ولقيت هذه الدعوة تجاوبا سريعا لدى البربر الذين اشتكوا طويلا من ظلم الولاة الأمويين. ولم يمض وقت طويل حتى انضم إلى الحركة أعداد كبيرة من القبائل البربرية في المغرب الأدنى. وبعد مصادمات عنيفة مع الولاة استطاع الإباضيون كسب انتصارات مهمة أعلنوا على إثرها إمامة الظهور بطرابلس.

أول إمـــامـــة بطـــرابلـــس

تمكن الإباضية من تأسيس الإمامة بطرابلس بزعامة عبد الله بن مسعود التجيبي (125 هـ - 749 م) الذي هجم عليه عبد الرحمان بن حبيب فقتله فتولى بعده الحارث بن تليد الحضرمي إماما سنة 130 هـ وكان الحارث بن تليد وزير عبد الجبار بن قيس المرادي الذي أرسله الإمام طالب الحق إلى الحجاز فاستولى على مكة والمدينة وقضى على الأمويين فيها حينا من الدهر. ولمّا تغلب الأمويون على حركة طالب الحق في جنوب الجزيرة سافر الحارث وعبد الجبار إلى طرابلس فبايعت القبائل البربرية الحارث إماما على طرابلس وكان الحارث وعبد الجبار كليهما متصف بالتقوى والورع والعلم وقوة

---

[14] عوض خليفات, نشأة الحركة الإباضية, طبع 1987, صفحة 137

الشخصية وحسن التدبير فاغتالهما عبد الرحمان بن حبيب غدرا ولما قتل الحارث وعبد الجبار بايع الإباضية إسماعيل بن زياد النفوسي إماما عليهم سنة 132 هـ وكان إسماعيل قوي الشخصية شجاعا صنديدا ذا تقوى وورع وحصافة فعظم شأنه وكثر أنصاره فأرسل عبد الرحمان بن حبيب ابن عمه شعيب في خيل لإسماعيل بن زياد فقتله وأصحابه وأسر من البربر الكثير ثم انتقلت الإمامة إلى أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري.

إمـــامـــة أبـي الخطـــاب عبـد الأعلـى بـن السمـــح المعـافـري

يعود حملة العلم من المشرق ويؤسسون الإمامة بطرابلس بزعامة صديقهم أبي الخطاب المعافري، فاستولى على قبائل هوارة ونفوسة ولواتة وزناتة ثم استولى في العام الثاني على بقية الجنوب التونسي وجبال دمر وقابس وجربة وجبال مطماطة وفي نفس السنة استطاع الاستيلاء على القيروان سنة 141 هـ بهزم قبيلة ورفجومة وتطهير القيروان من ظلمها فقد انتهكت حرمات المسلمين واستحلت دماءهم وأموالهم.

رتب أبو الخطاب أمر الدولة فأسند القضاء إلى صديقه ابن درار الغدامسي وولى عمرو بن يمكتن على مدينة سرت وما حولها.

كان أبو الخطاب غيورا على الدين لا يرضى أن تنتهك أحكامه ويتعدى الناس حدوده محبا للعدل والمساواة وكان يكره العباسيين لظلمهم واستبدادهم وتعصبهم لعرقهم، فثار في وجه الولاة المستبدين والمنحرفين عن الدين وكان عادلا في رعيته متمسكا بالدين في سياسة لا يحيد عنها. ولما بلغ أبو جعفر المنصور العباسي في المشرق بإقامة إمامة أبي الخطاب في طرابلس جهز جيشا قوامه سبعون ألف جندي يقودهم ثمانية وعشرون قائدا وعلى رأسهم ابن الأشعث وتوجهوا إلى المغرب للقضاء على إمامة أبي الخطاب فلما علم أبو الخطاب بزحفهم ناد في الرعية للدفاع فهب القوم لنداء الإمام وانضم تحت لوائه تسعون ألف مقاتل من طرابلس وحدها فلما علم ابن الأشعث باستعداد أبي الخطاب وبحقيقة جنده ارتاع وأيقن الهزيمة فعمد إلى المكيدة لتفريق جيش أبي الخطاب. كتب ابن الأشعث رسالة خطية وسلمها إلى أحد حراسه فابتعد بها عن جيشه مسيرة يوم ثم عاد من طريقه يحمل معه هذه الرسالة التي تسلمها من قبل وأرجعها إلى الأشعث فقراها على جنده وفيها أن المنصور أمره بالعودة إلى مصر فتظاهر الجيش بالعودة، فلما شاهد أبو الخطاب رحيل جيش الأشعث سرّح جنوده ليشتغلوا بالفلاحة لأن الوقت موسم حصاد ولم يبق معه من جنده إلا اثنا عشر ألف مقاتل لأن جيش أبي الخطاب من المتطوعين للدفاع في مكان يسمى " تاورغا " شرقي طرابلس، صمد أبو الخطاب يدافع عن الإمامة ومعه اثني عشر ألفا من جنده ولكن جيش الأشعث أحاط به من كل جهة فقاتل حتى قتل واستشهد أكثر من معه وكانت هذه المعركة في آخر صفر سنة 144 هـ.

ولما سمع عبد الرحمان بن رستم بهزيمة أبي الخطاب وأن جيش الإمامة تفرق ورجعت كل قبيلة إلى معقلها ولّى راجعا لأنه لا قبل له بملاقاة جيش المنصور ورأى عبد الرحمان أن مدينة القيروان مكان غير حصين لإقامة الإمامة هناك فسافر إلى المغرب الأوسط مختفيا يصحبه ابنه وخادمه وفرسه.

هذه صورة مجملة لإمامة نفوسة برئاسة أبي الخطاب وكانت جربة جزءا من هذه الدولة ولكن المؤرخين سكتوا عن الولاة الذين كانوا يتولون الحكم فيها من هذه النكسة التي أصابت الإباضية في شمال إفريقيا فإن جذوة الحماس لم تخب منهم وقاموا بثورات متعددة ضد السلطات العباسية وفي سنة 151 هـ قامت ثورة اشترك فيها الإباضيون مع الصفرية بقيادة أبي

حاتم الملزوزي الذي خلع عليه لقب إمام الدفاع فاستولى على طرابلس والقيروان. وبعد سنوات من النضال انهزم أبو حاتم واتجه إلى جبل نفوسة فطارده يزيد بن حاتم إلى أن أدركه في جندوبة فقتله في ثلاثين ألف من أصحابه في عام 155 هـ وبذلك بسط بنو العباس سلطانهم من جديد على طرابلس وإفريقية.

وبعد هزيمة أبي حاتم الملزوزي هاجرت عناصر مهمة من طرابلس وتونس نحو الجزائر وخصوصا إلى بلاد كتامة حيث استقرت الجماعة. فنزل عبد الرحمان بن رستم على قبيلة لماية في جنوب "تاهرت" وكانت تربطه بلماية صداقة وثيقة تأكدت أيام ولايته على القيروان فلما أنس عبد الرحمان من أنصاره وأتباعه قوة فكر في جمع الكلمة حوله وبعد كفاح مرير وجهاد شاق مع أعدائه استطاع عبد الرحمان أن يكتسب النصر.

تـــأسيـــس الإمـــامـــة بالجـــزائـــر

بويع عبد الرحمان بن رستم ([15]) سنة 161 هـ من طرف الخاصة الذين اشتهروا بالورع والعلم والتقوى والدين والدراية والحنكة السياسية وبالإخلاص والشجاعة فجاءه رؤساء القبائل من جميع الجهات يقدمون إليه البيعة باسم أنصار الإمامة ويؤيدون الولاء للدولة التي عملوا طويلا على تأسيسها وبذلوا دمائهم وأرواحهم في سبيلها. وأقبل علماء الإباضية من كل حدب وصوب معلنين نصرتهم وتصميمهم على بذل كل جهد للمحافظة على دولتهم التي تمثل دولة الحق. وبارك إباضية البصرة هذه الخطوة وبعثوا بالأموال للإمام ليتسنى له القيام بواجباته على أكمل وجه كما أمطروه بالرسائل التي تحمل النصائح ليستنير بها في حل ما يشكل عليه من أمور الدين والدنيا وكانت الدولة الرستمية تقوم على الشورى كما كن في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين. وقد حث الإسلام المسلمين جميعا على الشورى وعدم الاستبداد بالرأي قال تعالى: " والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون " " سورة الشورى " ([16]) يعين الإمام مجلس استشاري لحل المشاكل التي لم يرد فيها نص في الكتاب والسنة والتي أوكلها الله إلى اجتهاد العلماء. ومن وظائف المجلس مراقبة الإمام ونصحه وعتابه إن أخطأ ولمجلس الشورى عزل الإمام إن حاد في الحكم عن قانون الشريعة الإسلامية.

ومن مبادئ الدولة الرستمية حرية المعتقد وحرية الفكر لا تفرض إرادتها على أحد ولا تجبر أحدا على إتباع مذهبها فالناس أحرار يختارون عن اقتناع المذهب الذي يرتضونه وكانت تعيش في ظل الإمامة جميع المذاهب يجدون في مدينة " تاهرت " حرية لعرض مذاهبهم والدعوة إليها والاجتماع لها.

وكانت الدولة الرستمية دولة[17] الأخوة الإسلامية، فتحت ذراعيها لكل الناس ورحبت بكل الطوائف وقصدتها جميع الأجناس وكان يعيش فيها البربري والأعجمي والأوروبي واليهودي يأتون إليها من إيطاليا والأندلس والسودان

---

[15] عبد الرحمان بن بهرام بن سام بن كسرلى أبو شروان بن رستم كان من كبار العلماء في عصره وهو من الأيمة في العلوم الشرعية واللغوية وكانت له دراية بسياسة الدول فقد تمرس على تحمل المسئولية من الشباب عندما كان واليا بالقيروان تعلم بالبصرة على الإمام أبي عبيده وهو من حملة العلم إلى المغرب عاش في القيروان أصله فارسي.

[16] سورة الشورى42 آية 58

[17] أسسها عبد الرحمان بن رستم بعد خروجه من القيروان ونزوله على قبيلة لماية في جنوب تاهرت بالجزائر

لقصد التجارة أو العمل أو التعليم أو الإقامة. كما قصدتها طوائف إسلامية من المشرق فاستوطنتها وكان فيها أحياء: حي الكوفيين وحي البصريين وحي المصريين والخراسنيين وغيرهم وكانوا جميعا يجدون في ظل الدولة الرستمية العدل والمساواة وقد نبغ عدد كبير من العلماء في شتى العلوم نذكر منهم هود ابن قيس التهارتي ([18]) كان من كبار العلماء. ألف كتابا قيما في فن النحو التطبيقي وحاول المقارنة بين اللغات الثلاث العربية والبربرية والعبرية وكان يقصد بهذه المقارنة التقارب بين اللغات الثلاث وبيّن أوجه الشبه بينها لتأكيد الترابط بين الأجناس الثلاثة وتركيز المحبة والإخاء بينها.

رحلة الإمام عد الوهاب إلى الجنوب التونسي وجبل نفوسة

لما توفي عبد الرحمان بن رستم عام 171 هـ بايعت أكثر الأمة ابنه عبد الوهاب فتقدم مسعود الأندلسي ويزيد بن اليفرني يبايعان الإمام ثم بايع الناس بعد ذلك بيعة عامة فحملوه إلى دار الإمامة ولم يتخلف عن بيعته ولم ينقم عليه أحد مدة حكمه الاّ النكّار الخلفية. قام عبد الوهاب برحلة إلى الجنوب التونسي يتفقد الجهات التي تحت سلطانه فزار جبال بني اخداش وجبال تطاوين وجبال مطماطة وجبل نفوسة فأقبل عليه الناس يقدمون له البيعة في جميع الجهات التي مر بها ونصب فيها العمال ولما وصل أرض طرابلس ودخل جبل نفوسة اجتمع إليه العلماء والفضلاء ودرسوا معه شؤون البلاد وبني مسجده المشهور في قرية " ميرى " الذي يسمى بمسجد عبد الوهاب. فكان هذا المسجد من أعظم المدارس التي نشرت العلم في جبل نفوسة وكانت حلقات الطلاب تتعاقب على الإمام أكثر النهار وزلفا من الليل. كان يخصص للعامة دروسا في الوعظ والإرشاد ويشرح للناس أحكام الشريعة وأسرارها في مقدمتها الصلاة . قام الإمام سبع سنوات يعلم ويرشد الأمة ولما قرر العودة إلى مركز الدولة اجتمع إليه الناس وطلبوا منه أن يولي منهم عاملا يفصل مشاكلهم ويجمع زكاة أموالهم ويوزعها على مستحقيها ويتولى قيادة الدفاع إذا هاجمهم العدو. اختار لهم وزيره وصديقه السمح بن أبي الخطاب لولاية طرابلس وكانت ولايته تمتد من جبال نفوسة إلى مدينة قابس ومدنين وجرجيس وجربة وزوارة هذه الجهات كانت تعتنق المذهب الإباضي ([19]).

قام السمح بهذه المهمة الثقيلة واستعد لتحمل الأمانة في هذه الولاية الشاسعة لا يخرج عن ولايته إلا شريط ساحلي بقي للأغالبة بعد المعاهدة التي عقدت بين الدولتين الرستمية والأغلبية سنة 196 هـ في عهد إمامة عبد الوهاب.

ذاقت جربة لذّة العيش الكريم لا يكدره الإسعباد ولا يشوبه الظلم في عهد هذا الوالي ولما مرض السمح مرض الوفاة اجتمع إليه الناس وطلبوا منه أن يوصيهم قال: أوصيكم بتقوى الله واتباع أحكام الشريعة ونصرة الأيمة المهتدين ما ساروا على الحق واستقاموا على الطريقة لأن طاعة أولي الأمر

---

[18] الكعاك (عثمان).موجز التاريخ العام للجزائر, , مطبعة العرب, تونس 1925م, ص 22 قال: كان هود بن قيس يحسن العربية والبربرية والعبرية والفارسية والرومانية كان عالما بها متضلعا فيها عاش في أواخر القرن الثالث الهجري.

[19] ينقل المرزوقي عن الرحالة الإدريسي: بقي سكان هذه الجهة فيهم المذهب الإباضي إلى القرن 12 م وجرجيس كانت تسمى شبه جزيرة " زيزو " أو جزيرة " زيتة " ويقول الأستاذ " لوفيسكي "في آخر رسالته " الإباضيون بتونس في القرون الوسطى " - المصدر مؤنس الأحبة في أخبار جربة ص 79

واجبة على الأمة ما أقاموا فيكم كتاب الله وسنة رسوله فإن انحرفوا عن الطريق المستقيم وخانوا الله والأمانة والأمة فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ([20])

خلف بن السمح يثير الفتن بجبل نفوسة

لما توفي السمح بن أبي الخطاب أرسل المسلمون من نفوسة إلى الإمام أبي اليقظان محمد ابن أفلح رسالة بوفاة السمح و طلبوا منه تعيين من يقوم مقامه، أرسل إليهم الإمام مكتوبا يطلب منهم أن يختاروا من يرونه صالحا لهذه الولاية فأرسلوا إليه يطلبون منه تعيين أبا عبيدة فلما أبلغه القوم اختيارهم وتكليف الإمام له في الولاية امتنع أول الأمر متظاهرا بضعفه وعجزه عن تحمل هذه المسئولية الثقيلة فكاتبوا الإمام مرة أخرى يعلمون إصراره وامتناعه، فأرسل إليهم أبو اليقظان لا يولي أمر المسلمين إلا رجلا يخاف ضعف نفسه فقال له " إن كنت ضعيفا في المال ففي بيت المال غناء للجميع وإن كنت ضعيفا في العلم فعليك بأبي زكرياء التوكتي فلما عاد البريد يحمل رسالة الإمام إلى أبي عبيده يحمله أمانة الدولة امتثل إلى أمر الإمام وأصبح عليه واجب الطاعة.

عزم أبو عبيده على القيام بالواجب الذي أنيط بعهدته فعمل على بسط الأمن ونشر العدل في الرعية. ولما تولى أبو عبيده أمر الجبل ثارت الغيرة والحسد في نفس خلف بن السمح وحدثته نفسه أن يجدد أمر أبيه فأخذ يدعو الناس لنفسه ويعكر الأمن الذي ساد نفوسة.

بدأ خلف يثير فتنة في أطراف الدولة الإسلامية فأخذ يغير على بعض القرى المتطرفة ويتحدى الحدود فبعث إليه الوالي بالكف عن هذه الأعمال ولكن خلف اغترّ بالإثم وواصل العدوان والإغارة على حدود ولاية أبي عبيده.

نهب خلف قرية "أدرف" وهجم عليها وأخذ أموالها وقتل بعض رجالها فلما علم الوالي بهذه الغارة التي أريقت فيها الدماء قال أبو عبيده لأصحابه لا يحل لنا السكوت على هذا العدوان وخرج بعسكره ليلقن خلفا درسا، فانهزم خلف وهرب إلى جربة فارا بنفسه وبعد وفاة أبي عبيده عين الإمام أبو حاتم يوسف الرستمي أبا العباس أيوب على جبل نفوسة فقضى أبو العباس على كل المشاغبين واستتب له الأمن في جميع الجهات وقضى على عناصر الفساد فأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وانتصر الرخاء وانقطعت الفتنة في البلاد.

وبعد وفاة أبي العباس عيّن الإمام أبو حاتم مكانه أبا منصور إلياس واليا على جبل نفوسة. واصل خلف بن السمح إثارة الشعب في بعض الجهات فخرج إليه أبو منصور بعساكره ونزل قبيلة زواغة وطلب منهم أن يسلموا له خلف، فرفضوا طلبه واتفقوا على حمايته والمدافعة عنه وكان في بني يهراسن شيخ كبير صاحب رأي ونظر بعيد أدرك الأمور بثاقب بصره فأشار على قبيلة زواغة وقال لهم: إنه لا قبل لكم بمواجهة أبي منصور إلياس وأضاف قائلا أقترح عليكم ثلاثة أمور إن اخترتم منها واحدة طبتم وإلا فمصيركم الذل. إمّا تتركوا حوزة طرابلس وتدخلوا جربة لتتحصنوا فيها وتمنعوا صاحبكم وإما أن ترسلوا إلى تيهرت رسولا بكتاب تطلبون فيه الإمام أن يخصصكم بعامل مستقل من جبل نفوسة حتى لا تدخلوا تحت أحكامه وسيطرته وأما أن تسلموا لي صاحبكم خلف لأسلمه إلى الوالي بالأمان وأنا أضمن لكم

---

[20] الباروني(سليمان) الأزهار الرياضية في أيمة وملوك الإباضية ص 148

سلامته فلم يرضهم هذا الرأي فتركهم اليهراسني وعاد إلى جيش أبي منصور وأخبر الوالي بفشل مساعيه لحقن الدماء. ولما عاد الرسول إلى أبي منصور وأخبره بالأمر ضرب على طبل كان يستعمله عند الرحيل فاجتمع الجيش حوله فصلى بهم ركعتي السفر وجدّ في السير إلى أن وصل إلى قبيلة زواغة ([21]) ولما انهزمت هذه القبيلة هرب خلف وأنصاره إلى جربة وتحصنوا فيها والتجأ خلف إلى رجل من وجهاء زواغة فأدخله قصر " غرداية " ([22]) وظن أنه ناج من قبضة أبي منصور. سار أبو منصور بجيشه نحو جزيرة جربة ولما قرب من الساحل الجنوبي فكر أبو منصور في الأمر مليا ورأى بعين البصيرة أن الدرهم والدينار يفعلان ما لا يفعله السيف والرمح ويمهدان السبيل ما لا تعهده الفرسان الشجعان ويذللان من الصعوبات ما تدركه السيوف عند الطعان، فأرسل أبو منصور مع حكيم عاقل من بني يهراسن مائة دينار وهدية ثمينة إلى الزواغي الذي التجأ إليه خلف فلما وصل الرسول إلى جهة بني معقل سأل عن الزواغي. ولما اجتمع اليهراسني بالزواغي سأل هذا الأخير عن سيرة أبي منصور فأعلمه أن سيرته سيرة الخلفاء الراشدين عندها رحب الزواغي به وتسلم منه الهدية والدنانير ونجحت الخطة فسلم الزواغي خلف إلى أبي منصور فقيده ومضى به إلى جبل نفوسة فحبسه ودخل أبو منصور جربة بلا حرب ولا قتال وعفى عن قبيلة زواغة التي ناصرت خلف وآوته وقضى خلف فترة في السجن فلما صلح أمره وأظهر توبته وتحسنت سيرته أطلق أبو منصور سراحه.

ولاة الدولة الرستمية في جهة الجنوب

يقول الشماخي ([23]) كان سلام بن عمر اللواتي عامل الإمام أبي حاتم على سرت ونواحيها وقطنان بن سلمة الزواغي عامله على قابس ونواحيها مطماطة وجبال دمر وزواغة وجربة ([24]) ومحمد بن إسحاق الخزري عامله على نفزاوة ووكيل بن دراج النفوسي عامله على قفصة وذكر الشماخي أسماء لبعض الولاة وغفل عن ذكر النواحي التي كانوا عليها مثل جرون بن الفهري وفهد بن عاصم الزناتي وبيران بن بني يزهرتن المزاتي.

أما عمال الإمام على جبل نفوسة فكانوا كثيرين اقتصرت على ذكر البعض منهم: السمح ابن أبي الخطاب، أبو عبيده، وأبو منصور وأبو العباس بن أيوب أما عمال الدولة الرستمية على بقية الجهات فلا نعرف عنهم شيئا لقضاء العبيديين على الكتب التاريخية لأنهم أحرقوا المكتبة العمومية بمدينة تيهرت ليمحوا آثار الدولة الرستمية ويقضوا على فكرة الإمامة الإسلامية ([25]) في عقول سكان المغرب وعلى أنصارها ومحبيها.

---

[21] زواغة قبيلة تسكن جهة الجنوب الشرقي من زوارة إلى جرجيس إلى الجهة الجنوبية الشرقية من الجزيرة - الأزهار الرياضية ص 276

[22] غرداية - حصن في غابة بني معقل بجربة

[23] الشماخي (أبو العباس أحمد) (928هـ/1522م)

كتاب السير ط حجرية, القاهرة.1301هـ.600صفحة ص 203

[24] ذكر الشماخي في كتاب السير تبعية جربة ص 161

[25] يقول الدكتور عبد الحليم في كتابه التفكير الإسلامي ج 1 ص 186 في موضوع الإمامة:(إن رأي الإباضية في الإمامة يتماشى وروح الإسلام ويؤيده اتجاه الدين)

انقـــراض الـــدولـــة الـــرستميـــة

بعد اغتيال الإمام أبي حاتم ودخول أبي عبيد الله الشيعي مدينة تيهرت واستيلائه على أموالها وكل نفيس فيها، أخذ كتب العلوم الرياضية والطب والهندسة والفلاحة والفلك وغيرها ثم أحرق كتب الشريعة والتاريخ والأدب. بهذا العمل الشنيع، قضت الدولة الفاطمية على حضارة الدولة الرستمية في الميدان العلمي والعمراني وقتلت العديد من العلماء المناصرين للإمامة وأطلقوا ألسنة دعاتهم الكثيرين بالدعاية المغرضة والأكاذيب الباطلة فقلبوا الحقائق وشوهوا الإمامة حتى يبعدوا الناس عنها بشتى الوسائل وسخروا الأموال والأقلام لنشر دعوتهم والتفريق بين الأخوة والأشقاء في المغرب العربي ولكن كتب الله لشعوب المغرب العربي السعادة والصفاء والحرية فزال عنهم ظلم الملوك المستبدين.

بعد انقراض الدولة الرستمية ([26]) انقطعت الصلة بين طرابلس والجزائر وبين جربة وطرابلس.

جـربـــة فـــي عهـــد الـــدولـــة الـــرستميـــة

عاشت جربة في ظل عهد الدولة الرستمية قرابة 140 سنة تنعم بالاستقرار والأمن والعدل والحرية السياسية والدينية واختار سكان الجزيرة المذهب الإباضي عن اقتناع لما رأوا في مبادئه السليمة التي تتماشى وروح الدين الإسلامي لأن دعاتهم كانوا يمثلون الإسلام عقيدة وسلوكا رائدهم إصلاح النفوس وتغذية المجتمع بتعاليم الإسلام.

كانت جربة طوال هذه المدة تنعم بالاستقرار والحرية فلم تشارك الدولة الرستمية في جميع حروبها التي خاضتها مع أمراء الدولة الأغلبية وولاة الدولة العباسية فكان شيوخ العلم في جربة يتولون شؤونها الداخلية والخارجية.

دخـــول المـــذهـــب الإباضي إلـــى تـــونـــس

يقول الأستاذ لوفيسكي في رسالته ([27]) إن المذهب الإباضي جاء إلى تونس عن طريق طرابلس وانتشر انتشارا واسعا في الشعوب البربرية بجهات نفزاوة ومطماطة وجبل بني خداش وورغمة وجرجيس وجربة ومنطقة الجريد والحامة وقابس. وفي عهد الإمام عبد الوهاب الرستمي 168 - 208 هـ حدثت في المذهب انقسامات بسبب خلافات سياسية إلى نكّار وخلفية ونفاثية .

الحركة النكارية: ظهرت هذه الحركة في تيهرت وساندتها الفئات الشعبية تحت قيادة زعماء القبائل واكتسبت بهذا بعدا سياسيا واضحا علاوة على أنها أدت إلى صراع بين قبيلتي نفوسة وبني يفرن بالمغرب الأوسط ويعتبر النكار جماعة في الدولة الرستمية طلبوا من عبد الوهاب أن يعزل قاضيه لكونه جائرا

---

[26] الدولة الرستمية بالجزائر 160 هـ - 296 هـ / 776 - 777 م 908 - 909 م

[27] لويسكي, الإباضية بتونس في القرون الوسطى ص 12

وصاحب بيت المال لخيانته وصاحب رئيس الشرطة من أجل فساده ويزعمون أن هؤلاء الثلاثة لا يصلحون للقيام بهذه الوظيفة إلا أن الإمام رفض طلبهم لعدم وجود حجة لديهم تثبت اتهام الأشخاص الراغبين في عزلهم فلما طلب عبد الوهاب من النكار إقامة الحجة خرجوا من عنده في حالة غضب وأعلنوا إنكارهم لإمامة عبد الوهاب فسموا بذلك نكارا وانضم إليهم ابن فندين يطالب بإقامة مجلس استشاري في الظاهر وداعيا لنفسه في الباطن

أما الحركة الخلفية: فتعتبر حركة خلف بن السمح حركة سياسية انفصلت بمقتضاها جهة يفرن عن الإمامة الرستمية وقد نتج عن هذا صراع مسلح بين بني يفرن والنفوسيين.

تولى خلف بن السمح ابن أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري مكان أبيه الولاية على الجناح الغربي من ليبيا دون الرجوع إلى مركز الدولة الرستومية ولما بلغ الخبر الى الامام رفض هذه الولاية وأمره بالاعتزال وعين واليا مكانه. فغضب لذلك ولم يستجب لأمر الإمام وأعلن استقلال ليبيا عن الجزائر وتابعه على رأيه هذا عدد كبير من الناس واستمرّت حركته فترة طويلة حتى تغلبت عليه الدولة المركزية فانتهى أمره, وليس لهذه الفرقة أي رأي أو مبدأ ما عدا قولهم بجواز انفصال ليبيا عن الجزائر في الحكم.

أما الحركة النفاثية: فيبدو البعد الاجتماعي واضحا في حركة فرج بن نصر التي ظهرت في الجنوب التونسي رافضة دفع الضرائب الثقيلة لتيهرت.

زعيم هذه الفرقة هو فرج بن نصر النفاثي, كان عالما واسع الإطلاع ذكيا درس على بعض الأئمة الرستميين في تاهرت وكان يمنّي النفس بالولاية على جبل نفوسة ولما سنحت له الفرصة –حسب ظنه- صرفت عنه الى احد زملائه ممن هم أقل منه ذكاء وعلما وكفاءة-فيما يرى- فسخط على الإمام أفلح وجعل ينتقد سلوكه وشخصيته حتى أغضبه فأرسل إليه يأمره بالكف عما يقول والتوبة منه وإلا ناله عقاب فرحل إلى المشرق وتلطف حتى وصل بلاط الدولة العباسية لكنه لم يحقق شيئا من مطامعه فعاد وكفّ انتقاداته لشخص الإمام وسلوكه.

أما الوهبية: فهم أتباع الإمام عبد الوهاب الرستمي ناصروه عندما انشق عليه يزيد بن فندين. وكل ما بقي من الإباضية بشمال إفريقيا وهبية ونكّار بقوا إلى عهد قريب في زوارة وجربة وعاشت هذه الحركات مع بعضها في سلام.

ثم دخلت هذه الحركة إلى جربة في القرن الثالث الهجري واحتمت بها خاصة (النكارية والخلفية) وكان الوهبية في جربة أقل فئة من فرقة النكار . وكانوا يعقدون المجالس العلمية بينهم للمناظرة وتبيان وجهات نظرهم.

سيطر الإباضية النكار على الجهة الشرقية والوهبية على الجهة الشمالية الغربية ووسط الجزيرة. لما قدم أبو مسور من جبل نفوسه وحضر هذه المجالس العلمية أخذ ينشر مذهبه ويطبق المبادئ الوهبية في جزيرة جربة وكان سكان نفزاوة على المذهب الإباضي في عهد الإمام عبد الوهاب وبقي هذا المذهب إلى القرن الخامس الهجري الحادي عشر مسيحي حيث كان في بلدة "فطناسة " من جهة نفزاوة وحدها أحد عشر مسجدا إباضيا وأما منطقة الجريد فقد انتشر فيها المذهب الإباضي في زمن مبكر وكان سكان درجين قرب نفطة يعدون وحدهم نحو ثمانية عشر ألف فارس وانتشر الإباضية بين توزر والحامة وقفصة ودام هذا المذهب إلى القرن السادس الهجري، الثاني عشر (م) كما تسرب هذا المذهب إلى جهات أخرى من أرض تونس وقد أعان على انتشاره الحرية التي كان يتمتع بها المسلمون في القرون الأولى.

وكان الإباضية في القيروان يؤمون المساجد ويلقون دروسهم ويناقشون تلامذتهم في جامع عقبة بن نافع.

ويحدثنا ابن سلام ([28]) أن مفتيين على رأي المذهب الإباضي كانا بالقيروان في القرن الثالث الهجري النصف الثاني من القرن التاسع مسيحي ودامت مدينة القيروان إلى القرن الخامس (هـ) الحادي عشر (م) مركزا للإباضية الوافدين من مختلف بقاع المغرب لتعلم العربية وآدابها.وكانت فروع من مزاتة وهوارة تسكن في القيروان وهي على المذهب الإباضي في أيام بني زيري الصنهاجي وكان حارث الهواري والأزهر يسكنان جهة سوسة وسليمان بن جاس يسكن شرقي القيروان وهو رجل فقيه من علماء الإباضية كما دخلت الإباضية جبل وسلات وجبل زغوان وبقيت إلى القرن الخامس (هـ) الحادي عشر(م) ([29]).

الـوضـع السيـاسـي عند قـدوم أبـي مسـور إلـى جـربـة

في آخر القرن الثالث الهجري انتهى أمر الإمامة بالمغرب العربي بعد ثورات داخلية وحروب خارجية دامية امتدت زمنا طويلا في الجزائر وتونس وطرابلس أدى ذلك من الناحية السياسية إلى انقطاع الاتصال بين جربة ومركز الدولة الرستمية (160 هـ / 776 - 777 م - 296 هـ / 908 - 909 م)

وفي هذه الفترة التاريخية الحرجة قدم أبو مسور يسجا بن يوجين اليهراسني من جبل نفوسة ([30]) إلى جربة سنة 280 هـ تقريبا . وعلى ضوء هذه الأحداث السياسية التي مر بها شمال إفريقيا من ثورات وحروب طاحنة قضت على أبطال الجبل وعلمائه. رأى علماء الإباضية في جربة أن يعيدوا نظام حياتهم إلى العهود الماضية قبل أن يدخلوا تحت حكم الدولة الرستمية فعليهم أن يحافظوا على استقلالهم الداخلي من الناحية السياسية وعليهم أن لا يحتكوا بالدولة الفاطمية التي تحاول أن تبسط نفوذها على كامل الجهات التي كانت تابعة للدولة الرستمية وعليهم أن لا يدعموا الثورات التي تحاول أن تقضي على هذه الدولة الناشئة وعليهم أن يحافظوا على جزيرتهم لا يتركون أحدا من الثائرين يجعل أرض الجزيرة مركزا أو معقلا للعدوان وكان همهم أن يعيشوا أحرارا في جزيرتهم محايدين لا يهتمون إلا بالنشاط الفلاحي والنشاط العلمي فأسسوا المساجد والمدارس لنشر الثقافة الإسلامية في مجتمعهم المسلم ودعوة الناس إلى التمسك بالدين فازدهرت الحياة الاقتصادية والثقافية والعمرانية داخل الجزيرة.

وبفضل نجاح هذه السياسة التي سلكها علماء الإباضية عاشت جربة تنعم بالاستقرار والأمن والسلام لأنها بقيت على الحياد الكامل ولم تشترك في جميع الحروب التي دارت رحاها في إفريقيا. ولكن هذا الاستقرار لم يطل لسكان الجزيرة لأن دولة الفاطميين كانت تعمل جادة على بسط نفوذها على جميع الجهات التي كانت تحكمها الدولة الرستمية فعمد الفاطميون منذ تأسيس دولتهم سنة 296 هـ التي تتبّع الإباضية ومحاربتهم بلا رحمة حتى ضعفوا واستكانوا للمسالمة والرضى بالواقع منتظرين الفرص السانحة ولما دعمت الدولة الفاطمية حكمها في المهدية واطمأنت إلى الاستقرار والأمن

---

[28]كتاب ابن سلام الإباضي قام بتحقيقه داق شفارين والشيخ سالم بن يعقوب الجربي. وقد عده حسن حسني عبد الوهاب من أقدم المؤرخين في المغرب العربي.دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة 1405هـ/1985م ص 198

[29]- المرزوقي, مؤنس الأحبة في أخبار جربة ص 57

[30]جبل نفوسة يقع في الجهة الغربية من طرابلس اشتهر بالعلماء والصلحاء عبر التاريخ الإسلامي.

من الداخل كونت أساطيلها البحرية القوية لتباشر الحكم في الجهات التي بقيت منعزلة عنها.

الـدولــة الفــاطميــة تــوجّــه أسطــولهــا إلــى جــربــة

لم يهتم الفاطميون بجربة في أول عهدهم حتى أسسوا مدينة المهدية وجهزوا الأساطيل البحرية. فلما شعروا بقوتهم البحرية جهزت الدولة الفاطمية أسطولا قويا وهاجمت هذه الجزيرة الآمنة بقيادة علي بن سلمان الداعي سنة 311 هـ فأصبحت جربة منذ ذلك التاريخ خاضعة خضوعا فعليا للدولة الفاطمية ([31]).

ذاقت جربة مرارة الحكم المستبد من طرف ولاة الدولة الفاطمية كما كانت تذوقه بقية الجهات وقد زاد في شناعة الموقف ما كانت تبثه الدعاية المغرضة التي تباعد بين المسلمين لا سيما بين الإباضية والشيعة وكان ولاة الشيعة يرتكبون الفواحش في جربة وغيرها من الجهات التي تسكنها الإباضية كمنطقة الجريد وقابس والحامة وهم يعتقدون أن ما يفعلونه لا تحرمه الشريعة الإسلامية بل كثيرا ما يرغبهم بعض المتعصبين الجاهلين ويحثونهم على الانتقام من الإباضية مستحلين دماءهم وأموالهم ([32]).

بقيت جربة تحت حكم الدولة الفاطمية عشرين سنة يتولى أمرها ولاة تعينهم حكومة المهدية من سنة (311 هـ - 331 هـ).

وكانت جربة تحت حكم الدولة الفاطمية تابعة لولاية قابس ومن هؤلاء الولاة الذين حكموا جربة علي بن لقمان. ذكره ابن عذارى في حوادث سنة 310 هـ ([33]) تحدث عن خلاف نفوسة مع المهدي حين هاجم بجيشه جبل نفوسة بقيادة علي بن سلمان الداعي فقتل كثير من أصحابه وتفرق جيشه فكتب المهدي إلى علي بن لقمان عامله على قابس أن يقتل كل من يمر به من الفارين ([34]) وأرسل المهدي إلى الوالي جيشا عظيما لمحاصرة جبل نفوسة .

ثــورة أبــي يــزيــد مخلــد بـن كيــداد النكــاري علــى الفــاطميــن

ثار أبو يزيد على ظلم الدولة الفاطمية ولقي تأييدا كبيرا من الشعب المغلوب على أمره فاستولى على مدينة تبسة بالجزائر وانتقل إلى جبال أوراس يدعو الناس إلى الثورة ويكتسب الأنصار وقد قام سنة كاملة بين أنصاره مكرها في مكان يسمى " سماطة " ([35]) وعندما تهيأت له الأسباب واجتمع حوله الثائرون على الظلم خرج أبو زيد يقود الجيوش ويفتح البلدان والآفاق فانظمت إليه جميع القبائل من كل مكان وجمع حوله عساكره الكثيرة وقال لهم: قد رأيتم ما نزل بنا من عمال الفاطميين. فلما سمع به (المهدي) كاتب والي منطقة الجريد لإلقاء القبض عليه فأخذ الوالي أبا يزيد وسجنه وطال سجنه حتى قنط ويئس من السلامة وانسدت في وجهه جميع أبواب الخلاص، لما بلغ خبر سجنه أصحابه وأنصاره اختاروا أربعة رجال أهل شدة

---

[31] مؤنس الأحبة 59 / - الإباضية بتونس ص 217

[32] علي يحي معمر الإباضية في موكب التاريخ الإباضية بتونس ص 217

[33] لابن عذارى البيان المغربي ج 1 ص 363

[34] المرزوقي قابس جنة الدنيا ص 157

[35] ابن خلدون ص 156 - 157 الجزائر سماط جهة ورفلة اورجلان في جنوب الجزائر

ونجدة فساروا آخر النهار ودخلوا مدينة توزر فوقف أحدهم على باب المدينة وتقدم ثلاثة إلى السجن وكسروا بابه وقتلوا السجان وأطلقوا سراح جميع المساجين وأخرجوا صاحبهم فحمله أحد الثلاث على ظهره وجرد الآخران سيفهما فكان أحدها أمامه والآخر وراءه فكل من قام إليهم قتلوه حتى خرجوا من المدينة فلم يتبعهم أحد فلما وصلوا موضعا بين الحامة وتوزر تسمى الآن صخرة أبي يزيد توجهوا إلى صحراء (سماطة) قاصدين قبيلة بني درجين ([36]) وكانت ذات قوة عظيمة بلغ عدد فرسانها ثمانية عشر ألف فارس وطلب منهم أبو يزيد أن يدعموه في ثورته فلم يستجيبوا لدعوته لأنه نكاري المذهب فخرج من عندهم مستخفيا حتى وصل جبال أوراس فأقام هناك عاما فبايعه أنصاره إماما للدفاع ضد الدولة الفاطمية.

ولما بلغ الفاطميين خبر المبايعة جهزوا جيشا عظيما وتوجهوا إلى جبال أوراس فحاصروا الجبال سبعة سنين استطاع أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري الخروج من الحصار بجيش عظيم وسار به يريد مدينة توزر التي خرج منها ([37]) وأخذ أبو يزيد يفتح المدن والقرى المجاورة ثم مضى يريد القيروان فاحتلها فلما سمع أبو القاسم المهدي بخروج أبي يزيد استعمل عليها نائبا وهرب إلى المهدية.

لقيت ثورة أبي يزيد تأييدا كبيرا من كبار علماء المالكية في القيروان فأخذوا يحرضون الناس على مؤازرة جهاده ضد مظالم العبيديين خرج مع أبي يزيد من العلماء المالكية أبو الفضل الممسي والعباس بن عيسى الفقيه وسليمان ربيع القطان وأبو العرب محمد بن أحمد بن تميم واحمد بن أبي الوليد الذي اجتمع الناس حوله يوم الجمعة فصعد المنبر و خطب خطبة أبلغ فيها و حرض الناس على الجهاد و أعلمهم بما لهم فيه من الثواب و قال: أيها الناس جاهدوا من كفر بالله و زعم أنه رب من دون الله و غير أحكام الله عز وجل و سب نبيه و أزواج نبيه فبكى الناس بكاء شديدا و قال في خطبته: اللهم هذا القرمطي الكافر الصنعاني، و يقول في الخطبة سافكا الدماء منتهكا المحارم اللهم ألعنه لعنا وبيلا واخزه خزيا طويلا و اغضب عليه بكرة وأصيلا وأصله جهنم وساءت مصيرا و نزل فصلى الجمعة ركعتين و قال إن الخروج غدا يوم السبت إن شاء الله ([38]) فركب ربيع القطان فرسه و عليه آلة الحرب و في عنقه المصحف وحوله جمع من الناس من سكان القيروان متأهبين لجهاد أعداء الله فنظر إليهم و سر بهم وقال الحمد لله الذي أحياني حتى أدركت عصابة من المؤمنين اجتهدوا لجهاد أعدائك و أعداء نبيك ثم لعن عبيد الله وابنه ثم خرج الناس معه للقتال فلم يزل قاهرا للفاطميين فانتصر على جنودهم حتى لم يبق لهم من بلاد إفريقيا إلا اليسير ([39]). واستقر أبو يزيد ينتصر في مواقع كثيرة فاحتل مدينة القيروان قال الدرجيني: فتح المدن والقرى حتى افتتح الساحل كله والشمال التونسي والجنوب فلما نزل مدينة

([36]) درجين مازالت هذه القبيلة تسكن الوادي بواحة نفطة الغربية ومازال إلى اليوم فرع منها يسمون " بنو علي " الإباضية بالجريد ص118 صالح باجيه دار بوسلامة للنشر والتوزيع تونس 1976

([37]) كتاب طبقات المشائخ بالمغرب - الدرجيني 1 ص 117

([38]) ابن عذارى - بيان المغرب ج 1 ص 308 - 309

([39]) كتاب مرآة الجنان و عبرة اليقضان في معرفة حوادث الزمان مخطوط بمكتبة الجزائر رقم 2161 ص 94 - 120 وكتاب ثورة أبي يزيد ص 56 سليمان بالحاج داود بن يوسف

رقادة مركز العبيدين بلغ جيشه مائتي ألف مقاتل فاستقبله العلماء والصلحاء وأعيان البلاد استقبالا رائعا ([40]).

دولـــة أبـي يـزيـد مخلـــد بـن كيـــداد

إن الانتصار الباهر الذي حققه أبو يزيد على الدولة الفاطمية في بداية الأمر شجعه على تغيير المنكر و التشهير بأعمال الولاة فلما سمعت به القبائل جاءت تناصره ودخلت تحت سلطانه فلما أحس من نفسه قوة ورأى كثرة من معه أسس دولة عاصمتها مدينة وارجلان بتأييد من عبد الرحمان الناصر لدين الله الأموي بالأندلس يقول إبن خلدون أن أبا يزيد لما افتك القيروان ورقادة من العبيديين أرسل ابنه إلى صاحب قرطبة ملتزما طاعته والقيام لدعوته وطالبا المدد فرجع رسوله بالقبول ([41]) ويقول ابن عذارى في سنة 335 هـ وصل إلى قرطبة أيوب ابن أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الإباضي ورسول والده إلى عبد الرحمان الناصر فاستقبلهم وتحدث معهم في موضوع الرسالة وأنزلهم في قصر الرصافة وأكرمهم ثم سلم لهم رسالة إلى أبي يزيد و أذن لهم بالعودة إلى بلادهم ووصلهم و كساهم ([42]).

وذكر هذه الثورة صاحب نزهة المشتاق و كتب أبو بكر يحي بن إبراهيم المالكي القيرواني يقول: عندما اندلعت ثورة الإباضية ضد ظلم الفاطميين انضمت الجماهير المالكية إليه بالقيروان.

واستجلب أبو يزيد الذهب من السودان وضرب النقود باسمه، وفي سنة 1966 م أسفرت الحفريات بنواحي القيروان على اكتشاف قرابة 300 قطعة ذهبية مصكوكة باسمه و كتابتها واضحة وهذه النقود موجودة الآن في متحف القيروان وقد تحدثت عن هذا الإكتشاف جريدة العمل التونسية الصادرة بتاريخ 14 جمادى الثاني 1386 هـ 30 سبتمبر 1966.

وترك أبو يزيد ابنه الفضل مع أبي عمار الأعمى بالقيروان وتوجه إلى المهدية فهزم القائد الفاطمي " ميسور " وحاصر المهدية وزحف إلى باب من أبوابها فوقع قتال انهزمت ميمنة عسكره وتقهقرت حتى وصلت القيروان ولم تشعر بها الميسرة من كثرة جنده ولما سمع أبو يزيد أن أهل القيروان أخرجوا عامله منها تخلى عن المهدية وعاد إلى القيروان فدارت معركة عنيفة بين الدولتين انتهت بانهزام أبي يزيد وتفرق جيشه فمات متأثرا بجراحه في 30 محرم سنة 336 هـ/ 19 أوت 947 م.

أبـو يـــزيـــد النكـــاري يحتـل جـربـــة

احتل أبو يزيد النكاري جربة سنة 331 هـ 944 م وبقي بها ثلاثة سنوات يناصر دعوة النكار فانتشرت دعوته بها وكسب أنصارا تؤيده ثم ضعف أمر النكار بعد استرجاع الفاطميين جربة ثم ظهرت هذه الفرقة من جديد قوية حتى أصبح لها نصف الجزيرة تقريبا لكن جربة التي استراحت من وطأة أبي يزيد قد شعرت أنها وقعت تحت وطأة ثانية أشد ثقلا من الأولى برجوع الفاطميين أعداء مذهبها لذلك لم تلبث أن ثارت ضد سلطتهم واستقلت عنهم.

---

[40] روى صاحب معالم الإيمان ج 3 - ص 86 وابل عذارى وأبو بكر المالكي ص 31

[41] ابن خلدون ج 7 - ص 30

[42] البيان المغرب ج 2 - ص 318 - 319

استمرار الفتن أيام الدولة الصنهاجية

وان كانت جربة أيام استقلالها غير تابعة لأية سلطة خارجية إنما يدير شؤونها الدينية والسياسية بعض شيوخها المحليين أمثال زكرياء فصيل اليهراسني الذي كان يتولىالفصل بين الناس في الأمور الدينية والسياسية.

كانت جربة في أغلب الأحيان مستقلة استقلالا كاملا أو استقلالا داخليا ولم تكن تابعة للدولة الفاطمية إلا في فترات قصيرة من سنة 341 هـ إلى سنة 350 هـ خصوصا بعد نزوح الفاطميين إلى مصر 362 هـ على إثرها اندلعت ثورة رهيبة في المغرب الأقصى أشعلت نارها قبيلة " زناتة " فاشتغل بلكين بن زيري بإخمادها من سنة 362 إلى 373 هـ واستمرت الفتن في عهد ابنه المنصور من سنة 373 إلي سنة 380 هـ ثم ثار عليه أعمامه فقاومهم مدة حتى تغلب عليهم وشردهم إلى الأندلس و تولى باديس ابن منصور سنة 386 هـ فقامت الفتن في كل مكان فجهز لها عمه حماد بجيش كثير وجعل له ملك ما يفتحه من الجهات الثائرة فخرج حماد وظفر بالثائرين وقضى على الفتنة ثم رجع إلى جهة قسنطينة فابتنى هناك " قلعة بني حماد " واتخذها مقر الملك الذي استقل به عن ابن أخيه ([43]).

هذه الفتن العمياء التي لا تهدأ جعلت سكان جربة يميلون إلى الاحتفاظ باستقلالهم عن سلطة الصنهاجيين إلى عهد المعز بن باديس الصنهاجي واحتلاله جربة سنة 431 هـ فاستباح منها جميع الحرم التي صانها الإسلام وارتكب فيها جريمة نكراء فجمع خيار الأمة من العلماء والزهاد فذبحهم كالأغنام إنها إحدى الجرائم التي يقوم عليها الطغاة من الحكام الظالمين دون أن يكون لهم وازع ديني أو خلقي.

احتـــلال المعـز بـن بـاديـس الصنهـــاجـي لجـربـــة

احتل المعزبن باديس الصنهاجي جربة سنة 431 هـ وارتكب من الظلم والفواحش ما لا يرضى عنه الحليم وتجاوز في ذلك ظلم ملوك بني حفص .يقول عنهم التيجاني ([44]) اصطحبت أحد ملوك بني حفص إلى جربة في حملة تأديبية لمعاقبة الجربيين الذين توقفوا عن إرسال الأداءات .

ولم يقتصر المعز على هتك الأعراض وأخذ الأموال وإزهاق الأرواح وإنما تعدى ذلك إلى الدين والتحكم في أعمال الناس وعقائدهم فأراد أن يرغمهم على إتباع مذهب السلطة ولتنفيذ هذه الفكرة الضيقة التي تنبئ بروح التعصب وجهله بروح الدين جمع علماء جربة الذين يرجع إليهم الناس في أمر دينهم وأمر بقتلهم جميعا ([45]) فأراد المعز أن يحمل سكان جربة على أتباع المذهب المالكي.

يقول علي يحي معمر ([46]):" إن الحامل له على هذا السلوك ليس هو الإخلاص للمذهب المالكي وإنما هو الخوف على ما بيده من الملك لأنه يخشى أن تثور عليه المالكية وبقية المذاهب الإسلامية لظلمه وعدوانه فأراد

---

[43] حسن حسني عبد الوهاب خلاصة تاريخ تونس ص 90 - 91

[44] رحلة التيجاني: تقديم حسن حسني عبد الوهاب ص 123 المطبعة الرسمية التونسية 1377 هـ ـ 1958 م

[45] منهم أبو عمرو النميلي وأبو صالح اليهراسني وأبو موسى بن السمح الرباني وأبو بكر بن قاسم اليهراسني وأبو محمد كموس الزواغي. السير للشماخي ص 379 - 471

[46] الإباضية في تونس ص 222

استئصالها قبل أن تعد العدة لأن الإباضية لا يسكتون على الظلم والعدوان فقاوموا ظلم الأمويين والعباسيين والفاطميين والصنهاجيين ورفعوا سيوفهم أمام كل جبار انحرف عن الشريعة الإسلامية في المشرق والمغرب".

لوث المعز الصنهاجي يده بالدم البريء ورجع إلى عاصمة ملكه المهدية ليستقبل مزيدا من الثورات والمؤامرات والمكائد التي وجهت إليه من جميع الجهات. يقول الزاوي ([47]) " قضى المعز على الشيعة ومذهبهم بعد أن اعتنق المذهب المالكي لكسب الأنصار من علماء المالكية لأن مذهبه الأول المذهب الشيعي، كما قضى على المذاهب الأخرى كالصفرية والإباضية والمعتزلة وحمل الناس على المذهب المالكي. "

لقد نتج عن تلك المذابح التي تولاها المعز في جزيرة جربة نتائج خطرة ([48]). قد أثارت هذه المذبحة رد فعل شديد فقد كان سكان جربة مسالمين محافظين على أمن بلادهم لا يشتركون في الدماء التي تراق والأموال التي تختلس والحرم التي تنتهك لا يريدون أن يلوثوا أيديهم بما حرم الله.

راجع سكان جربة موقفهم على ضوء هذه الأحداث السياسية التي جدت وتحمس الثائرون من الشباب لرد الفعل.

كون شباب جربة أسطولا بحريا للدفاع عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وثاروا على عامل الدولة الصنهاجية ([49]) ورموا به وراء البحر واستقلوا بحكم جزيرتهم فضيقوا الخناق على الدولة الصنهاجية وحبسوا التجارة عن المهدية ومضى على هذه الحال قرابة سبعين سنة من 441 هـ إلى 510 هـ وفي هذه المدة تكونت طبقة أخرى من العلماء الحريصين على مبادئ الإسلام فكانت أصواتهم تنطلق آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر داعية إلى التمسك بأحكام الدين وأكثروا التنديد بأصحاب السفن التي تشترك في القرصنة وحرموا ما كانت تأتي به من أموال ومنعوا الشباب من الاعتداء على الأموال والأرواح والأعراض فأثرت مواقفهم في نفوس أصحاب الأساطيل وفي سنة 510 هـ جهز أبو الحسن علي بن يحي بن تميم أسطولا لغزو جربة ([50]).

أسطـول الجـزيـرة يستعـد للـدفـاع

لما بلغت تحركات الأسطول الصنهاجي سكان جربة استعدوا للدفاع عن أراضيهم مهما كلفهم ذلك وكان قائد الأسطول الصنهاجي إبراهيم بن عبد الله فحاصر جربة سنة 510 هـ وأخذ يهدد سكان جربة بالحرب والاحتلال فاستعدوا للدفاع عن جزيرتهم ولما طال الحصار أقر أهلها بالطاعة للسلطان وانقادوا لأوامره ونزلوا تحت حكمه فكتبوا بنود الصلح بين شيوخ الجزيرة والدولة الصنهاجية.

البند 1 - أن يترك أبو الحسن الجزيرة دون أن يلحقها بحكمه وذلك مقابل أن يكفوا أساطيلهم عن التعرض إلى السفن التي ترد إلى مدينة المهدية.

البند 2 - أن يفتحوا مجال التجارة إلى المهدية التي ركدت فيها الحالة الاقتصادية وتشكلت هيئة من العلماء لكتابة الصلح وأملوا هذه الشروط على

---

[47] الزاوي - في تاريخه الفتح العربي في ليبيا ص 195

[48] هتك الأعراض وأخذ الأموال وأزهق الأرواح وتحكم في أعمال الناس وعقائدهم.

[49] عامل الدولة الصنهاجية على جربة " ابن كلدين "

[50] المصدر ابن خلدون ج ص 156 - 576 ط - الجزائر

قادة الأساطيل للموافقة عليها وتم الصلح أن تبقى الجزيرة مستقلة في شؤونها الداخلية لا تتعرض لها الدولة الصنهاجية وأن تكف أساطيل الجزيرة عن القرصنة وأن تفتح مجال التجارة مع المهدية سنة 529 هـ ([51]) على أن تغلّب أسطول علي بن يحي بن تميم بن المعز الصنهاجي على جربة ورد أهلها إلى الطاعة لم يمكنه من إلحاقها بحكمه إلحاقا تاما وإنما اقتصر على إذعان أهل الجزيرة لطاعته اسميا وقبولهم شروطه الاقتصادية، كقصر تجارتهم على المهدية وتعهدهم بقطع القرصنة البحرية وما عدا ذلك فقد بقوا مستقلين عن المهدية محليا. يقول التيجاني رجع الأسطول بعد أن تم الصلح دون أن يقع احتلال الجزيرة من طرف الجيش الصنهاجي ([52]).

عاشت جربة في سلام مع السلطة المركزية بالمهدية، يدير شؤونها حكام محليون يختارهم مجلس العزابة حتى سنة 529 هـ لم تبق جربة تحت سلطة الصنهاجيين إلا سنوات قليلة أيام المعز ثم ثار أهلها من جديد.

استعمل الجربيون الأساطيل في البحر للقرصنة وقطع السبل البحرية على النصارى الموالين للصنهاجيين وهذه الظاهرة حدثت لأول مرة في تاريخ الجزيرة والذي حرضهم على هذا المسلك حب الانتقام ودفع الثأر لأن المعز الصنهاجي قضى على زعمائهم وشيوخهم سنة 431 هـ

نظـــام العـــزابـــة فـــي جـربـــة

يتضح لنا من تسلسل الأحداث التي مرت بتاريخ الجزيرة قديما أن أهل الحل والعقد هم أهل العلم وفي طليعتهم فصيل ابن أبي مسور اليهراسني بمعية تلميذه عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي ([53]) اللذين يعود لهما الفضل في وضع نظام يضمن السلامة والمحافظة على المجتمع الإباضي بين أقطاب السياسة وأطماع السلطة المتنافسة على بسط نفوذها على المجتمعات الصغيرة وخاصة سكان جربة.

بينما كان عبد الله الفرسطائي مقيما بقسطيلية ([54]) قادما إليها من القيروان يبحث عن الشيخ أبي عمران موسى ابن زكرياء أحد جماعة (غار مجماج) ليتم عنده دراسة الفروع, التقى بالوفد الجربي ([55]) الذي أوفده الشيخ أبو زكرياء فصيل اليهراسني أول مفكر في تكوين نظام العزابة سنة 408 هـ / 1017 م.

ولما اجتمع أفراد الوفد بالشيخ عبد الله الفرسطائي عرضوا عليه الأمر وطلبوا منه أن يضع نظاما يحفظ المجتمع الإباضي ثم عرضوا عليه رغبتهم في طلب العلم وكانوا يقيمون في مسجد المنية ([56]) وهم يكررون الرغبة وهو يمتنع إلى أن قبل عبد الله بشرط أن يتركوه وشأنه في أول الأمر مدة أربعة أشهر ليختلي بنفسه ويراجع ما جهله من معلومات.

---

[51] الإباضية في تونس ص 225 علي يحي معمر - ابن خلدون ج 1 ص 156 - 176 طبع في الجزائر

[52] رحلة التيجاني ص 125 حيث يقول نقلا عن ابن الصلت في الذيل على تاريخ ابن الرقيق

[53] فرسطاء ـ مدينة تقع في جبل نفوسة شرقي مدينة كباو

[54] قسطيلية - منطقة الجريد اليوم كان سكان هذه الجهة إباضية

([55]) الوفد الجربي :هم زكرياء ويونس ابني فصيل بن أبي مسور وابن أخته

[56] مسجد المنية: يقع في قرية الوديان من الجهة الغربية المؤدية إلى الحامة

وبعد أربعة أشهر وفّى أبو عبد الله وأسس الحلقة بمسجد المنية سنة (408 / 1017 م) وعندما تم نظام العزابة سموه بالسيرة المسورية البكرية نسبة إلى أبي زكرياء فصيل ابن أبي مسور الذي له فضل التحريض وإلى أبي عبد الله الذي استفرغ جهده في وضع قوانين تلائم ظروف الزمان والمكان ومستقبل الأجيال بما يكفل لهم سعادة الدارين. وقد أتى أبو عبد الله الفرسطائي الى جربة في آخر حياته واجتمع بتلاميذه ليشجعهم ويثبتهم على تحمل المسؤولية.

والعزابي لفظ استعمل لقبا لكل من لازم الطريق المستقيم وطلب العلم وحافظ على سيرة أهل الصلاح وابتعد عن شهوات الدنيا ومتاعها يقول أبو حيان التوحيدي في شأن الخليل بن أحمد عزوفا عن الدنيا وزهراتها وشوقا إلى المولى والعزابة هم جماعة يتولون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقومون بجميع الشؤون الدينية والدنياوية قال فيهم الشاعر:

أجدر الناس بالعلا العلماء فهم الصالحون والأولياء
فالبرايا جسم وهم فيه روح والبرايا موتى وهم أحياء
قد رأينا لكل دهر عيونا ولعمري هم للعيون ضياء

فمن مبادئ الإباضية مكافحة الرذيلة في مختلف أشكالها وألوانها المعروفة ومعاقبة مرتكبي الكبائر المحرمة مثل الفجور وشرب الخمر والكذب والسرقة ومكافحة الكفر والبدع الزائفة وضد كل تعصب مبني على الجمود.

وفي مختلف أطوار التاريخ نرى الإباضية متمسكين بروح الدين والاعتصام بحبله المتين سواء فيما بينهم أو بين السلطة التابعين لها وإذا كانت الدولة القائمة جائرة غير سائرة طبق أحكام الدين فالإباضية يتجنبون إثارة الشغب فيكتفون بدفع الأموال والضرائب المطلوبة منهم مثل بقية الأمة أما تسيير المجتمع الإباضي فهو مبنى على ما يعرف عندهم بنظام العزابة هذا النظام الذي يكفل لهم رعاية المساجد وإقامة الصلاة والمحافظة على دروس الوعظ والإرشاد وتثقيف العامة دينيا وتحفيظ كتاب الله وشرحه للصبيان وتربيتهم تربية إسلامية نظيفة والمحافظة على الأسواق لكي لا تدخل إليها الأموال المحرمة والمستترابة والتشديد على التجار حتى لا تدخل بعض الأشكال الممنوعة في معاملتهم وكان كبار العزابة يتفقدون الأسواق بأنفسهم والمتاجر ويشرحون للناس صور الربا وأنواع المعاملات التي لا تجوز شرعا ومن أجل ذلك شدد العلماء في مراقبة الأسواق وما يدخل إليها من سكان البوادي الذين كانوا لا يتورعون من الإغارة واقتناء الماشية المتأتية عن طريق النهب لا سيما أولئك الأعراب الذين وفدوا مع بني هلال وبني سليم كما انصرفت عناية علماء الإباضية في كل العصور إلى محاربة الجهل بدين الله وإنارة بصائر الناس بجميع الوسائل بدون انتظار أجر أو شكر. فالعزابة بنوا مدارس للتعليم في كامل الجزيرة حتى بلغت نيفا وعشرين مدرسة ([57]) تدرّس العلوم الشرعية واللغوية وتقوم بتحفيظ القرآن في أكثر مساجد جربة التي بلغت في القديم ثلاثة مائة وستين مسجدا وتعهدوها بالإصلاح وجلبوا إليها الطلبة من جميع الجهات من داخل الجزيرة وخارجها والإنفاق على الفقراء وتحبيس أعز أراضيهم على المساجد حتى بلغت عدد زياتين الأوقاف المحبسة على مساجد جربة أربعين ألف أصل زيتون وما يساويها من النخيل وأصبحت نسبة المتعلمين بجربة أعلى نسبة في بقية المدارس تضاهي المدن الكبرى كتونس العاصمة وهم يتولون التعليم مجانا فكان الواحد منهم يبذل وقته وجهده وماله ليوفر للطلبة جميع وسائل الراحة والإقبال على التعليم.

---

[57] وقد أشار إليها السالمي في كتابه تحفة الأعيان في تاريخ عمان

وكان العلماء يحثون أصحاب رؤوس الأموال على أن ينفقوا على مشاريع التعليم حتى يسهل على المتعلم والمعلم نشر العلم وبث المعرفة ولعل

هذه الظاهرة كانت ومازالت واضحة في أبناء الجزيرة فبنوا المدارس في جربة وفي تونس كمدرسة الهنتاتي بسوق اللفة ومدرسة دغري.

لقد اعتاد أغنياء جربة الإنفاق على طلاب العلم الذين يأتون إليهم من جبال نفوسة وجبال بني اخداش وغيرها من الجنوب التونسي وأصبحت عادة حميدة يتنافس عليها أغنياء الأمة إلى عصرنا الحاضر ويرون أنها أحب أنواع البر إلى أنفسهم وانتقل حب الإنفاق على طلاب العلم الى أغنياء جربة حتى خارج الجزيرة فكان التجار في تونس ينفقون على طلاب العلم بجامع الزيتونة وقد عرفت منهم عددا كبيرا عند دراستي بتونس.

ولم يقتصر علماء الإباضية على نشر العلم والقضاء على الجهل وتوابعه بل وقفوا أمام أهل البدع يحاربونهم ويردون عليهم بأقلامهم ويدعون الأمراء إلى الاستقامة ويأمرونهم بنشر العدل في الرعية.

وكان علماء جربة يردون على الأفكار الهدامة التي تجهل الحقيقة والتي أعماها روح التعصب أو الجهل بحقيقة أصول الإباضية لأنهم لم يحتكوا بهم ولم يطلعوا على كتبهم، عثرت أثناء بحثي على مجموعة من الرسائل التي تولى علماء الإباضية الرد عليها بأقلامهم يقيمون الحجة على كل متطفل على العلم ([58]).

أما إذا كان الانحراف من قبل الأفراد في السلوك والعادات التي دخلت عليهم من المجتمع المريض الذي ضعفت فيه روح الدين وطغت عليه الشهوات والماديات، يكتفون بمحاربتها بدروس متوالية في المساجد والمجامع العلمية والمناسبات والمآتم والمواسم الدينية وقد مرت بالجزيرة فترة تاريخية مظلمة كما في عهد الفاطميين والصنهاجيين وحدثت حروب داخلية بين القبائل في جربة وفي ما يسمونه عام الأخماس سنة 555 هـ كادت هذه الفتن أن تهلك سكان جربة ولولا فضل العلماء الذين أخذوا رهائن بين الجهات ليستتب الأمن بين القبائل؛ وسببها تنازع الأمراء على السلطة فقسّموا الجزيرة إلى قسمين وجلبوا عرب ورغمة من خارج الجزيرة لمناصرتهم فخربوا ودمروا البلاد وقتلوا عددا كبيرا من الأبرياء وأثقلوا الناس بالضرائب.

وقد مرت بالجزيرة فترة هادئة في عهود استقلالها أيام الدولة الرستمية وبعدها، ما يسر لها أن تعيش سعيدة تنعم بالاستقرار والاطمئنان والحرية وفي هذه الفترة من تاريخ الجزيرة اهتم العلماء بتثقيف الشباب فشيدوا المدارس والمساجد. نتج عن هذا الاستقرار حركة ثقافية هامة فألف في بداية القرن الخامس ديوان الأشياخ في (غار مجماج) بجربة ([59]) الذي يحتوي على فقه العبادات والمعاملات وهو مرجع عام في الفقه الإباضي اعتمدته جميع الكتب التي جاءت بعده.

---

[58] هناك مجموعة الردود للشماخي والمصعبي والباروني والشيخ محمد اطفيش بالمكتبة البارونية

[59] شارك في تأليفه سبعة من العلماء سنتحدث عنهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب (الحياة الثقافية بجربة).

هجــوم النــرمــان علــى جـربــة ([60])

في سنة 529 هـ / 1135 م هجم روجار ملك صقلية على الجزيرة بعد مقاومة عنيفة من أهلها وأخيرا خضعت جربة لحكم النورمان الذين جعلوا منها مركزا هاما لتموين أساطيلهم التي توالت غزواتها على السواحل الإفريقية في عهد تميم ابن المعز الصنهاجي.

تمكن النورمان من غزو الجزيرة وبسط نفوذهم نهائيا على بقية السواحل التونسية فاحتلوا صفاقس وقرقنة وقابس وسوسة وليبيا وجعلوا جربة مركزا لتموين أساطيلهم وإمدادهم بما يحتاجونه من عتاد وسلاح كما اتخذوها ملجأ لهم من العواصف البحرية ولما أيقن الحسن بن علي الصنهاجي أن الخطر محدق به خرج من المهدية عاصمة ملكه وارتحل إلى المغرب الأقصى سنة (549 هـ / 1154 م) قاصدا الدولة الموحدية التي خلفت دولة المرابطين وبعد فراره دخلها النورمان واستولوا على قصورها وذخائرها النفيسة ثم أمن الناس على أنفسهم وأموالهم فسكن الثائرون واستطاع روجار أن يهيمن على جميع السواحل التونسية وبقية سواحل إفريقيا الشمالية.

بــدايــة الحــروب الصليبيـــة

لما استولى النورمان على صقلية ([61]) سنة 484 هـ /1091م وأخرجوا المسلمين منها نهائيا كون الملك (روجار) أسطولا يهاجم به السواحل الإفريقية. ومن بداية هذا التاريخ هجم أسطول (جنوة) على مدينة المهدية فاضطر تميم الصنهاجي لمصالحتهم.

ولما توفي علي بن يحي الصنهاجي سنة (515 هـ/ 1121 م) خلفه في الملك ابنه الحسن وعمره ثلاثة عشر عاما فلم يستتب له الأمر وقويت النفرة بين الصنهاجيين وبين ملك صقلية روجار بسبب أسطول المرابطين وهجومهم على ثغر من ثغور صقلية فلم يشك روجار أن ذلك كان بإيعاز من الحسن الصنهاجي ([62]) فعزم ملك صقلية على مهاجمة المهدية واحتلالها سنة 517 هـ / 1123 م بأسطول به خمسمائة سفينة حربية ونزل بجزيرة الديماس قرب البقالطة بقيادة " جورج الانطاكي فلاقاهم جيش الحسن الصنهاجي وقتل منهم الكثير وردهم على أعقابهم خاسرين.

كان هذا الهجوم بداية الحروب الصليبية التي اكتست صبغة دينية بحتة لقد كتب المؤرخون الأوروبيون كثيرا حول هذا الموضوع والذي نستخلصه من خلال هذه الدراسات أن التعصب المسيحي أدى إلى قيام هذه الحروب التي عمّت حوض البحر الأبيض المتوسط.

---

[60] النورمان قوم نزلوا من بلاد النرويج والدنمارك إلى فرنسا فأعطاهم ملك فرنسا جزيرة صقلية في مقابل الكف عن تخريب البلاد ثم احتلوا جنوب إيطاليا وصقلية في القرن التاسع ميلادي - خلاصة تاريخ تونس ص 114.

[61] الطيب الفقيه احمد - كتاب تاريخ مدرسي.

[62] الحسن بن علي تولى الخلافة من 515 هـ - إلى 543 هـ - آخر أمراء الدولة الصنهاجية.

بـــدايـــة الحمـــلات الصليبيـــة على جـربـــة

كانت بداية الحملات على الجزيرة من سنة 494 هـ إلى 529 حين هجم الإفرنج على جربة على حين غفلة من أهلها فقاتلهم الجربيون قتالا شديدا حتى لم يبق من المجاهدين إلا القليل وخضعت جربة لحكم النورمان وانتظر سكان جربة أن يسرع إليهم الحسن الصنهاجي لينقذهم من الاحتلال النورماني فلم يهب لنصرتهم لأن الدولة الصنهاجية في حالة ضعف لم تستطع حماية سواحلها ولأن الحسن الصنهاجي كان مشغولا بالدفاع عن نفسه بمركز حكمه، ولما استقر النورمان بالجزيرة وأيقن أهلها أن لا مدد يأتيهم من الخارج وأن بلادهم أصبحت مركزا للعدوان منها تنطلق أساطيل القرصنة فكر سكان جربة في الثورة ونظموا صفوفهم للدفاع عن أرضهم، فدعوا السكان للجهاد سنة 546 هـ فانتصرت الثورة في أول الأمر ولكن الصقليين جهزوا جيشا وهاجموا الجزيرة مرة ثانية فانتصرت الحملة الثانية بمساعدة الحامية التي تركها الإفرنج هناك. واستشهد عدد كبير من المسلمين من أهل الجزيرة حتى لم يكد يبقى منهم من يحمل السلاح.

أخذ النورمان كثيرا من أهلها وباعوهم في أسواق صقلية وإيطاليا عبيدا ([63]) وألحقت جربة بمملكة صقلية.

اجتمـــاع عـــزابـــة جـربـــة

اجتمع علماء جربة فنظروا في الوضع الذي تعيشه البلاد وما تعانيه من ظلم الصليبين فأخذوا يستعدون لمجابهة الموقف ويعدون العدة ويشجعون النفوس بالروح الدينية حتى يقوى الإيمان في نفوس المجاهدين فلما أيقن مجلس العزابة استعداد الناس للدفاع عن جزيرتهم ودينهم ثاروا جميعا في وجه المستعمر بقيادة ويسلان اليهراسني وقاسم الزواغي الجربي ولما تيقنوا من نجاح الثورة أعلنوا المقاومة سنة 548 هـ / 1153 م ورفعوا لواء الثورة في وجه روجار ورجاله المستعمرين إلى أن تحقق النصر للجربيين فولى المسيحيون الأدبار إلى صقلية لكن عندما وصلت بقايا الفارين إلى صقلية غضب ملكها غضبا شديدا وجهز أعظم أسطول عرفته القرصنة البحرية سنة (549 هـ / 1154 م) فاحتل النصارى الجزيرة من جديد بعد معارك طاحنة تساقطت فيها الأرواح البشرية ومن نجا من السكان من القتل والذبح أخذ غنيمة فبيعوا عبيدا في سوق صقلية ولم يبق في الجزيرة إلا ضعاف الناس ([64]) دخلت الجزيرة في فترة طويلة لا تبدو عليها حركة أو حياة حتى قدم أمير المغرب عبد المؤمن ابن علي الكومي الزناتي إلى تونس بطلب من الحسن الصنهاجي صاحب المهدية لينقذ بلاده من الحملات الصليبية التي توالت على المهدية وجربة. التقى به في الجزائر وطلب منه أن يحميه من ملك صقلية وينقذ البلاد التونسية، جهز عبد المؤمن جيشا كبيرا يقوده محمد بن ميمون وابن الخراط وأبو الحسن الشاطبي وقصد بهذه القوة العسكرية المهدية التي حاصرها بجنوده برا وبأسطوله بحرا وضيق الخناق على من كان بها من النورمان وبقي الحصار متواصلا ستة أشهر فاشتد على حاميتها الأمر فسلّموا المهدية. فاحتلها عبد المؤمن وخلصها من النورمان بعد أن لقي العدد

---

[63] بلغ عدد الذين باعوهم في سوق الرقيق ألفين.

[64] رحلة التيجاني ص 126 - نظام العزابة بجربة ص 198 الحلقة الثالثة الإباضية في موكب التاريخ ص 224 - 225 علي يحي معمر.

الكبير حتفهم وسمح للباقين أن يلتحقوا بصقلية ووضع تحت تصرفهم سفنا تنقلهم إليها وكان ذلك في عشرة محرم 555 هـ 21 جانفي 1160م وهو يوم عاشوراء ويسمى هذا العام سنة الأخماس.

دخـول جـربــة تحـت حكـم المـوحـديـن

بقيت جربة تحت حكم النورمان من 529 هـ إلى555 هـ / 1135 م إلى 1160م حتى قدم الموحدون من المغرب بزعامة عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي فأطرد النورمان من جميع السواحل التونسية وساعد جربة على طرد النصارى الدخلاء وأدخل الجزيرة تحت حكمه فعادت الحياة إلى مجراها الطبيعي وعاد الناس إلى نشاطهم الفلاحي والتجاري والصناعي وعاد إليها أولئك الذين فروا منها أيام القلاقل واستقر الناس من جديد ونشطت الحركة الاقتصادية في جميع أسواق الجزيرة وبقيت جربة تابعة لدولة الموحدين بواسطة ولاة يعملون تحت إشراف الوالي بتونس.

وفي سنة 688 هـ /1289م ظهرت أساطيل أصحاب صقلية مرة أخرى واحتلوا الجزيرة من جديد بقيادة ملك صقلية فأنزل جنوده إلى الجزيرة مرتين فنهبها وحمل أكثر من ألفين من أهلها بين ذكور وإناث وباعهم في سوق الرقيق بأوروبا وقدّم الجزيرة إلى " البابا " إظهارا لولائه وظلت جربة في حوزة البابا إلى سنة (710 هـ - 1310 م) ([65]) ولم تزل جربة من أول الفتح الإسلامي على هذه الصفة بين تملك المسلمين وتغلب النصارى.

صورة حصن قشتيل

بنـــاء حصـن القشتيـــل ([66])

لما اشتد الصراع بين الموحدين والنصارى وانتشرت الفوضى في الجزيرة رأى فريدريك الثالث(حكم صقلية من 1295م إلى1327م) أن يضع حدا لهذه الحالة فاستدعى القائد المقامر " رامون مونتانير " القطالوني وعهد إليه

---

[65] دائرة المغارف الإسلامية - رحلة التيجاني ص 126.

[66] بنى حصن القشتيل سنة 688 هـ ـ 1284 م ملوك صقلية - ذكره ابن خلدون التاريخ ج 3 ص 576 و156 طبع الجزائر - دائرة المعارف للبستاني ص 548. رحلة التيجاني ص 128.

أمر الجزيرة فاحتلها من جديد وقتل فيها عددا كبيرا من الأحرار حتى سكنت جربة إلى حكمه وظل فيها يحكم ثلاث سنوات 1311 م - 1314 م وأعيدت بعدها إلى حكم ملوك صقلية.

يقول ابن خلدون: " ترددت جربة بين المسلمين والنصارى حتى أخذها الموحدون ثم احتلها النصارى سنة 688 هـ/ 1289 م وبنوا بها حصن القشتيل «. بناه الملك " روجي دي لوريا " واتخذه مركزا لتهديد السواحل التونسية. يقع هذا الحصن على ساحل الجزيرة من جهة الجنوب وقد وصفه التيجاني بقوله " رأينا حصنا يهول الناظر اتقانا وحسنا وهو مربع الشكل وفي كل ركن منه برج فاثنان مستديران واثنان مثمنان وبين كل برجين من هذه في وسط الحائط برج صغير مربع ويدور به فصيل قصير ويدور بجميع ذلك حفير متسع" اطمأن النصارى إلى متانة هذا الحصن فأصبح ملجأ لسفنهم ومركزا لتهديد السواحل التونسية وسيطرت حاميته على الجزيرة فأخذوا يبتزون أموالها ويسومون أهلها أنواع العذاب لأن أبطال الجزيرة أفنتهم الحروب وفي سنة 1333 م شبت ثورة أخرى من أبطال جربة ضد حكام صقلية لما اشتد الظلم على الرعية فأطرد الجربيون الجنود المقيمين ببرج القشتيل واستولوا على الحصن وبقيت جربة تصارع الاستعمار الصليبي من سنة 688 هـ/ 1289 م إلى سنة 738 هـ /1337 م أي ما يقارب من نصف قرن. وفي سنة 738 هـ / 1337 م استيقظت الدولة الحفصية من سباتها وتذكرت أن العدو جاثم على أعز قطعة كريمة من ترابها.

جهز أبو بكر الثاني الحفصي جيشا كبيرا بقيادة " مخلوف بن كماد " فقصد بأسطوله سواحل الجزيرة وحاصر حصن القشتيل مدة غير طويلة لأن الحامية الصليبية وقعت بين نارين نار الأسطول ونار الثائرين من أبطال الجزيرة

أحس الحفصيون بخطر هذا الحصن على دولتهم فحاولوا طرد الحامية المسيحية منه وهدمه، فغزاه أبو يحي زكرياء اللحياني في أيام حميدة الحفصي فحاصره شهرين ثم رفع عنه الحصار حين شعر بعجزه ([67]) ولكن خطر هذا الحصن على سكان جربة أشد من خطره على الدولة الحفصية. حيث وقع سكان جربة بين نارين سيطرة النصارى المحتلين لأرضهم ومطالبة الدولة الحفصية بدفع الخراج لها، وفي هذا العهد كانت جربة تقاوم الاستعمار الصليبي وتحارب القرصنة المسيحية التي تهاجم البلاد الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط من سنة 529 هـ إلى سنة 960 هـ فكان هذا العهد مشحونا بالأحداث والجهاد في سبيل الله، وبقيت جربة من سنة 555م إلى سنة 688 أي مدة قرن وثلث تصارع الأساطيل المسيحية منفردة رغم أنها كانت تدفع الضرائب الباهضة إلى أولئك الولاة المستبدين بالحكم يبتزون أموالها. فقد استبد بها بعض الحكام مثل ابن كماد الذي عزله أبو بكر الحفصي الثاني وولى مكانه أحمد بن مكي وابن أبي العيون وغيرهم، وقد أفنت الحرب رجال الجزيرة وأخذ أبطالها يتناقصون في كل واقعة حتى استنفذ ما لديهم من قوة بشرية وقوة مادية رغم طول هذه الفترة لم تحاول الجزيرة الانفصال عن حكام ولاة الدولة الحفصية واستمرت على هذه الحالة إلى سنة (835 هـ / 1432م) أيام أبي فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصي موحد المغرب العربي الكبير.

---

[67] رحلة التيجاني ص 128

أبنــاء أســرة السمــومنــي يتــولــون الحكــم علــى جــربــة

اشتهرت هذه العائلة شهرة واسعة فكان شيوخ بني سمومن يحكمون الجزيرة من سنة 688 هـ 1289 م وقد ذكرها ابن خلدون ([68]) بقوله " وترددت جربة بين المسلمين والنصارى حتى أخذها الموحدون ثم احتلها النصارى سنة 688 هـ " واستشهد في هذه المعركة الشيخ سليمان بن صالح السمومني ويقول التيجاني في رحلته إلى جربة سنة 706 هـ /1306 م كانت أسرة السمومني تحكم نصف الجزيرة وقد ذكرها " زهباور " في كتابه معجم الأنساب هذه العائلة كانت أسرة حاكمة بجربة وسماها أسرة " بني زكرياء " وعدد منهم خمسة أولهم بن زكرياء وابنه يحي بن زكرياء وأحفاده سعيد وأحمد وصالح وأبناء يحي وقد حكم هؤلاء الثلاثة الجزيرة وكانت جربة خاضعة إلى الدولة الحفصية ثم إلى بني مكي الذي كان واليا على قابس وجربة ثم خضع أبو يحي السمومني إلى سلطة خير الدين بربروس وأخيه عروج الذين كانا عقدا اتفاقا مع الأمير محمد الحفصي على أن يجعل من سواحل تونس مركزا للقرصنة في البحر ضد قرصنة الدول الإفرنجية ويكون للدولة الحفصية نصف الغنائم.

اتخذ بربروس وأخوه عروج جربة وحلق الوادي مركزا للإ:نطلاق ([69]) ويظهر أن وجود بربروس بالسواحل التونسية هو الذي دفع الإفرنج لاحتلال جربة وطرابلس.

استمرت أسرة السمومني في الحكم إلى سنة 997 هـ فنجد أن الشيخ مسعود السمومني كان خاضعا لحكم درغوث باشا صاحب طرابلس ثم يتولى السمومني بنفسه عقد الصلح مع الإفرنج ثم يوافيه الأجل في نفس السنة فيتبين لنا أن أسرة السمومني بقيت تحكم الجزيرة ما يزيد على ثلاثة قرون وتسعة أعوام من 688 هـ / إلى 997 هـ ثم انتقل حكم الجزيرة إلى أسرة بن جلود.

ثــورة أحمــد بــن مكــي علــى الــدولــة الحفصيــة

لما ثار المارينيون ملوك المغرب على الدولة الحفصية ثار أحمد بن مكي ([70]) وانظم إلى ملوك المرينيين ودخل بنو مكي في صراع مع الحفصيين يريدون الاستقلال عن الدولة الحفصية التي أرسلت إليه نجل أبي يحي زكرياء اللحياني الحفصي واليا على صفاقس وقابس وجربة وطرابلس وأمر أحمد بني مكي بطاعته وكاد الجو يتعكر بين المتنازعين لولا موت اللحياني بالوباء الذي إنتشر بجربة من سنة 743 هـ إلى 770 هـ وترك محمد بن العيون واليا عليها ولكن هذا الوالي بمجرد موت " تافراجين " 766 هـ أعلن عصيانه للدولة الحفصية واستبد بالأمر بجربة حتى سنة 774 هـ في هذه السنة هاجمه أبو العباس أحمد الثاني الحفصي بقيادة ولده أبي حفص عمر

---

[68] ابن خلدون ج 1 ص 576 و156 ط الجزائر - رسالة الحيلاني مخطوطة تتحدث عن الأحداث التي مرت بالجزيرة توجد في المكتبة البارونية بجربة.

[69] خلاصة تاريخ تونس ص 124

الأسبان وفرسان القديس يوحنا لصاحبه عمر البارونى ص 29.

[70] في سنة 755هـ توجه أحمد بني مكي إلى مدينة طرابلس ليتفاوض مع حامية جنوة على أن تنسحب قواتها من طرابلس بشرط أن يدفع لها خمسين ألف دينار ذهبا. جمع هذا المبلغ من المال من سكان جربة وقابس وقفصة والجريد والحامة وساعده ابن عثمان المريني - الحلل السندسية في الأخبار التونسية - محمد بن محمد الأندلسي - الوزير السراج - تحقيق محمد الهيلة.

فانتزع جربة من ولاية أبي العيون وسجنه حتى مات سنة 776 هـ 1374 م ومن ذلك الوقت بقيت جربة تابعة للدولة الحفصية.

جربة في عهد الأمير أبي فارس عبد العزيز الحفصي

غزا الإفرنج الجزيرة واتخذوها مركزا للاستيلاء على بقية السواحل التونسية وكون النصارى أسطولا قويا ومحاربين مدربين على القتال في البر والبحر وتوجه أسطول الإفرنج إلى الجزيرة ليفتكها من السلطة التونسية لانشغال أبي فارس الحفصي ببلاد الجريد البعيدة عن السواحل وأيقن الإفرنج أن هذه الجزيرة الضعيفة المعزولة برا وبحرا في استطاعتهم أن يضعوها تحت سيطرتهم ورقابتهم ولا تجد من يرسل إليها النجدة سوى أمير تونس أبي فارس الحفصي الذي كان مشغولا بالثائرين ببلاد الجريد.

وفي سنة 835 هـ خرج أسطولهم من أسبانيا مجهّزا بأحدث الأسلحة يحدوهم الأمل بالنصر بقيادة الملك " ألفونس الخامس «، ولما بلغ الجزيرة الخبر بتحرك الأسطول الأسباني في البحر، اجتمع مجلس العزابة في عجالة وطرحوا الموضوع للنقاش وإبداء الرأي وبعد استعراض جميع الآراء اتفقوا في نهاية الاجتماع على:

أولا: الاستعداد المادي والمعنوي للجهاد وجمع الكلمة حول القيادة للدفاع عن دينهم وشرفهم ووطنهم وأن يقفوا أمام العدو مهما كانت الخسائر ومهما كان عدد القتلى، يحاصرون العدو على السواحل ويمنعونه من التقدم إلى الأحياء السكنية التي يعمرها الضعاف من النساء والأطفال العجز.

أما الرأي **الثاني:** توجيه رسول على جناح السرعة إلى أبي فارس لإطلاعه على حقيقة الوضع ويطلبون منه الإسراع بالنجدة ومد يد المساعدة لأبناء الجزيرة إذا كان في استطاعته، وتوجه المبعوث إلى الجريد يستحث أبا فارس على النجدة. وانطلق مجلس العزابة يجمع الناس ويحثهم على الجهاد في سبيل الله فلما سمع المواطنون بخبر هجوم النصارى على الجزيرة أسرعوا إلى نداء الواجب فاجتمعوا تحت قيادة العزابة وهبوا إلى ميدان المعركة بكل ما لديهم من قوة الإيمان الصادق والثقة في النفس وفي ميدان المعركة تقابل الطرفان، فصبر المجاهدون الأبطال وبذل العدو ما يملك من جهد ليتقدم خطوة واحدة فلم يستطع واستمرت النيران مشتعلة بين الفريقين وكان القتلى يتساقطون من جيش العدو في تتابع واستمرار وثبت المجاهدون في وجه العدوان وكانت كفتهم الراجحة مدة الحصار رغم ما يتمتع به العدو من القوة والكثرة واحتفظ أولئك الصناديد بمراكزهم. ولما وصل الرسول إلى أبي فارس الحفصي وعلم بحصار النصارى للجزيرة تخلى عن المهمة التي ذهب من أجلها إلى الجريد وطلب من المجاهدين الذين دفع بهم شعورهم الديني والوطني إلى الثبات في وجه العدو وأسرع الأمير بالمجيء إلى جربة رفقة جيشه وكان دخوله الجزيرة عن طريق " تربلة «.

وبهذه المساعدة الحفصية تعززت صفوف المجاهدين بدخول محاربين جدد يتقدون حيوية وحماسة لكسبهم شرف الشهادة أو نيلهم شرف النصر، وبمجرد دخولهم ميدان القتال، ارتبك العدو وشعر المهاجمون الأسبان بالرعب في قلوبهم مما أدى بهم إلى النزول في البحر ورجعوا على أعقابهم منهزمين فلحق بهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويغنمون مما يقع تحت أيديهم من سلاح وأموال. رأى قادة الحرب أن يتفننوا في القتل حتى تكون هذه الحادثة عبرة للمعتدين وحتى لا تحدثهم أنفسهم بالعودة إلى الجزيرة

يقول أبو راس ([71]): لما قدم أبو فارس بعساكره وجد أهل الجزيرة في أشد القتال ونزل الإفرنج فهجم المسلمون عليهم هجمة واحدة في وقت نزوح البحر ولم يجدوا للفرار سبلا ووضعوا فيهم السيف فلم يبق منهم إلا القليل.

يقول علي يحي معمر: ([72]) كانت هذه المعركة من أهم المعارك الخالدة لأبطال جربة لأنهم أثبتوا للعالم كله شرقيه وغربيه أنهم أشد الناس صبرا على المكروه وأقواهم احتمالا وأكثرهم تمسكا وأشدهم إيمانا بالله وثقة بنصره ولولا شجاعتهم ورباطة جأشهم لما انتصروا.

بنـاء القنطـرة البحـريـة بجـربـة ([73])

أمر أبو فارس الحفصي ببناء الجسر البحري الذي يربط جربة بأرض جرجيس سنة 835 هـ ولما استقلت الجزيرة قرر الجربيون هدم هذا الجسر البحري الذي تسبب لهم في أتعاب من جراء هجومات الغزاة والطامعين في جمع الأموال من هذه الجزيرة المسالمة حماية لهم من الهجومات التي كانوا يخشونها دائما من سكان الجنوب التونسي ومن الإفرنج الذين انتصر عليهم أبو فارس وخلص جربة من هجماتهم وبنى برؤوسهم برجا ([74]) أعيد بناء هذا الجسر البحري سنة 1952 م في آخر الدولة الحسينية وقد عثرت مصلحة الآثار على رخامة كتب عليها اسم جربة بالحروف اللاتينية وطول هذا الجسر 7 كلم من الشمال إلى الجنوب وفي وسط الطريق قناة تمر منها الأسماك والسفن الصغيرة من الناحية الشرقية إلى الجهة الغربية وبالعكس.

---

[71] مؤنس الأحبة في أخبار جربة ص 104.

[72] الحلقة الثالثة الإباضية في تونس علي يحي معمر ص. 242 و243

[73] سير الشماخي ص 557.

[74] بني برج الجماجم على ساحل البحر من جهة الشمال من الجزيرة قرب الميناء وبقيت جماجم القتلى في مكانها حتى أمر أحمد باي الأول بدفنها سنة 1848 م بطلب من بعض سفراء الأجانب وبني مكانه نصب تذكاري نقش على رخامة تاريخ الواقعة.

برج الجماجم

القـرصنـة فـي البحـر الأبيـض المتـوسـط

استمر العدوان الأسباني لمدة ثلاثمائة سنة من 1492 إلى 1792 م ([75]) بين الجزائر وأسبانيا و تمكن ملوك أسبانيا من توحيد دولتهم ومسكوا الأمور بيد من حديد تحمل السيف والأخرى تحمل الإنجيل وأصبحوا يطمحون في بسط سيادتهم على القارة الأوروبية والقارة الإفريقية وذاقت أوروبا الأمرين لأن الأسبان كانوا يحاولون إعادة ممتلكات الإمبراطورية القديمة وساروا لا يتحملون رؤية دولة أخرى تنازعهم السيادة وتقاسمهم خيرات البر وتجارة البحر.

بهذا المد الاستعماري استطاعت القرصنة المسيحية أن تتحكم في حوض البحر الأبيض المتوسط تحكما كاملا إذ كانت الأساطيل تنطلق من شواطئ أوروبا مجهزة بكل وسائل القتال لتقتنص ما تجده في البحر من سفن إسلامية وتهاجم ثغور الشمال الإفريقي لتختلس منها ما يسهل اختلاسه أو تقيم فيها مراكز للعدوان، وتؤيد هذه الحركة فرسان القديس يوحنا الذي تؤيده الكنيسة وتبارك أعماله.

اتخذ الأسبان جزيرة جالطة القريبة من الشواطئ الإسلامية مركز انطلاق العدوان على المغرب الأقصى ثم الجزائر فهجموا على المرسى الكبير ثم وهران وبجاية والموانى التونسية حتى احتلوا طرابلس سنة 916 هـ / 1510 م ولم يبق من سواحل المغرب العربي إلا جزيرة جربة لقد تركوها واهتموا بغيرها لأنهم كانوا يظنونها لقمة سائغة سهلة الازدراد لا قيمة لها ولا مدد يأتيها من الخارج وأن احتلالها لا يتجاوز بضع ساعات.

---

[75] أحمد توفيق المدني- حرب 300 سنة بين الجزائر وأسبانيا -الشركة الوطنية للنشر والتوزيع طبع بالجزائر 1976ص79 -

قــوة الجيــش الأسباني تتحطــم علــى سـواحــل جــربــة

استقبلت أوروبا المسيحية نبأ احتلال طرابلس بفرحة عظيمة وبهجة عارمة وقد شجع هذا النجاح ملوك أسبانيا أن يدفعوا بحملاتهم ضد إفريقيا الشمالية دفعة واحدة وشاركهم الإيطاليون والصقليون والمالطيون، وفي 10 أوت سنة 1510 م نظمت روما موكبا دينيا ابتهاجا بنبأ سقوط طرابلس ودعا مندوب البلاط البابوي المسيحي في بلونيا إلى تنظيم مظاهرة كبيرة تعبر عن فرحتهم وبهجتهم باحتلال طرابلس ([76]) أما البلدان الإسلامية فقد تقبلت خبر سقوط طرابلس بشعور الأسف والأسى وخاصة تونس ومصر.

وقد جرت استعدادات جادة من طرف الأسبان خلال الشتاء والربيع سنة 1510 - 1511 م لمواصلة حملاتهم على إفريقيا الشمالية وكان من المقرر أن تسافر الحملة من ميناء مالطة ولكن الأحداث التي وقعت في إيطاليا قد صرفت الملك " فاردیناند " عن الشؤون الإفريقية ولضمان استمرار سيطرته على طرابلس واتخاذها قاعدة للعمليات الحربية القادمة على سواحل إفريقيا الشمالية، شرع القرصان الأسباني الكبير في تنفيذ خطته الجهنمية لاحتلال جربة وقبل دخوله مرحلة التنفيذ طلب الكونت " بيدوردي نافارو " من نائب ملك صقلية الإشراف على حملة احتلال طرابلس وفي رسالة وجهت إليه من طرف القائد " بيدرو " بتاريخ 29 جوان 1510 م أن يرسل إليه المدافع. خرج الأسطول الأسباني يتركب من اثنتي عشرة سفينة بقيادة " دون بيدرو نفارو " جاعلا جربة وجهة نظره، وصلها الأسطول ليلة الثلاثاء 29 ربيع الأول سنة 916 هـ / 30 جويلية 1510 م رسى الأسطول الأسباني على الساحل القبلي قرب حصن القشتيل ونزل منه زورق صغير يركبه مبعوث " بيدرو " ([77]) يقول الباروني: أرسل القائد الأسباني ثلاثة رجال يتكلمون اللغة العربية ويحملون رسالة إلى شيخ الحكم أبي زكرياء يحي السمومني قصد التفاوض ولما وقف الرسول أمام قائد الجزيرة طلب منه باسم قائد الأسطول أحد أمرين إما تسليم الجزيرة وإما القتال فأجابه السمومني بأن أبطال جربة لهم رغبة في القتال وعليهم أن يخبروا القائد الأسباني بأن الجزيرة مستعدة للدفاع عن أرضها وكرامتها ودينها وأنهم لن يسمحوا للعدو أن يطأ أرضها إلا إذا أصبحوا جثثا هامدة. بعد أن عرف الأسبان تصميم عزيمة الشيخ وإصراره على المقاومة فكر القرصان الكبير في الموضوع طويلا أيقدم على خوض هذه المعركة أو يعود أدراجه ليزيد من قوته ما يضمن له النصر وكان الغيظ والحقد يأكلان قلبه ويحملانه على الإقدام ولكن صوت العقل والحكمة قد تغلب عليه وأخيرا قرر أن لا يعرض أسطوله لهذه المغامرة فرجع إلى طرابلس يجر أذيال الخيبة وصمم أن يضم إليه من القوة ما يكفل له تحطيم هذه القوة المرابطة في الجزيرة.

وفي نفس السنة رجع الأسطول الأسباني إلى جربة ضاربا الحصار على الجزيرة بمراكبه التي بلغت مائة وعشرين سفينة تحمل خمسة عشر ألفا من المقاتلين مدججين بأنواع الأسلحة وبأحدث ما ابتكره الإنسان من وسائل التدمير وترك لحماية طرابلس ثلاثة ألاف مقاتل تحت قيادة القائدين ساماناقو Samaniego وسالومينو Salomino نزل الأسطول الأسباني قرب القشتيل على بعد ميل من ساحل الجزيرة تقريبا وكان الشيخ يحي السمومني مرابطا عند قصر مسعود ([78]) ومعه المجاهدون من أبطال الجزيرة

---

[76] الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس. لعمر الباروني ص 44 - 45.

[77] عمر الباروني الأسبان والنورمان - القديس يوحنا في طرابلس ص 49

[78] قصر مسعود بناه مسعود المروني قرب القنطرة - في حالة خراب رسالة الحيلاني ص 7 ج مخطوط بالمكتبة البارونية

وهو يذكرهم ويحرضهم على القتال وما أعد الله من النعيم للمجاهدين في سبيل الله.

هجم العدو على الجزيرة الآمنة وليس لها مدد إلا من الله إذ لا يبلغ سكانها من الرجال والنساء والأطفال ثلاثين ألفا من بينهم ثلاثة ألاف مجاهد. وفي الصباح الباكر من يوم الجمعة نزل عدو الله بعساكره من السفن وبدأ الاستعداد للهجوم فرتب جيشه القوي في صفوف متتالية كلما انهزم صف تقدم الصف الثاني الذي يليه.

أما أبو زكرياء السمومني فقد رتب جيشه على صف واحد طويل مقابلا لصفوف العدو وكان أبو زكرياء على فرسه يطوف ويتفقد الأبطال ويشجعهم ويدعوهم للصبر والثبات وبدأ النصارى بالهجوم فولى المسلمون الأدبار فلحق بهم الجيش الأسباني إلى داخل الجزيرة وفي حيلة حربية نصبها المجاهدون تركوه يتقدم واستعد جماعة من المجاهدين ومعهم الشيخ السمومني فقطعوا بينهم وبين البحر حتى لا يجدوا وسيلة للفرار ثم هجموا عليهم بالسيوف وطوقوا بهم من كل مكان تشجعهم صيحات التهليل والتكبير المتعالية من مختلف الجهات وكأنها رعود قاصفة تفجرت من قلوب المؤمنين وانهالت كتائب المجاهدين الصامدين تفتك بالأسبان في حملات صادقة لا تعرف إلا النصر والاستشهاد واستمر القتال بين الفريقين وانهزم الأسبان أمام المجاهدين الذين لا يتجاوز عددهم ثلاثة آلاف قد طوقوا العدو من الخلف وقطعوا عنهم خطة الرجعة إلى سفنهم فخارت قوة جنود العدو وضعفت عزائمهم واستسلموا للأمر الواقع وحاول بعضهم الفرار فابتلعه البحر وقد ارتفع عدد الضحايا إلى ثلاثة آلاف قتيل،

ومات قائد الحملة الإسبانية " دون غارسيا الطليطلي دوق البا " وعدة شخصيات أخرى من نبلاء الأسبان وكان عدد الأسرى أكثر من عدد القتلى وقد قدره بعض المؤرخين بستة آلاف شخص فيهم عدد كبير من الأسرى الذين غنمتهم الأساطيل الإفرنجية في بعض المعارك السابقة فوجد أولئك الأسرى فرصتهم المناسبة وفروا من السفن الإسبانية ليلا والتحقوا بإخوانهم المسلمين ناقلين إليهم أخبار عدوهم ولما أحس الأسبان بالهزيمة انسحبوا إلى أساطيلهم يحملون بقايا رجالهم وعتادهم تاركين ثماني عشرة سفينة وفي صباح يوم 31 أوت تجمعت سرايا الجيش الغازي في بقايا السفن وغادروا الجزيرة التي لقنتهم درسا لا يمكن أن ينسوه فعادوا إلى طرابلس، لكن لما أقلعت السفن وتقدمت في البحر هبت عواصف شديدة منعت الأسطول من التحرك وأغرقت عددا من السفن فوصلت بقايا الأسطول إلى مدينة طرابلس يوم 19 سبتمبر 1510 م تجر ورائها ذيول الهزيمة.

في هذه المعركة سجل المجاهدون بدمائهم صفحات خالدة في تاريخ الجزيرة وتاريخ الإسلام أمام أعظم أسطول احتل المرسى الكبير بالجزائر واستولى على مدينة وهران وبجاية وطرابلس وانهزم الأسبان لأنهم اعتمدوا على الجانب المادي، أما المسلمون فقد اعتمدوا على الجانب الروحي المادي فنصرهم الله ([79]).

يقول: " روجار " لم نرى أكثر حماسا من هؤلاء فهم في الحقيقة يتهافتون على الموت رغبة في الحصول على شرف الاستشهاد في سبيل الله، ومات في هذه المعركة " دون غرسيا الطليطلي " وفرسان القديس يوحنا وكثير من نبلاء الأسبان.

---

[79] رسالة سلامة الجناوني مخطوط بالبارونية ورسالة أبي الربيع الحيلاتي – مخطوط بالبارونية – علي يحي معمر-الإباضية في موكب التاريخ الحلقة الثالثة ص 256.

لقد اعتمدت في معلوماتي على المؤرخين الذين عاصروا هذه الأحداث أمثال سلامة الجناوني والحيلاتي وأبو راس لأنهم أقرب إلى الصحة بل كان سلامة الجناوني يحضر مجالس أبي النجاة يونس التعريتي حين كان أهالي جربة يجهزون أنفسهم للدفاع ولا يستبعد أن يكون حضر تلك المعركة وشارك في أحداثها ([80]) واطلعت على وثيقة من الرسائل الصادرة من جربة إلى جبل نفوسة تصف المعركة بخط شعبان بن مسعود بن أبي زكرياء الباروني ويمكن الاعتماد عليها لأنها تذكر أحداث المعركة إذ لا تقل أهمية عن الوثائق والتقارير الحربية التي ترسل في تلك الفترة من ضباط الواجهات إلى رؤسائهم ([81]).

حملــة إسبانية فــاشلــة ضد جزيـرة قـرقنـــة

لما فشلت القيادة الإسبانية في جربة وانهزمت قواتها فكرت في مكان آخر آمن. وفي شهر فيفري 1511 م توجه الأسطول الأسباني إلى قرقنة وأنزل فيها ألف مقاتل بقيادة " درودي نافارو " المنهزم في حملة جربة، نزل بمكان يعرف باسم ماجل السلطان، ليختبر الحالة العامة وليبني بها برجا يكون مركزا ينطلق منه وحصنا يأوي إليه ويحتمي به وكان الهدف من إقامة هذا الحصن هو استعمال قاعدة بحرية لسفنه ينطلق منها للقيام بعمليات حربية قادمة ضد الثغور الساحلية وخاصة جربة.

لكن أبطال قرقنة أسرعوا إلى هذه الحملة الصليبية وفكروا في مصير جزيرتهم فقرروا الجهاد وجمعوا صفوفهم ووحدوا كلمتهم وجمعوا المجاهدين وهجموا على العدو بقوة قوامها ستمائة مجاهد من المسلمين وكان النصر في هذه المعركة حليف المجاهدين فقضوا على كامل رجال الحملة الإسبانية ولم يبق منهم رجل واحد على قيد الحياة ([82]).

أسـرة عـروج وخيـر الـدين بـربــروس

عاشت هذه الأسرة في جزيرة " مدلي " وهي من أصل تركي من بقايا المجاهدين الذين استقروا بهذه الجزيرة، فأبوه يعقوب يوسف كان مسيحيا وأسلم وقد ترك لنا ثلاثة أبناء محمد إلياس وقد اختار طريق العلم والتبحر في دراسة القرآن والفقه أما عروج وخير الدين فاختارا البحر وكانت حياتهما مليئة بالمغامرات.

تولى عروج قيادة الأساطيل في مقتبل الشباب وكانت حياته مليئة بالمغامرات أسره " فرسان رودس " مدة معينة ثم أطلق سراحه.

وكان عروج مقيما مع أسرته في جزيرة " مدلي " وحاول الأعداء أسره من جديد فألقى بنفسه بين أحضان البحر على مقربة من سواحل قرمان التركي فأكرمه ابن السلطان " بيازيد " ورأى فيه الجندي المغامر فجهز له سفينة قرصنة وبعث به غازيا في بحار إيطاليا حيث كانت الحرب ضد المسلمين على أشدها فاستولى عروج على سفن أخرى لإيطاليا وكذلك على سفينتين محملتين ببضائع ثمينة تابعتين لدولة البابا والتجأ إلى مرسى الإسكندرية بعد أن دفع الخمس من الغنائم لبيت مال المسلمين ثم ركب البحر من جديد على رأس عمارة صغيرة وانضوى تحت لوائه جماعة من المجاهدين الأقوياء

---

[80] علي يحي معمر - الإباضية في موكب التاريخ الحلقة الثالثة ص 258.

[81] ملحق كتاب السير للشماخي.

[82] ملحق كتاب السير الشماخي.

وعزم على أن يلقي بثقله في الجهة الغربية من حوض البحر الأبيض المتوسط لأنه يحن إلى أرض الأندلس ثم اختار جربة مركزا لأعماله. والتحق به خير الدين على رأس سفينة قرصنة حربية واتجها إلى شبه جزيرة الأندلس لينقذا اللاجئين من المسلمين الفارين بدينهم من الأندلس إلى شمال إفريقيا ([83]) وأصبح هذان الأخوان مصدر الرعب والفزع في البلاد النصرانية المتاخمة للبحر الأبيض المتوسط.

وطّد عروج وخير الدين بربروس الصلة بينهما وبين الأمير الحفصي أبي عبد الله محمد 899 هـ / 1494 م الذي أباح لهما الاستمرار في نشاطهما مقابل دفع الخمس له مما يغنمان فكانا يتوليان القرصنة ويلتجئان بأسطولهما إلى جزيرة جربة ومدينة المهدية وغيرهما من البلدان الساحلية تحت حماية ذلك الأمير الحفصي وقد اكتسب الأخوان أموالا طائلة وشهرة فائقة عظيمة.

ونتيجة لتعدد القرصنة على سواحل أسبانيا قام ملكها برد الفعل ضد الجزائر التي كان بها مركز للقرصنة وحاصر المرسى الكبير فاستنجد سكانها بخير الدين بربروس فأنجدهم واحتل الجزائر في سنة 922 هـ / 1516 م وتولى عروج حكم الجزائر ثم قام بربروس باحتلال مدينة تلمسان وأصبحت الجزائر وما حولها تحت نفوذه وذلك سنة 924 هـ / 1518 م تحصل على مساعدات من جربة ومن المشرق وأمدته دولة تركيا بقوة عسكرية تمكن بفضلها من التوسع وطرد الأسبان من بجاية واعترف خير الدين بربروس بالتبعية للسلطان العثماني " سليم خان " وأصبح يخطب باسمه ويدعو له على المنابر فعينه سليم خان واليا على الجزائر سنة 930 هـ / 1523 م بعد أن أطلق عليه لقب أمير الأمراء باعتباره الرئيس الأعلى لكل البايات الذين يتولون الحكم في الجزائر وسمح له السلطان أن يضرب العملة باسمه وذلك علامة الاستقلال ضمن الإمبراطورية العثمانية.

وبعد أن استقر خير الدين بالجزائر سعى في سنة 932 هـ / 1525 م إلى الاستيلاء على حلق الوادي وجربة ثم استولى على بنزرت ثم قدم العاصمة التونسية واحتلها سنة 935 هـ / 1529 م وخطب باسم السلطان العثماني في مساجدها واستتب له الأمن.

ظهـور درغوث باشا فـي البحـر الأبيـض المتـوسـط

يبدو أن وجود خير الدين بربروس وأخيه عروج بالسواحل الإفريقية هو الذي دفع الأسبان لاحتلال طرابلس وغزو جربة في زمن أبي زكرياء يحي السمومني.

وتغفل المصادر التاريخية الحديث عن صالح ابن يحي بن زكرياء السمومني الذي شارك إخوانه في حكم الجزيرة.

يقول محمد أبو راس ([84]): قدم درغوث من طرابلس سنة 960 هـ بعساكره من الترك وزوارة وأولاد شبيل يريد احتلال جربة وأرسل يحي السمومني حاكم الجزيرة إلى أحمد بن حسن الحفصي يطلب منه حمايته فلم يلتفت إليه لعجزه واختلال أمره، فهجم درغوث باشا ودخل الجزيرة من الساحل القبلي.

---

[83] أحمد توفيق المدني- كتاب حرب 300 سنة بين الجزائر وأسبانيا ص 158.

[84] محمد بوراس –تحقيق المرزوقي - كتاب مؤنس الأحبة في أخبار جربة ص 112.

اجتمع أهل جربة بقيادة الشيخ صالح السمومني وقاتلوا قتالا شديدا فانهزم أهل الجزيرة واستشهد منهم ألف ومائة شهيد ([85]) واستولى درغوث على الجزيرة ورتب قوانينها واستخلف عليها عامله الشيخ مسعود بن صالح السمومني الذي كان خاضعا لحكم درغوث باشا حاكم طرابلس، وكان درغوث يقود أسطولا للقرصنة في حوض البحر الأبيض المتوسط يصارع الأسبان وفرسان مالطة، ويلتجئ بسفنه إلى جربة ومرة إلى المهدية وكان المسيحيون يطاردونه من مكان إلى مكان ليريحوا أنفسهم منه وذلك سنة 957 هـ / 1550 م.

حاصروه بالمهدية فأفلت منهم إلى جربة فالتحقوا به وحاصروه في مياه جربة وباتوا يحلمون بالقبض عليه إلا أن مهارته ([86]) سفهت أحلامهم.

حفر درغوث طريقا بريا للسفن لا يزيد عمق الماء فيه عن المتر الواحد ونصفه الآخر طريق مفروش بالأخشاب المطلية بالزيت والشحوم قرب شبه جزيرة القنطرة " تربلة " والمسافة التي حفرها طولها خمس مائة متر، دفع الرجال السفن إلى القناة التي حفرها ليلا عبر شبه جزيرة " تربلة " وخرج درغوث بأسطوله كاملا إلى الخليج " خليج بوغرارة " ومنه مضى إلى أعالي البحار ([87]) وعندما فتح المسيحيون أعينهم صباحا لم يجدوا أثرا للسفن المحصورة وأدركوا الحيلة التي لجأ إليها درغوث فأقلع أسطولهم إلى سواحل إيطاليا خائبا ([88]) في هذه الفترة بدأ يتزايد نشاط الدولة التركية في البحر الأبيض المتوسط وخاصة على سواحل الشمال الإفريقي بواسطة أبطال وهبوا حياتهم للجهاد في سبيل الله من أجل إنقاذ شمال إفريقيا من الاحتلال الأسباني الذي يمتد من الجزائر إلى طرابلس.

وكتب أتباع درغوث يعلمونه أن أهل جربة غاضبون على مسعود السمومني الذي كان ضعيف الشخصية عاجزا على تحمل المسؤولية ولأن حاشيته سيطرت عليه حتى أصبح لعبة في يدها تسيره حسب أغراضها وترتكب باسمه ما تشاء فكثر الظلم وأهدرت الحقوق وتحرك السكان لرد العدوان من جديد، فجهز درغوث جيشا وعاد إلى جربة لينتقم من الشعب الثائر على الظلم.

ارتكب درغوث في هذه الجزيرة من الفواحش ما يتبرأ منه الدين فقد سلب جيشه الأموال وقتل الأنفس البريئة وسبى النساء والأطفال وهكذا قضى درغوث على أبطال الجزيرة وكان فيمن قتلهم درغوث علاّمة زمانه الشيخ أبو سليمان التلاتي ([89]) رجع درغوث إلى طرابلس يحمل الأموال والأسرى ولما علم الأسبان أن السيوف التي كانت تصدهم قد تحطّمت وأن العزائم الصامدة التي لا تعرف الهزيمة قد استأصلت جهزوا أسطولا وقصدوا جربة ولما بلغ مسعود السمومني خبر تحرك الأسطول الأسباني جمع حوله ما بقي من الرجال واستقبل بهم العدو ووقعت بين الطرفين معركة عنيفة لم يستطع الإفرنج أن يتقدموا خطوة وطال الحصار وخشي شيخ الجزيرة أن يدب

---

[85] بسبب انهزام الجربيين أمام أسطول الجيش التركي دب خلاف بين العلماء فريق قال لا يجوز قتال هذا الجيش المسلم التابع للخلافة العثمانية وقال فريق من العلماء علينا أن نسمع ونطيع فالأمر موكل إلى مركز الخلافة إذا أرادت أن تكون جربة تابعة للحكومة التونسية أو تابعة لولاية طرابلس ولا يجوز أن نعرض أنفسنا للقتال.

[86] كان درغوث أمهر قائد بحري عرفه التاريخ في القرون الوسطى وقد عينته الحكومة التركية واليا على طرابلس سنة 960 هـ ـ بعد مساع طويلة لعزل مراد وتوليته مكانه.

[87] دائرة المعارف ص 150.

[88] عمر الباروني- الأسبان وفرسان القديس يوحنا ص 121.

[89] سليمان التلاتي كان مدرسا في مسجد القصبين بحومة فلالة له عدة مؤلفات تولى رئاسة مجلس العزابة وأصبح من أهل والعقد يرجع إليه في جميع المهمات

الوهن في صفوف جيشه فصالح الأسبان على أن يسلّم لهم حصن القشتيل فقط ولا يتجاوزونه ([90]) ومن الغريب أن درغوث لم يفك الحصار على الجزيرة ولم يتعرض إلى هذا الأسطول بل هرب إلى طرابلس يحمل معه خمسين ألف دينار من الجزيرة.

كره سكان الجزيرة أن يبقى الأجنبي في بلادهم فأرسلوا وفدا إلى دار الخلافة يطلبون منها إرسال قوة تطرد الأسبان من حصن القشتيل فاستجابت دولة الخلافة لطلبهم وجهزت قوة بحرية أرسلتها إلى طرابلس على أن يتولى درغوث قيادتها وكان درغوث في ذلك التاريخ مشغولا بتهدئة الثائرين على عماله، فلما وصله المدد من الخلافة العثمانية وطلبت منه قيادتها تطهير جربة من القرصنة الأجنبية وجه ضربته إلى الإفرنج القائمين في القشتيل بمساعدة سكان جربة من الداخل وطهّر أرض الجزيرة من العدو ([91])

وفي سنة 967 هـ / 1560 م توفي الشيخ مسعود السمومني ومنه انتقل حكم جربة إلى أسرة بن جلود إلا أننا لا نعلم هل أنه توفي قبل طرد النصارى أم بعده.

إنتصاب الحمـــايـــة الإسبانية بتـــونـــس

تم انتصاب الحماية الإسبانية على البلاد التونسية سنة942 هـ / 1535 م بمقتضى معاهدة بين قائد الحامية الإسبانية وبين الحسن الحفصي المستنجد بهم ضد الأتراك تخول للحكومة الإسبانية التصرف في مدينة بنزرت وحلق الوادي ومدينة عنابة والنزول حيث شاءت وشاركته في الحكم وغير ذلك من شروط القوي على الضعيف فلم يتقبل الشعب التونسي هذه الشروط وثار مع أبي القاسم أحمد الحفصي عامله على مدينة عنابة الذي قاد الثورة وزحف على تونس وافتكها عنوة بعد قتال عنيف وأمسك الحسن وفقأ عينه ([92]) وأخرج الأسبان من العاصمة التونسية واستولى أحمد على الحكم.

وفي سنة 942 هـ استطاع الأسبان أن يتحصنوا بمدينة طرابلس وجربة والمهدية والمنستير وجهز ملك أسبانيا شرلكان ([93]) أسطولا قويا قاده بنفسه فنزل به حلق الوادي ومنها زحف إلى العاصمة فدخلها سنة 942 هـ 1535 م وأمر جيشه بنهب المدينة ولقي سكان تونس أنواعا من الجور والظلم ما لا يوصف وزاد الطين بلة تطاول الأسبان على المعالم الإسلامية التي أهينت حروماتها لقد ربط الأسبان خيولهم بجامع الزيتونة وألقي ما فيه من نفائس الكتب المخطوطة في الطرقات وحمل منها إلى مكتبة الفاتيكان

---

[90] نزلت هذه الحملة على الساحل الشمالي عند مسجد الشيخ سالم اذروم - ذكرها كتاب السير للشماخي ص 579.

[91] الحيلاني،سليمان بن أحمد-علماء جربة المسمى برسائل الحيلاني،تحقيق محمد فوجة. ص51

ويقول محمد الوراني الزياني: ازدهرت التجارة في جربة على الرغم من هذه الحروب، وبلغ دخل الوالي من المكوس وضريبة الملح ثمانين ألفا قيمة عملة أسبانيا من الذهب وظل قليل من التجار الإيطاليين يترددون على ثغور هذه الجزيرة للمتاجرة مع تجار تونس وصفاقس ومصر وتركيا فاشتهر تجار جربة بتصديرهم الأقمشة إلى مصر ومن أعمال القرصنة ضد الأمم المسيحية واشتهرت جربة بثورتها على الرغم من أعمال السلب والمذابح والنفي من جراء الغزوات المسيحية. وتجار صفاقس يقدمون من البحر إلى الجزيرة يشترون الزيت والغلال كالتفاح والتمر وغيرها. وكانت جربة تزود تجار البندقية الزائرين بالملح وازدهرت صناعة صيد الأسماك وكانت الجزيرة تصدر الأقمشة الصوفية الملونة وغير الملونة التي تصنع بجربة وكانت البضائع تخزن في الفنادق التي كانت تأوي التجار المسيحيين.

[92] حسن حسني عبد الوهاب- خلاصة تاريخ تونس - طبع الدار التونسية للنشر سنة 1076. ص 153

[93] شرلكان أوكرلوس الخامس كان من أعظم ملوك أسبانيا تولى الحكم سنة 1516 م وكان ملكه يشمل أسبانيا وألمانيا والنمسا وهولندا وإيطاليا والبعض من أمريكا.

بروما. ولا نشك أن جربة قد نالها ما نال عاصمة تونس من ظلم الأسبان وجورهم وطغيانهم وبقيت جربة وتونس تحت سيطرة الأسبان يتجرع السكان مرارة الظلم ويستغيثون بإخوانهم المسلمين فجاء نصر الله وهب الأسطول التركي وخلص البلاد من الاستعمار الأسباني وقضى على الحكومة الحفصية 981 هـ

جـربـــة فـي عهـد التبعيـــة التـركيـة

بعد وفاة خير الدين بربروس أمير الأسطول التركي في حوض البحر الأبيض المتوسط سنة 1540 م بمدينة إسطنبول في سن الثمانين من عمره، عين سليم الثاني درغوث بن علي التركي واليا على طرابلس سنة 960 هـ / 1553 م ونظرا للمكانة التي يتمتع بها درغوث باشا في تاريخ الجزيرة كان لزاما علينا تسليط الأضواء على نشأته. ولد درغوث بن علي التركي سنة 890 هـ من أسرة فقيرة بإحدى قرى بلاد الأناظول وكان درغوث عصاميا بنى مجد أسرته بنفسه وقد اندفع منذ شبابه إلى حياة البحار واشتغل أول أمره ملاحا بسيطا يجذب المجاديف ثم مدفعيا ماهرا وأظهر تفوقا ومقدرة ثم قرصانا عظيما بعث الرعب في سفن البندقية في بحر الأرخبيل وارتفع بمغامراته وشجاعته إلى مراتب القواد القادرين.

فلما علم به خير الدين باشا ضمه إليه نظرا لما اكتسبه من شهرة في قيادة السفن حتى نال رئاستها العليا ومن ذلك التاريخ صار درغوث المساعد الأيمن لخير الدين باشا.

وكان درغوث يهاجم سواحل جزيرة كورسيكا وسردانيا إذ لم يجد في البحر ما يهاجم وما يغنم ولا يرجع إلى قواعده إلا بعد أن تكون سفنه مثقلة بالغنائم والأسرى تزوج درغوث من فتاة أحد الأتراك المولودين في جربة ([94]).

أما الذي بلغنا عن غزوات درغوث باشا فقليلة جدا والذي نعلم عن حياته كانت حافلة ومليئة بالأحداث العظمى التي قهر بها العدو وفي سنة 1540 م وقع درغوث أسيرا في إحدى غزواته على جزيرة كورسيكا لدى الأمير " دوريا الصغير حفيد أندريا " أمير الأسطول شارل الخامس وعندما حضر مكبلا فوق سفينة القيادة بالحديد لاحظ دوريا استخفاف درغوث به فأمر بضربه بالسياط ضربا مبرحا وأهينت كرامته وربط إلى سارية السفينة وبقي درغوث في الأسر أربع سنوات مربوطا في مجاديف أسطول " أندريا دوريا "

وكان سراحه بتدخل من حكومة الأستانة لدى شارل الخامس. قدم الأسطول التركي في مائة سفينة كبيرة أمام سواحل إيطاليا ليجبر حكومتها على تسليم درغوث مهددا إياها بالضرب ودك بنيانها وحمل سفنها إذا امتنعت عن تسليمه ولم يكن أمام حكومة جنوة إلا أن تطلق سراح درغوث خوفا من استفحال الأمر ونزول نقمة العثمانيين ورجع أمير البحر إلى سفينته وأسطوله ولم يزده الأسر والتعذيب الذي لاقاه من العدو إلا إصرارا على المضي في عمله دون هوادة أو خوف.

بعد أن تخلص درغوث من الأسر عاد إلى البحر مرة ثانية وقلبه مفعم بالإيمان الصحيح الصادق في تخليص البلدان الإسلامية من الحملات الصليبية.

---

[94] عزيز سامح - ترجمة عبد السلام الأدهم- الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية - طبع دار لبنان للطبع والنشر بيروت طبعة 1389 هـ ـ ص 23

وكان درغوث باشا يطمع أن يضم البلاد التونسية إلى ولايته حتى تكون جميع الموانى تحت نفوذه فيستطيع تركيز قوته فيها لضرب البحرية المسيحية التي لا تنفك عن مهاجمة الثغور الإسلامية والتي كادت أن تتحكم في حوض البحر الأبيض المتوسط فشرع درغوث في تنفيذ هدفه انطلاقا من ثغر المهدية التي اتخذها قاعدة أسطوله وعاد إلى مهاجمة السواحل الجنوبية الإيطالية والإسبانية ولكنه لم يستطع أن يقف أمام الأسطول الأسباني الذي انتزع منه مدينة المهدية في شهر سبتمبر 1550 م.

اتجه درغوث باشا وجهة أخرى فهاجم شواطئ إيطاليا وأسبانيا ثم عاد إلى جربة، بينما جنود البندقية والأسبان يضيقون عليه الخناق ويجدون في البحث عليه وأخيرا لما علمت الدول النصرانية بوجود درغوث على ساحل جربة تجمع أمراء البحر من أسبانيا وتوجهوا إلى جربة لمحاصرته على ساحل الجزيرة لأن مراكب درغوث الثمانية راسية في قنال القنطرة مشغولا بتشحيم سفنه وهو غير مستعد للحرب وكانت أساطيل العدو تتألف من مائة وخمسين سفينة حربية مختارة من أساطيل البندقية وجنوة وأسبانيا.

حاصر الأسطول الأسباني السواحل الشرقية ليمنع درغوث من الفرار ويقضي عليه نهائيا ولكن درغوث استقل سفينتين وهاجم على سفن الأسطول الإسبانية وأطلق عليها وابلا من قنابل مدافعه فاضطر الأسطول الأسباني إلى الابتعاد قليلا من المرفأ لمسافة تجعل أسطول درغوث في مأمن من القنابل وبقي أسطول العدو في مكان بعيد يراقب الميناء ولما حل الليل عمد درغوث مع جنوده إلى نقل المدافع إلى الربوة الكائنة بمدخل المرسى ولما طلع النهار أطلق النار على الأسطول الأسباني للابتعاد، وكان قائد أسطول العدو الأميرال " أندريا دوريا " وكان قواد البحر يظنون أن درغوث صار سجينا بين أيديهم ولا حاجة لاقتحام الميناء بالقوة لأنهم ضيقوا عليه الخناق فسيموت جوعا ولما تأكد دوريا من عدم وجود مكان يتسلل منه درغوث أخبر أوروبا مسبقا أنه ألقى القبض على درغوث وأخذ ينتظر القوة من صقلية وقام بنصب أوتاد بنقط مختلفة من المضيق إلى الميناء لتحديد المسافات حتى لا يقع أسطوله في فخ لا يستطيع الخروج منه وأبحر الكثير من أبناء النصارى في سفينة مزدانة ليشاهدوا بعيونهم كيف يقبضون على عدوهم.

ولكن درغوث ركب مركبه السريع وتوجه نحو أسطول العدو وفي طريقه أزال كل العلامات التي نصبها العدو وعاد دون أن يلحق به أي ضرر من القنابل والرصاص الذي صبه عليه الأعداء.

وأقام درغوث تحصينات جديدة على المرسى وزودها بالجنود والمدافع فجعلت من المستحيل على القارب الصغير أن يعبر.

وبدأ خير الدين باشا في دراسة المكان الذي يستطيع أن ينجو بسفنه إذا هاجمه العدو في ميناء القنطرة وكلف درغوث جنوده بمساعدة الجربيين على أن يعمقوا مجرى الوادي ليفتح منفذا في القسم الترابي على مسافة ميلين حتى يصل البحر ومدت على الطريق ألواح سميكة طليت بالشحم لتنزلق عليها المراكب وخلال هذه الأشغال كانت بطريات درغوث تطلق نيرانها بلا انقطاع لجلب أنظار العدو بعد أن تم له تعميق مجرى الوادي.

قام درغوث بسحب سفنه ليلا بجهود الرجال والدواب ودفعها إلى الجانب الغربي في ظلمة الليل ثم نقل المدافع والجنود إلى السفن دون أن يترك سوى خيام بالية ولكن أمراء أسطول أسبانيا الذين قدموا مع أندريا دوريا سئموا الانتظار وتذرعوا بالصبر في انتظار المدد.

ولما غادر درغوث جربة بسفنه التقى بسفينة القيادة الصقلية وسفينة مالطية وكانت تحملان أبناء الأمراء السابق ذكرهم فعاجلهما درغوث بالهجوم إلا السفينة المالطية البالغة السرعة تمكنت من الإفلات، أما ركاب

السفينة الصقلية فقد وقعوا في الأسر في يد درغوث ولما وصلت السفينة المالطية إلى جربة أخبرت القائد أندريا دوريا بأن درغوث يتجول في عرض البحر الأبيض وأنه هاجم سفينة صقلية وأسر ما فيها من سلاح وجنود وأنه استولى على سفينة حاكم صقلية، لم يصدق الأسبان في أول الأمر هذا النبأ وظنوا أنها من الحيل التي يلتجأ إليها درغوث لإبعادهم عن الجزيرة ولما تقدم الأسطول الأسباني في اتجاه ميناء القنطرة للتأكد من الأمر فوجئ بالأماكن التي كانت تفتح نيرانها بالأمس خالية ولم يبق أمام الأسطول إلا الرجوع من حيث أتى وبذلك أصبح درغوث باشا مسيطرا على شواطئ أسبانيا وإيطاليا.

وفي عام 958 هـ / 1551 م وبعد هذا الانتصار اتجه درغوث باشا إلى الأستانة واتصل بالسلطان ورجلات الدولة التركية وحرضهم على تخليص سواحل إفريقيا وطلب منهم أن يساعدوه حتى يقضي على الأساطيل المسيحية.

درغـوث بـاشـا يلحـق جربـة بحكمـه

منذ تولى درغوث باشا الحكم بطرابلس سنة 960 هـ / 1553 م فكر في أن يلحق جربة بحكمه، سعى بعض المناهضين لنظام الحكم في جربة والذين يجرون وراء المناصب لأطماع دنيوية الاتصال بدرغوث واقترحوا عليه أن يستولي على جربة وأن يضمها إلى طرابلس لأنها مركز حيوي هام وسهلة الإفتكاك من سلطة تونس ولأنها جزيرة صغيرة ليس فيها حامية من دولة تونس وطلبوا من درغوث أن يوليهم الحكم عليها اقتنع أعضاء مجلس العزابة برأي أهل التجارة بأن إلحاق جربة بطرابلس لا يعود عليهم بالخير فبعثوا إلى أحمد الحفصي لنجدتهم وحمايتهم من درغوث وطلبوا منه أن تبقى جربة تابعة للدولة التونسية ولكن الأمير الحفصي خيّب أملهم لأنه مشغول بمقاومة الثورات الداخلية والخارجية. واغتنم درغوث ضعف الدولة الحفصية وتوجه بأسطوله إلى هذه الجزيرة الآمنة، ووقع بين الإخوة قتال شديد خسرت فيه جربة أشجع أبطالها وأفضل شبابها وخيرة فتيانها لأن درغوث لما دخل جربة أباح للجند أن يرتكبوا ما شاؤوا ولم يفرق الجيش بين المحاربين من المسلمين وبين العزل والمسلحين فاضطر أولئك الذين أمسكوا عن القتال على دخول المعركة والخوض مع الخائضين وقتل في هذه المعركة أكثر من ألف قتيل وخسرت جربة عددا هاما من خيرة رجالها الصادقين، وبعد أن استتب الأمن لدرغوث وعاد الهدوء إلى الجزيرة بقي مدة يرتب أمرها وعين عليها الشيخ مسعود السمومني واليا ثم رجع إلى طرابلس مبتهجا بهذا النصر العظيم

ولما أحست الحامية التركية بضعف شخصية السمومني ارتكبت باسمه كثيرا من المظالم وأهدرت جميع الحقوق وهتكت الحرمات فضج الجربيون ولم يعد في الإمكان مواصلة الحياة على هذا النمط من العذاب والبلاء الوارد إليهم من طرابلس فكتبوا مرة ثانية إلى سلطان تونس لحمايتهم حتى يطمئنوا على أنفسهم من جور عمال طرابلس.

كتب أتباع درغوث في جربة وأعلموه بما جرى من الأحداث السياسية الجديدة فجهز درغوث جيشا ضخما آخر سنة 967 هـ / 1560 م وعاد إلى جربة ليؤدب العلماء وأتباعهم فنزل حصن القشتيل الوادي ولم يتقدم أحد لمقاومته هذه المرة فارتكب فيها من الفواحش ما ينكره الدين.

ولما اختل الأمر بالجزيرة ثار أهل جربة على مسعود السمومني وحاصروه في حصن القشتيل نحو أربعة أشهر وعينوا مكانه رجلا قويا عرف

بالصلاح و سافر مسعود إلى طرابلس ليستشير درغوث في ما حدث. اتفق الجربيون خلال غيابه على عزله وأرسلوا إلى تونس يطلبون تعيين عبد الله البرجي مكان مسعود ([95]).

ولما سمع درغوث بهذا الانقلاب غضب على سكان جربة فجهز جيشا لإخضاع المتمردين على سلطانه فقتل عبد الله البرجي وسلخ جلده وحشاه نخالة وأرسله إلى طرابلس سنة 1014 م.

بعث عثمان قارة داي جيشا لطرد الحامية الطرابلسية فوقعت معركة بين الفريقين سقط فيها عدد من الضحايا وانهزمت فيها القوة الليبية، وعزل عثمان داي عامل جربة عمر بن موسى بن جلود وطلب من الأفاضل أن يتقدم أحدهم إلى إمرة الجزيرة فلم يجد من يتحمل هذه المسؤولية، وفي هذه المعركة خسرت جربة اثنين وأربعين رجلا.

جـربــة فـي عهـد أسـرة بـن جلـود

ولى درغوث باشا الشيخ موسى بن جلود عاملا على جربة سنة 967 هـ / 1560 م وقد استقر الوضع بجربة مدة حكمه ولما توفي وتولى الحكم مكانه ابنه عمر بن موسى بن جلود. أساء السيرة في الرعية وكثر الظلم بما فرضه على الناس من أموال طائلة لخاصة نفسه فغضب المجتمع الجربي على هذا العامل الجائر.

وقاست جربة المتاعب والفتن الداخلية في عهد أسرة ابن جلود فقد تنازع أبناء هذه الأسرة على الحكم وتقاتلوا وكاد بعضهم لبعض وانقسم سكان الجزيرة مع انقسام الحكام وكانت أصابع بعض الشخصيات التركية تحرك هذه الفتنة وتساعدها في بعض الأحيان وتستأجرها وكان هؤلاء الحكام المتقاتلون لا ينفكون في جمع الضرائب وفرض الغرامات ومصادرة الأموال كلما أحس الواحد منهم بحاجة إلى المزيد من المال وفرض غرامة على جهة أو قبيلة أو أسرة أو على الجزيرة كلها وترسل تلك الأموال إلى مقر الدولة، فأحمد بن جلود ذهب إلى طرابلس وطلب منها المدد ليحتل جربة ولكن سلطة طرابلس لم تستجب لطلبه فعاد إلى الجنوب التونسي وجمع حوله عددا من الأنصار الطامعين في الغنيمة من منطقة ورغمة وعكارة وغيرهم ودخل بهم الجزيرة لقتال موسى بن جلود فاحتمى موسى بالبرج الكبير ثم فر إلى صفاقس.

هجم العربان الذين قدموا مع أحمد بن جلود على مدينة حومة السوق ونهبوا ما فيها وتولى أحمد الحكم على جربة.

ولما وصل موسى إلى مدينة صفاقس وجد هناك يونس بن علي بك معسكرا هناك فلما أخبره الخبر وطلب منه العون جهز له جيشا وأمره بالرجوع إلى جربة وطرد ابن عمه أحمد، وصل موسى بن جلود إلى جربة ومعه جيش عظيم فتلقاه أحمد بمن معه من الأنصار ولما رأى العربان كثرة جيش موسى وحسن استعداده للقتال ولووا هاربين عن طريق " تربلة " ([96]) خوضا في البحر فلحق بهم جيش موسى وقتلهم على آخرهم ولم ينج منهم إلا القليل

---

[95] عبد الله البرجي رجل فاضل مستقيم تولى الحكم من سنة 1007 - 1014 هـ ـ - رسالة الحيلاني ص 13 مخطوط.

[96] طريق تربلة يقع في جهة الجنوب الغربي من الجزيرة غرب برج العقرب كانت الإبل تقطعه وقت النزحة، دخل منه أبو فارس عبد العزيز الحفصي سنة 835 هـ ـ بجيوشه لتخليص جربة من سيطرة النصارى.

الذين ركبوا السفن قبل وصول الجيش ورجع موسى إلى قرية آجيم فاستباحها وانتهبها.

أما نهاية الشيخ موسى كانت مؤلمة فقد اختل عقله وحبس نفسه بمسجد تاجموت بحومة وادي الزبيب ثم انتحر لما عزله علي باشا صاحب تونس ثم أمر بمصادرة أمواله وتخريب دور سكناه ([97]) ولم يبق منها إلا الأطلال ونقل علي باشا إلى تونس جميع ما في الدور من نوافذ وأبواب وأخشاب ونفائس فبنى بها قصر دار القنصل السويدي في باب البحر قرب السفارة البريطانية اليوم.

أما ابن عمه أحمد فقد عاد إلى الحكم مرة ثانية إلى جربة يحكم بأمر محمد الرشيد باي سنة 1172 هـ / 1759 م ولم يمكث في الحكم إلا سنة واحدة ثم عزل فتولى مكانه الشيخ سعيد بن صالح بن جلود ودام في الحكم إلى سنة 1215 هـ وبموته انقرضت إمارة أسرة بن جلود من جربة.

صورة قصر بن عياد بصدغيان

جـربـــة فـي عهـد أسـرة بـن عيـاد

تولت أسرة بن عياد الحكم في الجزيرة في عهد الدولة الحسينية وأول من تولى الحكم من أبنائها حميدة بن عياد.

في سنة 1209 هـ من خمس ليال مضين من شهر ربيع الأول قدمت تسعة مراكب مشحونة بالعساكر من مدينة طرابلس أرسلها علي برغل ([98]) بقيادة محمد قارة وأرسى أسطوله بالساحل القبلي بمرسى الرملة قرب برج آغير نزل الجيش ودخل الجزيرة فلما بلغ الخبر القائد حميدة

---

[97] دور سكنى أسرة بن جلود شمال مسجدهم جامع الشيخ طريق صدغيان الرملي وهي الآن خراب

[98] علي برغل: كان موظفا بولاية الجزائر اغتنم الفتنة التي حصلت بين علي باشا القرملي وولده يوسف فطلب من السلطان ولاية طرابلس فأسعفه بالطلب بمساعدة أخيه – محمد بوراس-مؤنس الأحبة في أخبار جربة ص 121.

بن عياد هرب إلىصفاقس فاستقبله القائد محمود الجلولي وأنزله عنده وأرسل إلى حمودة باشا خبر هجوم القائد قارة وفرار حميدة بن عياد.

استولى محمد قارة على الجزيرة ونزل في منزل حميدة بن عياد، ولما بلغ القائد قارة بجيشه إلى مدينة حومة السوق أعلن الأمان لسكان الجزيرة وأمن العساكر المرابطين في الأبراج ففتحوها من غير قتال ولما وصل الخبر حمودة باشا باحتلال محمد قارة الجزيرة جهز أسطولا بحريا وجيشا برياً تحت قيادة مصطفى خوجة وتوجه إلى طرابلس فخاض معركة طاحنة ضدّ " علي برغل " فهزمه واحتل مصطفى خوجة طرابلس ونصب أسرة القرملي من جديد ([99]).

رجع القائد مصطفى خوجة إلى تونس مارا بجربة ليخلصها من محمد قارة الذي فرّ بعساكره لما بلغه تحرك الأسطول التونسي نحو الجزيرة اعترضه في سواحل الجزيرة من الناحية الشمالية الغربية قرب حصن جليج فوقع بين المعسكرين قتال عنيف انهزم محمد قارة ومات من عساكره عدد كبير وأخيرا فر قارة إلى الساحل القبلي من الجزيرة فوجد مركبا قادما من طرابلس راسيا في مرسى آغير مشحونا بآلات الحرب فركب هو ومن معه ورجعوا إلى طرابلس وذلك يوم 3 جمادى الأول فكانت مدة إقامته في الجزيرة ثمانية وخمسين يوما

الحــاج علــي الجزيــري بجــربــة

جهّز حمودة باشا جيشا تحت قيادة الحاج على الجزيري الذي غزا جربة بعساكره فاحتلها بالقوة وأخضعها لسلطانه وأباح القائد لعساكره أن ينهبوا دكاكين مدينة حومة السوق ونهبوا زيت جامع تاجديت ([100]) فأخذوا وأكلوا كل ما وجدوه ونهبوا زاوية إبراهيم الجمني.

وبلغ بهم الطمع حد الجشع فنهبوا كثيرا من أوقاف المساجد وهكذا أصيبت جربة بمحنة أخرى لم تكن تتوقعها وبقي الجزيري حاكما على جربة لمدة شهرين ارتكب فيها ما تنكره الشريعة.

أمام هذه الحالة السيئة التي تعيشها الجزيرة كون أهل جربة وفدا بعثوا به إلى حمودة باشا بتونس، فلما وصل الوفد عرض الأمر على الباشا فعاتبهم على تسليم جزيرتهم إلى علي برغل ثم قبل عذرهم ولما تبين حقيقة الأمر واستمع إلى طلبهم وشكاياتهم من سوء تصرف الجزيري ومعاملته القاسية لأبناء جربة بدون قانون أو شرع وعدهم بعزله.

لما عاد الوفد الجربي من تونس وعلم الجزيري أن حمودة باشا غاضب عليه وأمر بعزله خرج الجزيري فارا إلى المشرق حتى وصل الحجاز وهناك أصيب بمرض عقلي فمات سنة 1229 هـ وكانت مدة حكمه بجربة ثمانية أشهر إلا ثلاثة أيام وولى مكانه " محمد المورالي "ثم عزل المورالي وولى مكانه حميدة بن عياد يوم 13 شوال سنة 1229 هـ.

جــربــة تحت حكــم الــدولــة الحسينيــة

---

[99] عائلة القرملي: حكمت طرابلس وبرقة قرنا وربع من سنة 1711 م إلى 1833 م، المصدر كتاب طرابلس الغرب ص 94 - راسم راشد - إتحاف أهل الزمان أحمد بن ضياف ص 27.

[100] جامع تاجديت كان مدرسة علمية بحومة فاتو وكان أبو النجاة يونس التعريتي مدرسا فيها تخرج منها عدد من العلماء منهم الشيخ سعيد بن علي الدواي الذي أحيى وادي ميزاب.

عاشت جربة تحت حكم الدولة الحسينية من سنة 1209 هـ إلى 1289 هـ كانت هذه الفترة الزمنية أكثر استقرارا وأمنا، فقد كانت الدولة الحسينية تهتم بأمر الولاة وتستمع إلى الشكايات التي ترفع من سكان الجزيرة فتحاسب الولاة على تصرفاتهم وقد تعزل البعض منهم استجابة لرغبة السكان كما فعلت بالحاج علي الجزيري ([101]) وقد تخلصت جربة من جوره فعاد إلى جربة الأمن والاستقرار وعاد إليها المهاجرون من أبنائها وعاد الناس إلى نشاطهم الفلاحي والاقتصادي والصناعي فتحسنت الناحية الاقتصادية التي استنزفتها الحروب والضرائب والغرامات المسلطة عليها من بعض الحكام المنحرفين عن الدين.

الملاحق

أضرحة مشاهير علماء جربة

يقول الشيخ سليمان الحيلاتي في رسالته الخامسة في تاريخ الجزيرة: اعلموا رحمكم الله أن مساجد جربة أسست على التقوى وبنيت من مال حلال فلا ينبغي لمن يرجو لقاء الله أن يمنع ذكر اسم الله فيها ويسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم. ولا ينبغي أن يغفل عن زيارتها وزيارة أضرحة العلماء للذكرى والاعتبار لأن بذكر الصالحين والأولياء تنزل الرحمة وأولهم أبو مسور يسجا بن يوجين من قبيلة بني يهراسن دخل الجزيرة في آخر القرن الثالث للهجرة وقبره بجانب مسجد الفاهمين بقرية قلالة ذهب لزيارة خاله الشيخ ياتي فأدركته المنية فدفن هناك وثانيهم ابنه زكرياء فصيل وضريحه بمقبرة المجاهدين بخبلاش وعمنا الشيخ صالح اليهراسني مدفون بجانب مسجده وعمنا الشيخ يونس بن أبي زكرياء مدفون في مسجد سيدي صالح وعمنا الشيخ محمد كموس قرب المسجد بمكان يعرف بالجويني وأبو عمرو النميلي ضريحه شمال جامع الكبير والشيخ إدريس قبره بين ركن المسجد من ناحية الجنوب قرب الجابية من ناحية الجوف والشيخ إسماعيل الجيطالي مؤلف كتاب القناطر والقواعد في روضة شرقي جنوب مسجد جامع الكبير، وروضة أل مسور التي جمعت أحفادهم وفيها الشيخ سعيد بن يوسف المتوكل على الله الذي يرزق من غامض علم الله وعمنا الشيخ صالح أبو مسور في محراب هو وزوجته بغابة مرقان من حومة بازيم الغربية وأيضا الشيخ أبو سعيد بومسور ومنهم الشيخ يعيش موسى الزواغي الخيري في روضة بمنزل سكناه قبلي مسجده بحومة جعبيرة والشيخ قاسم البرادي في جبانة بطرف منزله شمال المسجد هو وأولاده الشيخ محمد وعبد الله وحفيده الشيخ سليمان والشيخ يحي البلاز اليستوني والمرابط يعقوب التغزويسني بمقبرتهم ومنهم العلماء البوليمانيون بمقبرة مسجدهم بحومة جعبيرة وفيها علماء أسرة الحيلاتي ومنهم الشيخ أحمد بن محمد وولده الفقيه محمد والعلامة الشيخ عبد الرحمان بن أحمد الحاصل على علم المنقول والمعقول من مصر ([102]) وقبره بقرب مسجده الكائن بين حومتي بني

---

[101] لما احتل علي الجزيري جربة أسرى من حامية طرابلس أربعمائة جندي فبعثهم إلى حمودة باشا بتونس فاستقبلهم وأكرمهم كبقية جنده المخلصين - المصدر - كتاب المنهل العذب - أحمد بك النائب ص 325.

[102] ومن تلاميذ الشيخ سعيد يونس الصدغياني كان مدرسا بجامع تاجديت بحومة فاتو توفي 1272 هـ.

فصيل وتيواجن هو وأولاده الشيخ محمد ومن معهم وفي مقبرة أسرة التغزويسني بجعبيرة ضريح الشيخ العابد الحاج عمر البلاز وضريح الشيخ ويسلان بن تبغورين بن جلداسن اليهراسني بحومة جعبيرة ويعرف الآن بسيدي باشيور ويسلان أما روضة الشيخ محمد بن احمد الصدغياني ([103]) والفقيه عبد الرحمان الخيري قبره تحت داره والمثنيون بآجيم روضتهم بمسجدهم من القبلة والويرانيون بآجيم منهم من دفن بمقبرة مسجدهم ومنهم من دفن قبلة منزلهم والمرابط الشيخ عمر بالحاج يحي بآجيم وعلماء بني ستة بسدويكش بمقبرتهم قبلي مسجد العطروشين بورسيغن والشيخ احمد وابنه الشيخ محمد والشيخ احمد الثاني بن محمد المجاهد في خدمة الدنيا والآخرة مات 1061 هـ والشيخ محمد بن عمر أبي ستة المشهور بالمحشي فاق الجميع في الفهم وغزارة العلم له عدة تآليف وشرح كتب الأصحاب وإبن عمه الشيخ سليمان بن احمد بوستة الغزير العلم في جميع الفنون وبقرب روضتهم قبر الشيخ قاسم المؤذن السدويكشي ومن سدويكش أولاد امشيشى بمقبرتهم، وفقهاء الزنكري قبورهم بقرب مسجدهم وقبر الشيخ يونس بن سعيد التعريتي الصدغياني بالقرب من جامع تاجديت بفاتو، أما الشيخ قاسم بن أيوب الجناوي وأخوه الشيخ يخلف وأبناؤهم في مقبرة مسجد تفروجين بوالغ القديمة ([104]) والشيخ قاسم بن سعيد اليونسي وأبناؤهم في مقبرتهم بمنزلهم القديم في حومة غيزن، والعزابة أبناء أبي يزيد الصدغياني بمقبرتهم بقرب مسجد لاكين وقبر الشيخ يحي بن يعقوب اليزمزتني بحومة مدراجن ([105]) والهواريون بقرب مسجدهم وقبر الشيخ زكرياء بن أفلح الصدغياني بقرب مسجده وقبر الشيخ عمر المكناسي بقرب مسجد بوليمان بصدغيان وقبر الشيخ سلامة الجناوي بجانب محرابه بحومة الزنكري وقبر عمنا الشيخ خليفة الزنكري قبلة منزله بحومة الأرباح وقبر الشيخ عبد الله المزراني الذي ينسب إليه جامع مزران مدفون بجانب داره بقرب المسجد هؤلاء الأعلام كانوا شموس ينيرون الجزيرة بعلمهم وصلاحهم فهم قدوة لمن أراد أن يعتبر، وقبر الشيخ سعيد بن عيسى الباروني والفقيه الحاج أمحمد بن يوسف الباروني وقبور المصعيين الشيخ أمحمد والشيخ يوسف وإخوانهم جميعهم في روضة الشيخ إسماعيل الجيطالي بالجامع الكبير طريق المطار

[103] محمد بن أحمد الصدغياني مؤسس جامع وادي الزبيب كان هذا المسجد مدرسة عظيمة.

[104] مسجد تفروجين كان مدرسة كبيرة أيام الشيخ عمر بن جميع في أوائل القرن السابع هجري ثم تولى التدريس بعده علماء الجناوني ثم الباروني.

[105] الشيخ زائد اللوغ كان مدرسا بجامع مدراجن سنة 914 هـ انتقلت أسرته إلى صدغيان.

بنـــاء الحصـــن الكبيـــر فـــي جـــربـــة

يعدّ برج الغازي مصطفى أو البرج الكبير من أبرز المعالم التاريخية بجزيرة جربة وأحد أهمّ المحاور التي ارتبطت بها أحداثها التاريخية.

ذكر هذا المعلم في عدّة مناسبات من طرف الرحالة والجغرافيين القدامى الذين أشادوا بعظمة بنايته خاصة وأن هذا البنيان الضخم ما كان ليختفي عن أنظار زوّار حومة السوق المقامة على الساحل الشمالي للجزيرة.

يعود بناء هذا المعلم الذي أجريت عليه عدّة ترميمات إلى القرن 15م, حيث شيّد بأمر من السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز الذي تنقّل سنة 1432م إلى جزيرة جربة لردّ الحملة الإسبانية التي كان يقودها الملك الأراغوني ألفونس الخامس بنفسه.

يقول صاحب دائرة المعارف الإسلامية:(أمر أبو فارس عبد العزيز الحفصي ببناء هذا الحصن سنة 864 هـ / 1432 م لحماية الجزيرة من هجومات النصارى.)

أثبتت الحفريات وأعمال الترميم التي أجريت على المعلم بداية من شهر جويلية 1968 وجود أسس لحصن قديم يعود الى القرن التاسع, يشابه في تصميمه حصن قشتيل الوادي الموجود قرب القنطرة وهو ما يبرّر رأي بعض المؤرخين بأن البرج هو ذلك الذي بناه القائد الصقلّي روجار دي لوريا سنة 1289م.

وفي سنة 1560م احتلّ الجيش الأسباني الذي وجّهه الملك فيليب الثاني لمحاربة الأتراك وعاملهم على طرابلس المسيطر على جربة الرايس درغوث باشا برج الغازي مصطفى, فحاصرهم الجربيون والأتراك أكثر من شهرين انتهيا باستسلام الأسبان وانهزامهم بعد أن خلّفوا هزائم جسيمة.

ثم لما سيطر درغوث على الجزيرة كلّف أحد أعوانه وهو القائد غازي مصطفى بتسيير شؤون الجزيرة وبترميم البرج وتجديده.

وتمت الأشغال سنة 1567م حسب ما تشير إليه اللوحة التذكارية التي عثر عليها في البرج.وفي الفترة الموالية وعندما أصبحت جربة تابعة لسيطرة البايات بداية من 1605م نصّبت في البرج وحدة عسكرية من الزواوة تتكون من ثلاثين رجلا ثم عوضت بمجموعة من اثني عشر جنديا يتقدمهم آغا, ومنذ ذلك العهد لم يقحم البرج في أي حدث عسكري هام, ويظهر أنه كان في القرن 19 في حالة حسنة.

وفي سنة 1881م انتصب الجيش الفرنسي داخل البرج فتدهورت في الأثناء حالة البناية, ثم غادره سنة 1903م بأمر من الباي.وسلّم المعلم إلى الحكومة التونسية التي أقرته معلما تاريخيا وطنيا في 15 مارس 1904م

شكل الحصن الكبير:

مستطيل الشكل 68 م على 53 م يتألف صور الحصن الخارجي من أربعة جدران معدل سمكها متر واحد ويدعم هذه الجدران أبراج مستديرة أو مربعة وهو مبني بالحجارة المنحوتة ويبلغ ارتفاعه من أسفل الجدار إلى قمته في بعض الجهات حوالي 10 متر رصفت فيها الحجارة المتوسطة الحجم ويحيط بالبرج خندق يبلغ عرضه 15 متر.

أما مدخل الحصن فقد ظهر من نتيجة التنقيب إن الباب الرئيسي كان يصل إلى الداخل عن طريق جسر متحرك ومنها إلى صحن كبير، أما أقسامه الداخلية فتضم مرافق متعددة من بيوت وساحات ودور علوية يصعد إليها عن طريق مدارج من الناحية الغربية من المدخل وقد أضاف إليه القائد التركي ([106]) سنة 1567 م بعض الغرف وشيد به مسجدا وقد سجل الغازي مصطفى بعد إتمام الإصلاحات التي أدخلها على الحصن رخامة طولها 55 صم على 17 صم وكتب عليها:

"بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، جدد هذا القشتيل المبارك بعد افتتاحه بأمر من مولانا السلطان أبي الفتوح سليمان بواسطة الباشا أبو المواهب درغوث على يد القائد المكرم غازي مصطفى سنة 968 هـ."

والتنقيبات الأخيرة كشفت لنا عن مجموعة كبيرة من الجرار وعدد كبير من الكور الحديدية والحجرية وأحجام الكور من الحجارة أكبر من الحديد التي كانت تستعمل للدفاع بواسطة المدافع مباشر من أعلى السور أو قذفها بواسطة المنجانيق من وراء الأسوار حيث يقف أعلاها المحاربون وكشفت الحفريات على عدد كبير من الفخار المطلي من صنع الجزيرة أو المستورد من الأندلس ومن مصر وسوريا ومن بين هذه القطع عدد قليل من الخزف والبريق المعدني يرجع إلى عهد القرن الخامس والسادس عشر مسيحي ([107]) بدأت أشغال الترميم في جويلية 1968 ومكنت من إعادة بناء الأجزاء الخارجية وتحصين بعض الأجزاء الداخلية كما مكنت هذه الأعمال من اكتشاف حصن ثان يعود إلى القرن الثالث عشر ميلادي.

---

[106] غازي مصطفى: أحد قواد درغوث باشا.

[107] المصدر: المحاضرة التي ألقاها الأستاذ رشيد غريب بالمؤتمر العالمي للتاريخ بجزيرة جربة في1982/11/6 وثيقة بمعهد الآثار بتونس

أبــراج الجــزيــرة

أمر علي باشا بن محمد بن علي التركي ببناء برج أغير وبرج القنطرة سنة 1250 هـ لحماية الجزيرة من الناحية الجنوبية ولمحاصرة برج القشتيل الذي اتخذته القرصنة المسيحية مركزا للهجوم على الجزيرة تنطلق منه على بقية الثغور الإسلامية أما برج جليج فقد أمر ببنائه حمودة باشا بن علي بن حسين التركي سنة 1209 هـ لحماية الجزيرة من الناحية الشمالية الغربية وتحول الآن إلى منارة تهدي السفن العابرة في خليج قابس.

وكان برج جليج معقلا لنفي الزعماء في عهد الاستعمار الفرنسي ومازال هذا الحصن يحرس مطار جربة الدولي. شكله مستدير وبداخله بيوت للسكنى.

أما برج آجيم فيقع شرقي الميناء بجانب مدخل آجيم يحرس الجزيرة من جهة خليج بوغرارة لأن مسافة البحر التي تفصل جربة عن دخلة ورغمة لا تزيد عن أربعة أميال تقطعها الجسور العائمة في نصف ساعة لأنه المدخل الرئيسي للجزيرة ولأن البحر في تلك الجهة يبلغ عمقه أكثر من أربعين مترا خاصة في الناحية الغربية من مجرى الوادي حدثني الصيادون من سكان آجيم أن هناك مدينة قديمة غمرتها مياه البحر من الجهة الغربية ومازالت بعض آثارها في البحر اكتشفوها عند صيدهم سمك المناني لأنهم ينزلون أعماق البحر ويقولون أن هناك أقواسا وبيوتا مازالت آثارها قائمة إلى الآن.

المســـاجـد الســـاحليـــة بجـزيـرة جـربـة

المتجول في الجزيرة يشاهد عددا كبيرا من المساجد على السواحل وكان الغرض من بنائها حراسة الجهات من هجومات النصارى أو من بعض الطامعين في النهب والسلب. بنى أهل كل جهة مسجدا يرابط فيه أهل الصلاح ليلا لحراسة البلاد. رابط الشيخ سالم أذروم ([108]) بالجهة الشمالية من المسجد على ساحل البحر شمال حومة بني باندو ثم نتتبع الساحل متجهين إلى الشرق نجد مسجد سيدي يوسف بحومة بوملال قرب الميناء ثم نتقدم فرسخين فنقف بمسجد سيدي زايد ([109]) شمال حومة فاتو والآن قامت مصلحة الآثار بإصلاحه فصار مصيفا يقصده أبناء الجهة بعائلاتهم وعلى بعد ثلاثة كيلو متر نجد سيدي إسماعيل مقابل حومة غيزن يصلي فيه سكان الجهة الصلوات الخمس والعيدين، أما مسجد الحشاني فيقع في رأس الرمل لقد اندثر وزالت معالمه بهجوم البحر عليه أما سيدي محرز فقد وقع ترميمه وتوسيعه والآن تقام فيه الصلوات الخمس والجمعة نظرا لتواجد السكان حوله وهذه الجهة سواحلها جميلة رملية فهي مصطاف للسائحين من جميع جهات

---

[108] شخصية جهادية رابط على الساحل الجوفي لجزيرة جربة. يعود بناء رباطه إلى القرن 10 هـ / 16 م

[109] كان هذا الوالي الصالح يعلم الأطفال نهارا ويرابط بالمسجد ليلا وكان من عادته أن يرمي شباك الصيد في البحر وما تجمع من السمك يوزعه على الطلبة وذات يوم لم يجد شيئا في الشبكة فذهب إلى مجلس العزابة وأخبرهم بذلك وقال لهم نخشى أنكم لم تتحروا في الأحكام التي صدرت من المجلس فراجعوا جميع الأحكام التي صدرت عن المجلس فوجدوا في أحد الأحكام قيراطا كان من نصيب أحد المتخاصمين فأرجعوه إلى صاحبه.

العالم الغربي والعربي بنيت عدة نزل فخمة مجهزة بأحسن وسائل الراحة حيث يجد السائح راحته ومتعته في هذه الجزيرة الهادئة لما حباها الله من جمال الطبيعة فيشاهد الزائر غابات الزيتون والنخيل الباسقة تتراقص أمام عينيه يحركها نسيم البحر فتشاهد السفن الصغيرة تقطعه جيئة وذهابا حاملة مجموعة من السائحين الذين يهوون ركوب البحر وخاصة في جزيرة الطيور تنصب فيها الخيام للسائح فيجد فيها راحته بالتمتع بالبحر والشمس وعند الزوال يتناولون الأكلة الشعبية الكسكسي بالسمك المشوي ويأكلون الغلال ويشربون الشاي والمشروبات الغازية من عصير الغلال وفي العودة يشاهدون عملية صيد يقوم بها أصحاب السفينة فيخرجون الأسماك بواسطة الشباك ([110])

أما مسجد الولي الصالح سيدي زكري فيقع شمال حومة مزراية وهذه الجهة اشتهرت بإنتاج التفاح لأن مياه الأمطار الساحلية عذبة تشاهد أشجارها محملة بمختلف أنواع الثمار كالمشمش والتفاح والتين والعنب والرمان والتمر وحولها منازل بيضاء لامعة لمعان شمس الضحى ذات قباب وأبراج قائمة على زواياها كأنها حصن من الحصون القديمة وفي كل بستان بئر تمتد منها جداول صغيرة تسقي أنواع الأشجار، ثم يصل بنا السير إلى ميناء التفاح الذي كان يصدر منه التفاح إلى أوروبا القديمة، وعندما تعرج إلى جهة الجنوب يقابلك برج الناظور المنتصب على ربوة يهدي السفن التي تعبر البحر شرقا وغربا وهو من أعلى المنارات في الجهة الشرقية يشاهد ضوءه من الشرق من مواني زوارة ومن جهة الشمال الغربي من سواحل صفاقس والبحر في هذه الجهة عميق يمكن للسفن الاقتراب من الساحل وبجانبه شبه جزيرة الحضرية حيث أقيم بها مسجد سيدي قاروس يحرس الجزيرة من الناحية الشرقية وفي الجنوب نجد برج أغير يرابط فيه المسلمون لحماية الجزيرة من هجومات النصارى ويوجد برج القنطرة في الناحية الجنوبية ويقابله جنوبا حصن العقرب المنتصب في البحر يحرس جهة ورسيغن وقرية سدويكش ثم نتجه إلى جهة غرب الجزيرة نجد مسجد الشيخ الخطاب ومسجد سيدي ياتي ومسجد أبي مسور ومسجد واد الزبيب هذه المساجد تحرس الجزيرة من الجهة الغربية لقرية قلالة وعندما تصل قرية آجيم تشاهد حصن آجيم في مدخل الطريق وشماله مسجد الولي الصالح الحاج محمد وعندما تسلك الطريق التي تربط المطار بآجيم تجد مسجد الشيخ يحي يرابط فيه سكان آجيم وعلى بعد خمسة كلم يوجد مسجد سيدي جمور يقع على ربوة عالية به مسجدان: صغير وكبير وهو مصيف لسكان الجهة، فهذه المجموعة من المساجد التي تقع على السواحل كانت حصونا يرابط بها سكان جربة لحماية البلاد وكان مشائخ العزابة يتفقدون هذه المساجد مرة في كل شهر ويتعهدون إصلاحها ورعايتها ويشجعون المرابطين ويمدونهم بما يحتاجون من المال والسلاح وكان الشيخ أبو زيد ابن أبى نوح الصدغياني والشيخ إلياس الهواري من قرية مزراية وشيخ قاسم اليونسي من حومة قشعيين يبدأون رحلتهم من مسجد عمنا عمر ([111]) بصدغيان ويمرون بجميع المساجد حتى يبلغوا مسجد الحارة بورسيغن سيدي قاروس وتنتهي هذه الرحلة بمسجد سيدي زكري وكان الشيخ سليمان بن عبد الله من أولاد أبي

---

[110] قمت برحلة في صائفة سنة 1975 لمعرفة جزيرة الطيور صحبة مجموعة من الإخوان ركبنا من ميناء حومة السوق وقطعت بنا السفينة مسافة أربعة كلم بحرا ثم نزلنا شبه الجزيرة حيث قضينا كامل اليوم وفي المساء عدنا إلى مدينة حومة السوق.

[111] ينسب إلى أحد رجالات الإباضة الوهبية من مرابطي السواحل.

يزيد الصدغياني يقوم بزيارة جميع المساجد الساحلية إلى أن وفاه الأجل سنة 1077 هـ.

أبـطال جـربـــة يقــاومــون الحمــايــة الفـرنسيــة

انتصبت الحماية الفرنسية على تونس بالقوة ([112]) وتحركت جيوشها برا وبحرا تحاصر السواحل التونسية لبسط نفوذها على كامل التراب التونسي. بعثت فرنسا بجيش يتألف من ثلاثين ألف جندي قصد مدينة الكاف برا فاحتلها ثم قدم الجيش يزحف نحو الوسط التونسي والجنوب، ثم أرسلت فرقة من أسطولها بقيادة الجنرال "بريّار" إلى مدينة بنزرت فاحتلها وأنزل بها ثمانية آلاف جندي مجهزين بأحدث الأسلحة وتقدم بجيشه نحو العاصمة التونسية فحاصر قصر باردو حيث يقيم الباي وتم توقيع الحماية باستسلام باي تونس، وهذا الاستسلام شجع الأسطول الفرنسي على بسط نفوذه على بقية المواني التونسية فاحتل مدينة صفاقس بعد مقاومة شديدة من أبطالها وذهب ضحيتها خلق عظيم ثم تقدمت الوحدات البحرية إلى خليج قابس لمحاصرة المدينة برا وبحرا.

نزلت فرقة من الجيش الفرنسي بمدينة قابس وانتصبت عند مجمع الميناء المسمى رأس الوادي غربي الغابة وبذلك تتحكم في المياه التي تتمول منها الواحة والمدينة ([113])

وقد صرح " ايف " بقوله ضربت كل من قابس وجربة بالقنابل وصمد أهل قابس للقتال وقدمت جماعة غفيرة من أبطال بني يزيد من الحامة ومن أبطال الحمارنة من جهة مارث وأبطال الحزم. شارك هؤلاء الأبطال مشاركة فعالة في الدفاع عن مدينة قابس فلم يستطع الجيش الفرنسي الاقتراب من المدينة وغاباتها إلا بعد نزال عنيف ذهب ضحيته جماعة من الأبطال فتقدم الجيش الفرنسي إلى جارة من مدينة قابس فتلقاه المجاهدون بالسلاح الأبيض وتمكن الفرنسيون من احتلال المنزل وفي نفس الوقت كانت قنابل الأسطول تضرب جارة والمنزل فلما اشتدت المقاومة حول مستودع الذخيرة وجّه العدو قنابله نحوه فانفجر المستودع واستشهد كل من فيه من المجاهدين واضطر الناجون إلى الفرار نحو الجنوب وثار الجنوب التونسي ثورة جامعة اجتمع زعماء العروش وجمعوا المال والسلاح من سكان جربة ومدنين وبقية الجهات والبعض منهم انتقل إلى حدود طرابلس طمعا في الاتصال بالسلطة التركية ليستمد منها العون والسلاح والتأييد.

وبعد سقوط مدينة قابس انتقل الأسطول الفرنسي لمحاصرة جزيرة جربة فرماها بقنابله ولم تستسلم الجزيرة للقوات المحتلة إلا بعد قتال مرير من أبطال جربة وليس في البرج الكبير حامية عسكرية تقوم بالدفاع عن أرض الجزيرة فاحتل الفرنسيون الحصن الكبير سنة 1881م.

الأوبئـــة التـــي أصـــابـت الجـزيـرة

يقول سليمان بن أحمد الحيلاتي ([114]): مرت بالجزيرة أمراض وبائية قضت على عدد كبير من سكان الجزيرة بسبب الجفاف وقلة المواد الغذائية

---

[112] انتصاب الحماية على تونس في 12 ماي 1881 م الموافق ل 12 جمادى الثاني 1298هـ ـ دائرة المعارف الإسلامية مادة قابس.

[113] دائرة المعارف الإسلامية مادة قابس.

التي تحمي الجسم من الأمراض فانتشر مرض الوباء الفتاك في كامل جربة ودام ثلاثة سنوات فسبب هذا المرض في موت عدد كبير من العلماء والأعيان وغيرهم وفي سنة 750 هـ وقع وباء كبير مات فيه طلبة الشيخ يعيش بن موسى الزواغي وقد رثاهم بقصيدة ثم وقع وباء ثاني مات فيه علماء أسرة البلاز ثم وقع وباء ثالث لم يبق إلا القليل من سكان الجزيرة وشبهوه بالوباء الجارف الذي وقع في صدر الإسلام ومات من أثاره الشيخ محمد بن سعيد التغزويسني وغيره.

وفي سنة 1117 هـ وقع وباء عظيم سموه بوباء إبراهيم الشريف ([115]) ودام هذا الوباء اثنتي عشرة سنة يظهر أحيانا ويغيب أحيانا وتوفي فيه من العلماء الشيخ يوسف بن أبي يزيد الصدغياني والشيخ عمر البغطوري والشيخ محمد بن سليمان الباروني وأخوه الشيخ احمد الباروني والشيخ احمد بن إسماعيل الشماخي والشيخ علي بن قيراط والشيخ يحي القاضي اليديسي والشيخ يحي بن يعلى والشيخ عمر بن أبي بكر الزيتوني وإخوانه وأولاده والشيخ إبراهيم بن ضو الجمني والشيخ علي بن يوسف المصعبي والشيخ حمودة الزيتوني والشيخ علي بن الحاج محمد ابن التومية والشيخ علي الشرفي والشيخ محمد الصدغياني والشيخ يحي القلالي ومن أعيان الجزيرة الحاج سعيد بن الحاج يحي بن يونس والحاج سعيد بن عمر كوردة وأولاده عن آخرهم والحاج قاسم بن دحمان وخلق كثير لا يحصى عددهم إلا خالقهم. وفر من الجزيرة عدد كبير إلى جبال غمراسن وجبال دمر وبلغ عدد الموتى سبعة مائة في اليوم الواحد ([116]) وانتقل هذا المرض إلى مدينة تونس ففتك بأهلها . ومن أسباب انتشار هذه الأمراض الوبائية في القديم هي فقدان المواد الغذائية في الأسواق وانحباس الأمطار وعدم وجود جهاز صحي يشرف على صحة المواطنين وإهمال الحكام وضعف الحكومة التي تشرف على حضوض الشعب لأن همهم حماية أنفسهم وسلطانهم من الأعداء في الداخل والخارج وجمع الأموال والشعب يموت جوعا وعطشا ومرضا.

والشبح المخيف والعدو الأكبر للبشرية هو الفقر والجهل والمرض هذه العناصر الثلاثة تقضي على حياة الشعوب وتزيلها من الوجود. فالمتجول داخل الجزيرة يلاحظ جهات عديد خلت من السكان وبقيت أثارهم كحومة بازيم الشمالية وحومة وادي الزبيب الشمالية وحومة بركوك هذه الجهات أصبحت خالية من السكان.

حدثني بعض شيوخ العلم ([117]) أن سكان صدغيان كانوا بالجهة الغربية من الجزيرة يسكنون جهة مرقان وبازيم والدليل على ذلك انتشار أملاكهم بهذه الجهة انتقلوا إلى الجهة الشرقية حيث المياه العذبة لأنهم يشتغلون بالفلاحة السقوية. تعتمد حياة المجتمع الجربي على الفلاحة

---

[114]ذكرها الحيلاني في رسالته الأولى ذكر فيها أهم الأحداث والأوبئة التي نزلت جربة ص 7 مخطوط بالمكتبة الباروني - وذكرها مؤنس الأحبة في أخبار جربة محمد أبو راس ص 127 - 130.

[115]سمي بوباء إبراهيم الشريف وسبب تسميته أن إبراهيم الشريف وقعت بينه وبين باشا طرابلس وحشة ومشاحنة، جهز إبراهيم جيشا وقصد به طرابلس فلما وصل جيشه المدينة قصد الولي الصالح الشيخ أحمد المراغي فطلب من إبراهيم أن يترك القتال حفظا لدماء المسلمين ولكن إبراهيم رفض طلب الشيخ فدعا عليه فسلط الله على جيشه مرض الوباء فمات أكثر عسكره فكر راجعا بمن معه إلى تونس وفي طريقه قصد جربة فخرج إليه أعيان جربة لاستقباله على الساحل الغربي فانتقل هذا المرض الفتاك إلى جربة قضى على نصف سكان الجزيرة ودام هذا المرض أثنتي عشرة سنة.

[116]إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان الجزء الثاني ص 82 تونس 1963.

[117]حدثني الشيخ سالم بن يعقوب مؤرخ الجزيرة وفقيها في القرن 15 هـ ـ / 20 م.

والتجارة والصناعة التقليدية وصيد البحر، كما ذكر انه مرت بالجزيرة أزمات اقتصادية يذهب الرجل إلى المدينة ليشتري ما يقتاته فيعود بكيسه فارغا. يبقى أهل جربة في خصاصة ينتظرون السفن الحاملة لبعض المواد الغذائية من مدينة صفاقس أو مدينة تونس أياما، سمعت أن كثيرا من النساء الفقيرات بقين مدة شهرين لم يجدن ما يطبخنه لأبنائهن من الحبوب وقالت إحداهن يشتري زوجي السمك فنطبخه ونشرب ماءه وفي سنة 1939م شاهدت كثيرا من العائلات من سكان حومة السوق خرجوا إلى الغابة يبحثون عن بعض النباتات والغلال يأكلونها مثل التمر وشاهدت الأشجار المثمرة قد يبست وماتت من الجفاف والزيتون أسقط أوراقه ندعو الله أن يقينا من الجفاف وأن يرحم مجتمعنا من نكبات الزمان ومن جور السلطان ويصلح أمر آخرتنا ودنيانا إنه كريم سميع مجيب.

جـــربـــة فـــي عهـد الاستقلال

حققت جربة تطورا عظيما وسريعا في جميع مجالات الحياة في الشؤون الاقتصادية والفلاحية والصناعية والصحية والعمرانية شأنها شأن بقية مدن الجمهورية التي شملتها نهضة عارمة.

وفي عهد الاستقلال اهتمت الحكومة بنشر التعليم الابتدائي فبنت المدارس الابتدائية في كامل أرض الجزيرة حتى بلغت عدد المدارس أربعين مدرسة ابتدائية يؤمها سبعة عشر ألف تلميذ وتلميذة وعدد المعلمين الذين يعملون في حقل التعليم 350 معلما بجربة وعدد قاعات التعليم 270 قاعة وأما عدد المساكن التي خصصت لرجال التعليم 54 مسكنا ([118]).أما المرحلة الثانية من التعليم الثانوي فقد بلغ عدد المعاهد الثانوية في مدينة حومة السوق ثلاثة ومعهد بميدون ومعهد بالماي ومعهد بالرياض ومعهد بقلالة ومعهد بآجيم.

أما في عهد الاستعمار فكان بالجزيرة أربعة قاعات تكميلية تابعة لأبناء البعثة الفرنسية بحومة السوق.

وفي فجر الاستقلال تم بناء المعهد الفني سنة 1968 به سبع وستون قاعة وعدد المدرسين 129 أستاذا وبلغ عدد التلاميذ 3000 وبه عدة شعب، أما المعهد الثانوي القديم فقد تم بناؤه سنة 1961 وبه عشرون قاعة للتعليم وبه عشر ورشات للبنين والبنات.

وتأسس المعهد الثانوي بمدينة ميدون سنة 1975 وأيضا تأسس معهد ثانوي بالماي سنة 1981 ساهم في بنائه سكان الجهة.

وفي قرية آجيم تأسس معهد ثانوي فتح أبوابه سنة 1982 م / 1403 هـ ثم تحمس سكان الرياض بمساعدة البلدية فجمعوا التبرعات من أهل الخير وفتح المعهد أبوابه لطلاب العلم سنة 1406 هـ 1985 م وسلك سكان قرية قلالة نفس الطريق وشرعوا في بناء نواة معهد ثانوي فتح أبوابه سنة 1406 هـ 1985 م.

أما التعليم العالي فقد تم بعث المعهد الأعلى للتصرف التجاري والفندقي بجربة في مدينة ميدون وفتح المعهد أبوابه لطلاب العلم سنة 1408 هـ1987 م

أما الميدان الثقافي فقد بنيت دار الثقافة " فريد غازي " بحومة السوق ودور ثقافة في ميدون ومحبوبين والماي والرياض وقلالة وآجيم وصدغيان.

---

[118] أخذت هذه المعلومات من مصلحة التعليم الابتدائي بجربة سنة 1985.

الميــدان الصحـــي

في سنة 1406 / 1985م تحقق أهم إنجاز صحي في جزيرة جربة ببناء مستشفى جهوي وفتح أبوابه لعلاج المرضى به جميع الاختصاصات زيادة على المستوصفات المنتشرة في كل عمادة يزورها الطبيب مرة في كل أسبوع.

ميــدان النقـــل

ومن أهم إنجازات النقل التي تحققت أخيرا محطة النقل العمومي بحومة السوق التي تأسست يوم 16 جانفي 1983 .
أما النقل الخارجي فيعتمد على طائرات تنقل المسافرين إلى خارج الجمهورية وداخلها، وحافلات تنقل الركاب من جربة إلى مدنين قابس صفاقس سوسة تونس وسيارات أجرة تنقل المسافرين من جربة إلى تونس.

الطـرقـات التـي أحـدثت بالجـزيــرة

أحدثت في عهد الاستقلال عدة طرق منها طريق حومة السوق ميدون والطريق الساحلية التي تمر بالنزل السياحية وطريق محبوبين سدويكش وطريق قلالة الرياض وطريق سدويكش قلالة، وتم تجديد وتوسيع طريق القنطرة حومة السوق وطريق آجيم جربة سنة 1980م.

الصنـاعـات التقليـــديـــة بجـربـــة

اشتهرت جربة من قديم الزمان بالصناعات التقليدية كصناعات الصوف وحياكة المرقوم والبطنية والفراشية والزربية والحولي والكليم والكدرون وأخذت هذه الصناعة شهرة عظيمة في حوض البحر الأبيض المتوسط ترسل هذه البضائع إلى أسواق مدينة تونس وكميات من الأغطية إلى الجزائر وإلى طرابلس وبنغازي ومصر عن طريق البر والبحر.
وبالجزيرة صناعة الصاغة وبها صناع ماهرون وأيضا بها صناعة عصرية كصناعة الأغطية القطنية والأردية الحريرية ترسلها إلى الأسواق الداخلية والخارجية وبها صناعة الأقفلة وصناعة العجين بقرية آجيم وصناعة الصيد البحري فأهلها بحكم جوارهم للبحر من أمهر الصيادين والسباحين وشواطئها غنية بمجموعة كبيرة من الأسماك فالصياد الجربي قنوع فقد تعود أن لا يصيد إلا كميات محدودة تفي بحاجته والأمر الثاني طبيعة الأمكنة التي يتوالد فيها السمك بكثرة خصوصا في خليج بوغرارة وبحيرة البيبان التي تعتبر هذه

الجهات هي أحسن الحقول التي تعيش فيها الأسماك ويستعمل الصيادون زوارق ومراكب من ذات المحركات الآلية وذوات الشراع العادية وأيضا هناك صناعة صيد الإسفنج الذي يوجد منه كميات كبيرة في خليج قابس وبحيرة البيبان ومن الصناعات التقليدية صناعة الحصيرة بمنطقة فاتو وصناعة الفخار بجهة قلالة وورسيغن.

البلـــديـــة بجـزيـــرة جـربـة

إن البلدية في المجتمعات الراقية تعتبر القاعدة الأساسية لتنظيم حياة المواطنين والسهر على مصالحهم وشؤونهم.
فالبلدية مصدر إشعاع حضاري بالنسبة إلى المناطق التي حولها، تخلق البلدية الحماس والغيرة على مصالح المدينة أو القرية وهي تساهم في تحسيس حالة البلاد اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وصحيا وعمرانيا وترفع مستوى المواطن.

إن هذه الجزيرة عرفت التنظيم البلدي منذ العهد البونيقي والروماني لأننا إذا تجولنا في المدن الراجعة إلى تلك الفترة التاريخية المنتشرة في أرض الجزيرة نشاهد آثار هذا التنظيم ظاهرا.

أما إذا رجعنا إلى تاريخ العهد الإسلامي فإننا نرى أن هذا التنظيم قديم يرجع إلى عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد وضع نظام الحسبة وديوان الرسائل ولجنة لوقاية وحفظ الصحية داخل المدينة المنورة.

تأثرت الجزيرة من قديم الزمان بهذا التنظيم لأنها كانت مركزا تجاريا فينيقيا من القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح. وفي سنة47 هـ 667 م فتح العرب الجزيرة فاستقر بها الإسلام وشملها تنظيم المدن بفضل تحضر سكانها من قديم الزمان وقد شاهدت مدينة حومة السوق أول تخطيط لها في بداية القرن الرابع الهجري على يد مؤسسها أبي مسور يسجا بن يوجين اليهراسني.

جربة كانت ومازالت ملتقى لحضارات مختلفة لأهمية مركزها في البحر الأبيض المتوسط لها روابط بين الشرق والمغرب عرفت كيف توفر أرضية الأخذ والعطاء والإفادة والاستفادة والحوار الإنساني الدائم.

تم إحداث أول بلدية بجربة في 13 سبتمبر 1887 (25 ذو الحجة 1304) أي 6 سنوات فقط بعد انتصاب الحماية وكانت تظم آنذاك المركز التجاري لحومة السوق (التي استقر بها اكبر عدد من السكان الأجانب) وكذلك مركزي الحارة الصغيرة والكبيرة (السواني والرياض اليوم) وبقيت على تلك الحالة إلى 20 ديسمبر 1935 حيث تم إحداث بلدية جربة الريفية التي كانت تشمل كافة مناطق الجزيرة إلى أن تم حلها في 26 مارس 1953 واقتصرت بذلك المنطقة البلدية على مدينة حومة السوق وقريتي الحارة الصغيرة و الحارة الكبيرة من جديد

ولعل من المفيد أن نعلم أن لجنة للوقاية وحفظ الصحة قد تم تركيزها قبل ذلك (24 جويلية 1884) وهي تعتبر المحاولة الأولى لإرساء نظام بلدي بالجزيرة ولقد نشطت هذه اللجنة خلال الفترة الواقعة بين 24 جويلية 1884 و11 نوفمبر 1885 ومن أهم مخلفاتها مجلة للصحة والوقاية العامة مشفوعة بأداء لفائدة اللجنة يدفع مقابل قيامها برفع الفضلات المنزلية وبأشغال التطهير داخل البلدة وهو أهم ما أنيط بعهدتها ولقد توقفت هذه اللجنة عن العمل عند انعقاد أول جلسة للمجلس البلدي الجديد بتاريخ 6 مارس 1887 التي عقدت لاعداد مشروع ميزانية لسنة 1304هـ ثم عقدت جلسة ثانية يوم 22 ماي 1887 للإطلاع على الميزان بعد حصول المصادقة عليه من طرف سلطة الإشراف. كل ذلك قبل صدور الأمر العلي المؤرخ في 13 سبتمبر1887 الذي بعثت بمقتضاه أول بلدية بجزيرة جربة.

- المرحلة الأولى

مع فجر الاستقلال تم إحداث بلديتين جديدتين وذلك في 25 سبتمبر 1956 وهما ميدون وآجيم وبذلك أصبح عدد البلديات في جربة ثلاث كما سعت بلدية حومة السوق إلى توسيع منطقتها لتضم المناطق السكنية القريبة من الحي التجاري وتم ذلك بمقتضى أمر صادر في 8 ديسمبر 1958.

وبقيت الحالة على هذا الوضع حتى سنة 1969 حيث تبين ان عمل البلديات الثلاث كانت تنقصه الجدوى لقلة الإمكانيات والموارد، هذا فضلا عن ان هذه البلديات كانت تقتصر في خدماتها على عدد ضئيل من السكان

المجاورين للمراكز التجارية، بينما كان سكان بقية مناطق الجزيرة محرومين من منافع العمل البلدي. لذلك اتجهت النية إلى إحداث بلدية موحدة تضم كافة مناطق جزيرة جربة، وتم ذلك بمقتضى الأمر المؤرخ في 19 افريل 1969. و نظرا لشمول المنطقة البلدية كامل تراب الجزيرة، وللطابع السكني الخاص الذي تمتاز به قرر المجلس البلدي تقسيم المنطقة البلدية إلى سبعة فروع، بغية توفير الخدمات البلدية بمختلف المناطق وتقريبها من المواطن. واثر صدور القانون الأساسي للبلديات في 14 ماي 1975 تم تحويل الفروع البلدية إلى دوائر، بمقتضى قرار صادر عن السيد وزير الداخلية بتاريخ 4 مارس 1977.

- المرحلة الثانية

تم تفكيك هذه البلدية الكبرى بمناسبة انتخابات ماي 1985، ونشأ عن هذا التفكيك إحداث ثلاث بلديات بكل من آجيم، ميدون وحومة السوق، تغطي كل بلدية مساحة المعتمدية التي تنتمي إليها، وذلك بمقتضى أوامر رئاسية صادرة في افريل 1985(تم إحداث بلدية جربة حومة السوق بأمر عدد 572 بتاريخ 8 افريل 1985، وهي تضم دائرتين هي دائرة الرياض ودائرة حومة السوق). ثم و في سنة 1990 تم إحداث دائرة ثالثة بمليتة بمقتضى قرار من وزير الداخلية مؤرخ في 8 ماي 1990.

-تعليق

لا يمكن، أن نستعرض بالتفصيل كل ما أنجز لفائدة المتساكنين خلال هذه المدة الطويلة، ولا حتى أهم الخدمات المسداة، ولكننا سوف نعمل على إبراز ما يميز كل فترة، على سبيل الذكر لا الحصر.

*يمكن أن نشير في البداية إلى أن اللجنة الصحية التي سبقت تكوين البلدية والتي كان لها فضل التمهيد لذلك، تتميز بإصدار مجلة للصحة والوقاية العامة، وهي رغم مرور ما يزيد عن قرن عن وضعها تحوي اختيارات عديدة ومبادئ لا يمكن اليوم الحياد عنها او أيجاد بديل أفضل منها.

*إن المتأمل في مداولات المجلس البلدي وفي القرارات المنبثقة خلال هذه الفترة يكتشف أن الاهتمام بالشؤون الصحية للمجموعة وبالدور المنوط بعهدة المؤسسة البلدية في هذا الميدان عريق، فهي توضح بما لا يترك أي مجال للشك بان الحس البيئي والصحي قد طبع العمل البلدي منذ انطلاقه، ثم انه قد شمل كافة الميادين.

ولكن مثل هذا الامتياز غير غريب على بلدية تستمد جذورها من لجنة صحية، عملت مدة ثلاث سنوات ومهدت لإحداث البلدية، وكان أهم ما خلفته لنا مجلة صحية، نجد بين فصولها صدى لما يشغل اليوم بال المستشارين وما تسعى لتحقيقه الدولة، من خلال البرنامج الوطني للنظافة والاهتمام المتزايد بتجميل المدن والعناية الفائقة بتهيئة مداخلها وتشجير حدائقها وشوارعها.

*أما بلدية جربة حومة السوق القائمة في المرحلة الأولى فإننا ننتقي من مختلف إنجازاتها نظرتها "الايكولوجية" واهتمامها بوجوب المحافظة على البيئة والخصوصيات المعمارية للجزيرة وذلك قبل حتى أن يعرف العالم مثل هذا الاهتمام حيث يؤرخ المختصون في هذا الميدان انطلاق الوعي البيئي وحركة المحافظة على المحيط بفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية في البلاد "الانقلوساكسونية" والخمسينات في البلدان المتوسطية. أما النصوص المتعلقة بالوعي البيئي والهادفة إلى المحافظة على المميزات العمرانية الصادرة عن بلدية جربة حومة السوق فإنها تعود إلى الربع الأول من القرن العشرين.

*يتضح من العرض السابق إن تحديد المنطقة البلدية مر بعدة تجارب فهي تتقلص تارة وتتسع تارة أخرى: إن هذا المد والجزر كان باعثه الأساسي

جبائيا بغاية توفير موارد بلدية في فترة الحماية، أما في المرحلة التي تلت الاستقلال فالواعز أنبل وأجدى. لقد احتك المسؤول البلدي بالواقع الجربي واستوعب الميزة العمرانية لجزيرة جربة، التي تنفرد بثنائية معمارية، فلا هي بحضرية صرفة ولا هي بريفية مبعثرة، معادلة صعبة لا مناص من اعتبارها عند من كان يرعى مصالح المجموعة، وفي النهاية برز المنهج الأسلم لتمكين المراكز التي خطت خطوات شاسعة في التحضر من مواصلة خطواتها بثبات من ناحية وتعميق المد العمراني بالمراكز والنواحي التي تخلفت عن الركب، هذا بالإضافة إلى الاستجابة إلى الضغوطات العمرانية المتصاعدة مساحة وكيفا ونوعا، والى التجاوب مع سياسة التاطير الأكثر شمولا والألصق بالمواطن.

الحلقة الثانية

بسم الله الرحمان الرحيم

الحياة الثقافية في جزيرة جربة

كانت جزيرة جربة ولا تزال تزخر بنفائس المخطوطات النادرة موجودة داخل المساجد، يوم كانت هذه المساجد مدارس علمية تنشر الثقافة الإسلامية عبر مر العصور حيث تلاشت هذه المخطوطات ولا يزال منها إلا نزر قليل داخل المكتبات الخاصة عند بعض العائلات العلمية والمطلع على هذه المخطوطات يجدها عبارة عن مصنفات ألفت في فترات متتالية من تاريخ الجزيرة وتحتوي على علوم دينية من تفسير للقرآن الكريم وحديث، وفقه وعقيدة ومنطق وحساب، وقد وقع تدوين معظم هذه الكتابات من خلال الدروس التي كانت تلقى داخل المساجد ولم يقتصر دور هذه المخطوطات على الاستفادة منها في التعليم بل ساهمت وساعدت الكثير على التأليف بين الطبقات المثقفة من علماء الجزيرة ومن خارجها.

وهذه الدراسة من شأنها أن تبرز إسهام أبناء الجزيرة في مجهود البحث العلمي لبلادنا. حيث توجد مجموعة هامة من الجرائد والمجلات ودراسات قام بها جربيون في مجالات عدة : كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والهندسة... منها ما يتعلق بجربة ومنها ما يتعلق بأماكن أخرى.([119])

وفي آخر القرن الثالث للهجرة انتهى أمر الإمامة في المغرب العربي بعد ثورات داخلية وخارجية دامية امتدت زمنا طويلا أدى ذلك إلى انقطاع الاتصال السياسي بين جربة ومركز الدولة الرستمية بتاهرت الجزائر. كما قل الاتصال بين جربة وجبل نفوسة الذي بات يعاني النكبات المتوالية المسلطة عليه من الخارج : نذكر منها واقعة مانو ([120]) التي ذهب ضحيتها الكثير من علماء الجبل.

وعلى ضوء هذه الأحداث السياسية التي مرت بشمال إفريقيا رأى علماء جربة ضرورة العودة إلى نظام حياتهم خلال العهود الماضية قبل الدخول تحت لواء حكم الدولة الرستمية، وعليهم أن لا يحتكوا بالثوار الذين حاولوا الانقضاض على الدولة الناشئة وبذلك تكون محافظتهم على الجزيرة من أن تكون مركزا للعدوان. وكان همهم الوحيد: العيش أحرارا محايدين ومهتمين بالنشاط العلمي فأسسوا المدارس لإصلاح مجتمعهم وكان لهم ذلك بأن إزدهرت الحياة العلمية بإقبال الشباب على التعلم في هذه الفترة التاريخية الحرجة، حيث قدم أبو مسور يسجا بن يوجين اليهراسني من جبل نفوسة سنة 280هـ تقريبا بعد استكمال دراسته على يد العلامة أبي معروف ويدران بن جواد وأبى زكرياء يحيى بن يونس السدراتي بجبل نفوسة بمدينة شروس.

---

119 - كتاب في الجغرافية والسياحة والاقتصاد الأستاذ حسونة المزابي
- كتاب في تاريخ جربة والجربيين للأستاذ صلاح الدين التلاتي
- مجلة الجواهر للشيخ عياد الشماخي- مجلة الأفكار للشيخ حمودة قوجة
- جريدة مرشد الأمة للشيخ سليمان الجادوي - جريدة الجزيرة للأستاذ لطفي الجريري

120 واقعة مانو: وقعت بين إبراهيم بن الأغلب وبين أهل جبل نفوسة سنة 283هـ/896-897م مات فيها إثنا عشر ألفا ومن العلماء أربعمائة وحمل منهم ثمانون عالما أسيرا (السير ص269)

حياة أبي مسور

هو أبو مسور يسجا بن يوجين يرجع إلى قبيلة بني يهراسن البربرية التي كانت تعيش بين الجنوب الشرقي التونسي والجنوب الغربي الليبي، عاش أبو مسور فقيرا صابرا على ضيق العيش حينا من الدهر دون أن يتفطن إليه أحد، حيث لازم دروس الشيخ أبي معروف ويدران بن جواد([121]) كان يكثر من الأسئلة مستوضحا كل ما أشكل عليه من المسائل الدقيقة التي تستعصي على كل مبتدئ.

ويذكر عنه أنه كثيرا ما كان يجلس أمام شيخه بعد انتهاء الدرس رغبة في المزيد من الإيضاحات وفي احد الأيام قام ابومسور يساعد شيخه للعودة فانحلت عقدة الشعير من طرف ثوبه فأدرك شيخه حقيقة أمره فنادى في المسجد: "يا معشر نفوسة هل ترفعون من رفعه الله، فتسابقت جماعة المسجد إلى نداء الشيخ لقضاء شؤونه ونيل البركة والدعاء الصالح. فقال لهم "إن هذا الشاب يعاني الفقر فمن يتكفل بمؤو نته حتى يتفرغ إلى الدراسة".

ضاعف أبو مسور اجتهاداته وانكب على طلب العلم حتى صار عالما من أعلام زمانه يرجع إليه الناس للفتوى، وبعد انتهاء دراسته تفرغ إلى نسخ الكتب قبل عودته إلى أهله، فوجده شيخه على تلك الحال، فقال له مازحا: "هذه تجارة بائرة يا يسجا" فأجابه: "لمن ضيع دراستها واتكل على خزنها" وبعد انتهائه من نسخ أمهات الكتب التي يحتاجها عاد إلى قريته وتزوج امرأة من نفوسة أنجبت له أبا زكرياء فصيل.

رحلة أبي مسور إلى جربة

فكر أبو مسور في مكان يبث فيه علمه، فرأى في جربة أحسن مكان يحط فيه رحاله ويجد فيه رغبته بعيدا عن الاضطرابات والحروب الداخلية والخارجية. فكان نزول أبي مسور بالجهة الشمالية للجزيرة في مكان يسمى الحشان يقع بين حومة السوق وقرية مليتة وقد اختار أبو مسور جربة([122]) على غيرها لأسباب عديدة:

1- بعد الجزيرة عن الثورات السياسية الدامية التي هزت البلاد الليبية غربا وشرقا حيث سلمت الجزيرة نظرا لمكانتها البحرية الإستراتجية الهامة.
2- انعدام الطوائف الإسلامية التي تتناحر على الحكم.
3- طيبة نفوس أهل الجزيرة وجودة أرضها واعتدال مناخها.

اجتهد أبو مسور في تركيز مبادئه وتبليغها إلى أنصاره فأخذ يحثهم على حضور مجالس العلم التي كانت تعقد في مساجد الجزيرة. وكان أبو مسور يغتنم المواسم الدينية ليقف خطيبا وواعظا، موجها الناس التوجيه السليم. حيث كان يترفع عن سخرية النكار له ولحركته. وصابرا في سبيل نشر رسالته النبيلة، واستمر على هذه الحال فترة من الزمن حتى وصلت سمعته الحسنة جبل نفوسة وجبل دمر([123]) وبما أن معظم سكان هذه الجهات إباضية فهم يقدرون درجة أبي مسور العلمية ويعرفون حقيقة ما ذهب من أجله إلى جربة، فأرسلوا رسائل يؤكدون فيها تأييدهم ومناصرتهم له

---

[121] - أبو معروف ويدران بن جواد. يعتبر أبو عمار من علماء النصف الثاني من القرن الثالث هجري القرن التاسع مسيحي. ص6 قـال في حقه الشماخي: ناهيك بأبي معروف في الآثار موصوف وبدراسة العلوم وحل المشكلات موصوف ص267.

[122] زار أبو مسور جزيرة جربة بسبب مجاعة انتشرت بجبل نفوسة فوجد من أهل جربة جميع أنواع المساعدة

[123] - جبال دمر: وتسمى الآن بجبال بني خداش غربي مدينة مدنين

([124])وقد وصلت هذه الرسائل إلى جربة في يوم واحد. يقول الوسياني: "وكأنهم تواعدوا" وهذا نص إحدى الرسائل وهي متشابهة:
"يا شيخ بلغنا أن النكار يتحركون ويتآمرون عليك ويلوكون أمرك فان صح هذا فأخبرنا نصرخك بعسكر يكون أوله عندك وآخره عندنا" وكان أبو مسور يقول بعد قراءة كل رسالة لا علم لي بذلك. فكان لهذه الرسائل الأثر الطيب على أتباع أبي مسور وعلى من خالفه الرأي من أصحاب خلف بن احمد إمام النكار. نلاحظ إن أبا مسور أراد أن يبرر موقفه ويثبت أنه لم يؤلب عليهم الجماعة وانه يريد إدخال الرعب في قلوب المعارضين ويبين ان له أنصارا خارج الجزيرة يناصرونه ويسيرون على منهجه لقد كان لهذا التأييد العظيم من ثلاث جهات أثر كبير في نفوس النكار فانتقلوا من السخرية به إلى الاحترام والتعظيم.

وكان أبو مسور يحترم خاله خلف ويزوره في منزله لما بينهما من قرابة النسب ويحضر مجالسه العلمية وهذا شأن العلماء إذا تبينوا حقيقة بعضهم يسود بينهم الاحترام. أصبح خلف يخشى جانب ابن أخته بعد آن تبين ما له من أنصار خارج الجزيرة وداخلها. رأى خلف من الصالح آن يؤيده ويلين معه. ويروي الشماخي في كتابه السير ص346 أن أبا مسور اختلف مع النكار في مسائل عند غياب خلف عن الجزيرة ولما قدم خلف سأله أنصاره وأعلموه برأي ابي مسور فصوب رأيه وخطاءهم وكان خلف يؤكد لابن اخته التأييد الكامل ويقول في مجالسه العلمية: "أبو مسور ابن أختي إمامنا أجمعين لحمي ودمي"([125])
كوّن أبو مسور حوله نخبة من الشباب لازمت دروسه اليومية في دور سكناه ولما كثر عدد التلاميذ جلس بهم تحت شجرة خروب كبيرة يلقي دروسه يوجه الطلاب التوجيه السليم فاقبلوا عليه من جميع الجهات يحضرون حلقاته العلمية المتنوعة في الفقه والحديث والتفسير والعقائد والأصول والفرائض والتاريخ حتى ضاق بهم المكان فانتقل بتلاميذه إلى شجرة خروب أكبر وعندما تضايق أبو مسور وتلاميذه من هذا الوضع السيئ والذي سيعطل نشاطه العلمي، دعا أنصاره واتباعه وأحباءه لحل هذا المشكل فقرروا بناء مسجد ومدرسة يستقر بها التلاميذ داخل الجزيرة وخارجها.

---

[124] رسائل الوسياني ص12 وكتاب الطبقات ج2ص119-120 وسير الشماخي ص345

[125]. الوسياني(أبو الربيع سليمان) (ق 6 هـ/12م) سير الوسياني ص12 بالمكتبة البارونية بالحشان جربة. الدرجيني(احمد بن سعيد) 670هـ/1271م, الطبقات ج2ص120، الشماخي (ابو العباس احمد) سير الشماخي ص345 طبعة حجرية, مع اختلاف في التعبير.

بناء الجامع الكبير([126])

شرع أبو مسور في بناء الجامع الكبير في قرية الحشان في أواخر القرن الثالث الهجري بعد أن جمع المال من أهل البر والإحسان من جربة واستعان بالدولة الرستمية التي مدته بالمال في عهد ابي حاتم. لكن المنية أدركته قبل إتمامه فتكفل ابنه أبو زكرياء فصيل بذلك.

---

[126]) يقع غربي مدينة حومة السوق على طريق المطار كلم 4 وكان خاتمة أعمال أبي مسور إذ توفاه الله قبل أن يتممه

عاش أبو مسور عمرا طويلا حتى هرم وكان يقول "عشت حتى لم أجد في الأيام ما أزيده ولا في نفسي ما أحب ولا في الإخوان ولا في الأولاد ولا في القبيلة ما أرغب فيه فأدعو الله أن يريحني مما أنا فيه".

ومن حكمه أنه كان يقول "إذا وقعت الفتن أمسكنا أيدينا وأموالنا وألسنتنا وعيوننا وأرجلنا ووكلنا أمر قلوبنا إليه عز وجل وفوضنا أمرنا إليه".

كانت لأبي مسور ابنة عالمة تتحاور معه في مسائل الحيض فقال لها ألا تستحي قالت "إن استحيت منك اليوم أخاف من عذاب الله يوم القيامة" فسر والدها بقولها وقال لها "لا يمقتك الله"([127]).

كان أبو مسور عظيما حقا عظمة المؤمن القوي واسع الاطلاع عالما بأسرار الشريعة له أقوال في الفقه([128]) ومن أمثلة ذلك: سأله يوما أحد تلاميذه ماذا يقول عند من حضره الموت. فقرأ عليه الآية الكريمة:"يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية".

ولما توفي أحد أبنائه جاءته العزابة يعظمون له الأجر في الفقيد الراحل ويواسونه فيما أصابه ويوصونه بالصبر الجميل فقال لهم ماالصبر الجميل ؟ تحيّر المشائخ في الجواب أمام شيخهم وقالوا له الجواب منك يا شيخنا قال أبو مسور :"الا تظهر المصيبة على وجه المصاب" إن هذه الجملة تعبير صادق على معنى الصبر الجميل وهذه الدرجة لا يصل إليها إلا القليل من عباده المخلصين الممتلئة قلوبهم بالإيمان والصبر فإذا نزلت المصيبة على المؤمن لا يتغير وجهه ولا تبدو عليه الكآبة ولا يظهر الويل والثبور.

لم تمض فترة طويلة من الزمن على إقامة أبى مسور بجربة حتى فتح الله عليه أبواب الرزق أغدق عليه النعمة وآثاره الله من فضله لصبره وتقواه وكان أبو مسور من أصدق الشاكرين وأصبرهم. وضع جميع ثروته تحت تصرف الأمة فكان ينفق منها في كل أوجه الخير لا سيما في التربية والتعليم. وفي آخر عمره ذهب إلى زيارة خاله خلف المستاوي في قرية قلالة فأدركته المنية ودفن بجانب المسجد الذي يسمى باسمه([129]).

مسجد جامع الفهمين بقلّالة و قبّة ضريح أبي مسور يسجا اليهراسني على اليسار

---

[127])- لها بيت تسمى دار الشيخة تجتمع فيها الأسرة المسورية في الأفراح والأعياد

[128])-اطلعت عليها في كتاب الذهب الخالص للشيخ طفيش وفي كتابه الألواح

[129])- هذه أسماء المساجد التي أسستها الأسرة المسورية وتنسب إليها: مسجد الشيخ صالح اليهراسني بحومة بني باندو ومسجد بقرية قلالة ومسجد في حومة بازيم يسمى سيدي أباسعيد اليهراسني ومسجد مسور في حومة ماجين ومحراب أمام مقر معتمدية جربة وقع هدمه وتجديد بنائه ومسجد سيدي البشير بحومة جعبيرة ومسجد الروضة الذي صار مقبرة لأسرة أبي مسور. دفن جدهم أبو مسور بحومة الفاهمين بقلالة وقبره قرب الشيخ ياتي.

جاهد أبو مسور في الميدان العلمي ونشر الثقافة الإسلامية في أرض هذه الجزيرة. ومن آثاره الحسنة تأسيسه لمدينة حومة السوق فبنى بها مسجدين وفنادق ودكاكين للتجارة وكان يصلي بمحرابه أمام مقر المعتمدية عند زيارة المدينة. مات أبو مسور في شهر رمضان عند صلاة العشاء في بداية القرن الرابع الهجري([130]) كان ابنه زكرياء فصيل يصلي بالجماعة صلاة العشاء وقيام رمضان فجاءت خادمته إلى المسجد تبكي وتقول مات سيدي يا سيدي زكرياء، فاضطرب الناس وخرجوا من صلاتهم إلا زكرياء فان الله ثبته فتمم صلاته. ولما بلغ خبر وفاته والي السلطان الفاطمي جاء إلى جربة يعظم لأسرته الأجر وطلب منهم إن يدلوه على قبره فلما وقف أما ضريحه قال: "عاش حميدا ومات فقيدا اللهم ارحمه" وقال ابنه زكرياء فصيل "إنما مثل أبي كمثل حمولة حملت حملا ثقيلا موقرا وقد رأت المكان الذي يحط به عنها حملها فأسرعت لطلب الراحة" ويقصد أبو زكرياء بالحمل الثقيل مسؤولية الإنسان في هذه الحياة القصيرة لأن الدنيا سجن المؤمن". فكان أبو مسور رحمه الله يعمل لآخرته ودنياه حتى وافاه الأجل. هذه صورة مجملة عن شخصية أبي مسور الذي ترك لنا مدرسة عظيمة قامت برسالتها أكثر من ألف عام ومازالت بها دروس يلقيها يوم الجمعة الشيخ يوسف الباروني مؤلف هذا الكتاب والشيخ سعيد بن أمحمد بومسور إمام الجامع.

وسنحاول في هذه الدراسة المتواضعة أن نترجم لأعلام الجزيرة حسب العصور التاريخية بداية من عهد الشيخ أبى مسور إلى آخر القرن الثالث عشر هجريا نعّرف برجالات الجزيرة الذين سجل التاريخ أسماءهم عبر العصور. ولعل هذا المجهود المتواضع يشجع أصحاب الأقلام وأهل الفكر للمزيد من البحث في المصادر التي لم نطلع عليها سواء باللغة الفرنسية أو غيرها وهي كثيرة لمن أراد العمل الجاد لأن التاريخ مرآة الشعوب لمن أراد أن يعرف الحقيقة من مصادرها فالتاريخ درس حي لمعرفة الماضي والحاضر نستخلص منه العبرة والحكمة التي تنير لنا السبيل السليم للمستقبل الزاهر.

أبو زكرياء فصيل ابن ابي مسور

ضريح أبو زكرياء فصيل ابن ابي مسور

[130])- دائرة المعارف الإسلامية ص168

عاش أبو زكرياء فصيل في آخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري ذكر أنه ولد في جبل نفوسة وانتقل مع والده إلى مواطن بني يهراسن ثم إلى جربة حيث رعاه وغرس فيه روح الاجتهاد. شب على الفضيلة والصلاح منذ نعومة أظافره درس العلوم على والده الشيخ أبي مسور ثم أرسله إلى القيروان فدرس العلوم اللغوية ثم سافر إلى مدرسة العلامة أبي خزر([131]) بنفزاوة في قرية (يزمزتن) في جهة الحامة قفصة فأقام عنده مدة مجتهدا في طلب العلم ولما استكمل فصيل ثقافته في علوم الشريعة من فقه وحديث وسنة وقرآن وأصول وتاريخ عاد إلى جربة يواصل كفاحه العلمي والسياسي في مدرسة جامع الكبير التي أشرف على إتمام بنائها بنفسه. يكون الأجيال وينشر العلم ويصحح عقائد الناس ويوجههم التوجيه السليم في شؤونهم الدينية والاجتماعية. تفرغ فصيل للعمل الثقافي والاجتماعي فكان يشرف بنفسه على التعليم ويرعى سلوك التلاميذ وينفق عليهم من ماله ويجلب المدرسين إلى مدرسته من داخل الجزيرة وخارجها وينفق عليهم من مال الأوقاف القسم الداخلي من التلاميذ الغرباء بتوفير المسكن والمأكل لجميع الطلاب([132]).

كان فصيل اليهراسي يبتكر الوسائل المرغبة لتحبيب العلم للتلاميذ الصغار والجدد منهم وكثيرا ما كان يتعقب ألواحهم ودفاترهم وكتبهم بعد خروجهم للراحة فيضع فيها مبلغا من المال رغبة في إخفاء الصدقة من جهة وتشجيعا ومساعدة للطلاب من جهة أخرى وكان التلاميذ يخبرونه بما وجدوه من مال في أدواتهم المدرسية دون أن يعرفوا من فعل ذلك فيجيبهم الشيخ بأنها أموال ساقها الله إليهم ويحل لهم الانتفاع بها فلما توفي فصيل انقطع ذلك المدد المادي على الطلبة فعلموا أنه من فعل ابي زكرياء.

كان أبو زكرياء من خيرة أهل زمانه دينا وعلما وفضلا ومن الذين تشدّ إليهم الرحال في حل المشكلات وكان شديد الإيمان محبا للسلام مخلصا في حبه وكان يتمسك بالواضح في دين الله ويصر على العمل بالعزيمة ولا يميل إلى الفتوى بالرخصة ويحشد جميع جهوده للعلم والتعليم وكان يصرف كامل عنايته لتربية التلاميذ. فتخرج على يديه عدد كبير من التلاميذ النجباء منهم تلميذه أبو عبدالله محمد بن بكر الذي وضع نظام العزابة وأبناؤه زكرياء ويونس قال فيهما أبو العباس الدرجيني "لكل واحد منهما سجايا جود كالسحاب وذكاء كالشهاب وحسن سلوك الطريقة والتمسك بعرى التقوى بالأسباب الوثيقة.

مواقف فصيل اليهراسني السياسية

في عهد الدولة العبيدية التي عاثت في الأرض فسادا ووجهت نقمتها على سكان افريقية وخاصة على المناطق التي يسكنها الإباضية. قتل العبيديون أبا القاسم يزيد بن مخلد وأبا خزر يغلا بن زلتاف الوسياني.

ذكر أبو تميم في مجلس المعز الفاطمي : أبا القاسم وزميله أبا الخزر في جمع من العلماء. فقال المعز الفاطمي أما يزيد بن مخلد فلم تلد العرب مثله وأما يغلا فعالم ورع وأما أبو نوح سعيد بن زنغيل فهو فتى مجادل " لكن

---

[131])- أبو خزر يغلا بن أيوب اشتهر بابن زلتاف وزلتاف إسم أمه موطنه الحامة الجريد كان إماما عاش في القرن الرابع الهجري بايعه العلماء والأعيان إماما للدفاع ضد المعز الفاطمي(المصدر كتاب رد فيه على جميع المخالفين تأليف ابن خزر تحقيق الدكتور النامي)

[132])كان للمسجد أوقاف كثيرة داخل الجزيرة وبقابس له 2500 أصل زيتون وفندق ودكاكين

وشاية الحساد لدى المعز الفاطمي وتخوف المعز من أبي القاسم لكثرة اتباعه وانصاره بالبادية من قبائل إفريقيا من المذهب الإباضي أوغرت قلبه وحدثته نفسه الخبيثة بالغدر لأن أبا القاسم يزيد بن مخلد له تأثير وإشعاع على جميع الجهات. قال المعز في نفسه لو دعاهم أبو القاسم يزيد بن مخلد لأمر لم يتخلف منهم أحد فكتب إلى واليه في حامة الجريد يأمره إن يقتل أبا القاسم ويبعث إليه برأسه. ونفّذ الوالي أمر المعز ومات أبو القاسم شهيدا ولهذه الأسباب ثار أبو خزر يغلا في وجه الفاطميين. لقد عظمت المصيبة عند جميع أهل الدعوة ولم يجدوا فيه سلوى وقد يئست نفوسهم فطالبوا بثأره.

كان فصيل أبو مسور تلميذا عند شيخه ابي خزر لقد حضر معه النكبة التي حلت بهذا العالم الصالح وعظم ووقعها على النفوس. تحمس أبناء الجهة للدفاع عن حروماتهم وأنفسهم وتحمس المشائخ للقيام بأمر الله عز وجل والتصدي لأئمة الضلال فارسلوا إلى جهات عديدة يستنهضون الأبطال ويجمعون المال والسلاح والرجال قبل بداية الثورة.

عاد فصيل إلى جربة يستشير والده ويتبادل معه الرأي لمناصرة شيخه أبي خزر. بعد إن استأذن من أبيه الخروج مع الثائرين طلب فصيل من أبيه المحاللة قال أبو مسور لابنه:"أنت مني في حل من جميع حقوقي عليك فأعدّ راحلته وزاده وتوجه إلى حامة الجريد لينضم إلى صفوف المجاهدين تحت قيادة شيخه أبي خزر فلما سار في طريقه ثلاثة أيام بلغه خبر الهزيمة فعاد إلى جربة.

ولعل فشل هذه الثورة جعل أبا زكرياء فصيل يغير اتجاهه في الحياة اذ أصبح مسالما يدعو إلى مدارات الحكام وتفرغ إلى التعليم وكان همه إن تعيش الجزيرة في أمن وهدوء وسلام.

كان فصيل رفيقا في معاملة الحكام والولاة في إفريقيا يظهر لهم الاحترام ولا يتدخل في شؤونهم وإذا دخل أحدهم الجزيرة سعى في إكرامه واحترامه والتلطف معه حتى يأمن شره ولا يستفزهم إلى العدوان وكان موقفه على عكس زميله الشيخ ابي عمرو النميلي أحد أعضاء ديوان المشائخ. كان النميلي من أشد الناس نقمة على الظلم والظالمين ينتقد إنجازاتهم ويوضح بعد الدولة الحاكمة عن المنهج الإسلامي.

قال أبو العباس الدرجيني حين ترجم لأبي زكرياء فصيل: لقد أكرم إبراهيم بن وانموي المزاتي لما احتل جربة لأنه كان قائدا للفاطميين رغم جوره وفسقه. كتب هذا الوالي إلى ابي زكرياء يأمره أن ينحاز بأهله وعشيرته إلى الجامع الكبير حتى لا يدركهم من جنده اي ضرر أو تصيبهم مضرة، فاستجاب فصيل إلى أمره.

لما دخل إبراهيم المزاتي جربة استباح لجيشه النهب ونجا من شره بنو يهراسن ولعل الذي جعل الشيخ يقف هذا الموقف المسالم من القائد الظالم أنه لا يستطيع إن يفعل شيئا فرضي إن ينجو بأهله ونفسه([133]). كان فصيل يتبرع بشيء من الطعام على الفقراء تكفيرا عن إطعامه الجبابرة وقاية للعرض وإبقاء للحرمة. وكانت جربة في عهد ابي زكرياء شبه مستقلة عن الدولة العبيدية في آخر أيامها وفي أول أيام الدولة الصنهاجية غير أن الدولة الصنهاجية كثرت في عهدها الفتن في كل الجهات وكانت في حاجة دائمة إلى المال لإخماد الثورات. كان السلطان الصنهاجي يأمر ولاته بجمع جباية الضرائب بالقوة. وهذا ما فعله ابن وانموي حيث طلب من فصيل إن يدفع الضريبة فدفع له دينارين من ماله الخاص في حقه وحق بني يهراسن.

---

[133])- المصدر الشماخي ص371 انظر الوسياني ص77 نظام العزابة ص298

شهادة أهل العلم في فضل ابي زكرياء فصيل:

سئل الشيخ أبو نوح سعيد بن زنغيل غير مرة عن الرجل المشهور من أهل الولاية اشتهارا فاشيا في العامة والخاصة، قال فصيل أبو مسور في جربة وابو خزر في افريقيا وأبو صالح في ورجلان.

واجتمع ثلاث موصوفين بالعلم والدين يتحدثون عن العلماء. فمر ذكر فصيل أبي مسور رحمه الله قال أبو محمد عبدالله بن مانوح يصف زكرياء فصيل قال: لو كان الوحي ينزل في زماننا لكان أبو زكرياء أهلا لأن ينزل عليه الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال فيه أبو عمران موسى بن زكرياء لو كانت الإمامة في وقتها لاستحقها أبو زكرياء. وقال أبو عبدالله محمد ابن بكر لو جمعت خلال الخير والبر كلها في يدك وأردت أن تزيد في أبي زكرياء لم تجد لها فيه موضعا للمزيد لاحتوائه عليها لأنه كان مثالا في سمو النفس والعقل والأخلاق. قال الدرجيني في طبقاته ص 160 "أما قول أبي محمد فانه لا يعني بها التقدم على الله وإنما يعني كثرة علمه بالفرائض والفضائل والنوافل كما كان الأنبياء في زمانهم صلوات الله عليهم".

ورع أبي زكرياء فصيل

ومما يروى عنه جاءه مرة تاجر يتشفع به من ظلم عامل السلطان فتشفع فيه وأطلق سراحه وبعد عام عاد التاجر إلى جربة يحمل معه قميصا هدية إلى أبي زكرياء فامتنع إن يتسلمها منه. ومما يؤثر في كلامه أنه قال "إذا قحط الإسلام يعني ضعف فان الجنة تنال بكلمة حق عند سلطان جائر وإذا قحطت الأرض فان الجنة تنال بقبضة من الطعام وان اجتمع القحطان في وقت واحد فقحط الإسلام أشد على النفوس من قحط الأرض."

قال بعض الشيوخ لو جمعت حكمه التي يتلفظ بها لضاقت بها الدواوين وكانت له بديهة حاضرة في كل فن فلا يجوز عليه مكر ماكر ولا احتيال محتال.

خشوعه في الصلاة

كان فصيل يصلي الصلوات الخمس في المسجد بالجماعة وعندما ينتهي من الصلاة ويخرج يجد تلاميذه أثار البكاء في المكان الذي صلى فيه وكان يكثر من صلاة النافلة، زاهدا في دنياه مشتغلا بأمر أخرته قضى كامل حياته في نشر العلم، يعلم تلاميذه روح التضحية بالنفس والمال في سبيل الدعوة إلى الله وخدمة الأوطان.

تلاميذ زكرياء فصيل اليهراسني

تخرج من مدرسته عدد من العلماء وورثوا علمه وصلاحه وتقواه منهم أبو عبدالله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي مؤسس نظام العزابة وولداه زكرياء ويونس وابن أخته أبو بكر بن يحي وأبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي وأبو الخطاب عبدالسلام بن وزجون وأبو محمد ويسلان ابن صالح اليهراسني.

أبو زكرياء فصيل يبعث بابنيه إلى تلميذه محمد بن بكر

أرسل فصيل ابنيه يونس وزكرياء وابن أخته أبو بكر بن يحي إلى تلميذه أبي عبدالله محمد بن بكر عند عودته من مدينة القيروان التي أقام بها مدة يتعلم اللغة والنحو حتى اكتفى من علم الفصاحة، فلما نزل الوفد الجربي عند الشيخ، طلبوا منه إن يجلس للتدريس ليتعلموا منه مادة اللغة وابلغوه فكرة والدهم في وضع طريقة سليمة تحفظ إباضية شمال إفريقيا من الذوبان والضياع بدون إن تكون خطرا على السلطان حتى لا يحاربهم لأنه أيقن

أن عهد الظهور قد مضى وأن لا سبيل إلى الرجوع إليه في تلك الفترة لأن الدولة الصنهاجية في أشد عنفوانها بعد انتقال الفاطميين إلى مصر.

فلما وصل الوفد الجربي قرية تقيوس اجتمع بأبي عبدالله واعلموه بما جاءوا من أجله وما أوصاهم به الشيخ زكرياء فصيل أبو مسور وطلبوا منه إن يجلس لهم ويرتب لهم دروسا في اللغة فامتنع في أول الأمر ومكثوا أياما يراودونه ويلحون عليه الطلب حتى استجاب أبو عبدالله إلى شيخه فصيل أبي مسور في وضع نظام يحفظ الدين ويجمع حوله الإباضية بجبل نفوسة وجزيرة جربة ووادي ميزاب ووادي أربع ووادي ورجلان ويسمى هذا النظام بنظام العزابة وهكذا يكون زكرياء فصيل هو صاحب فكرة إنشاء هذا النظام الذي لا يزال قائما إلى الآن في وادي ميزاب بجنوب الجزائر وهذا ما يدل على مكانة زكرياء العلمية ودرجة اجتهاده ومنزلته عند الإباضية فقد حوى المآثر والمناقب والفضائل والمراتب ما لم يبلغه أحد من أهل عصره.

نشاط زكرياء فصيل العلمي

في هذه الفترة التاريخية ظل أبو زكرياء ناشطا داخل الجزيرة يشرف على التعليم بنفسه ويدير شؤون البلاد اجتماعيا وسياسيا ودينيا ويداري الغزاة ويستقبل الوفود الإباضية المضطهدين من ظلم الصنهاجيين وكان أبو زكرياء من حين لآخر يرحل إلى مواطن الإباضية حيث سافر إلى جهة اريغ وورجلان صحبة ابن عمه الشيخ أبي صالح اليهراسني والشيخ عيسى بن السمح الرباني زائرين إخوانهم الإباضية وأهل دعوتهم. ولما بلغ أبو زكرياء خبر رحيل شيخه أبي خزر إلى مصر مع المعز لدين الله الفاطمي أسرع لملاقاته وتوديعه واستفتائه في بعض المشكلات وذلك سنة 369هـ الموافق 972م-973([134]).

وفاته

لم تحدد المصادر التاريخية وفاة هذا العلامة وقد اعده الوسياني في كتابه من علماء النصف الثاني من القرن الرابع الهجري 10م إلا أنه أدرك القرن الخامس هجريا واجتمع بالوفد الجربي الذي أرسله إلى أبي عبدالله سنة 408هـ 1018م وتذكر المصادر أنه حضر حملة المعز الفاطمي على جربة سنة 431هـ 1039م فإن صح هذا الخبر تكون وفاته في العقد الرابع من القرن الخامس هجري 11م وبهذا يكون الشيخ فصيل عاصر الدولة الفاطمية والدولة الصنهاجية.

---

[134])- لما أراد المعز الفاطمي الانتقال إلى مصر أخذ معه الشيخ أبا خزر خوفا منه أن يعود إلى الثورة بعده، لما سمع فصيل بسفر شيخه ذهب يودعه. فانشد أبو خزر هذه الأبيات التي تدل على رقة شعره وصدق عاطفته وتشبثه بوطنه وجزعه لفرقة إخوانه والنأي عن وطنه قال :

عليكم سلام الله إني مسافر	ولم أدر بعد السفر هل أنا راجع
عليكم سلام الله في كل ساعة	سلام كثير دائم متتابع
واني إذا ما هجت ليلا بدركم	ابيت حزينا والنجوم طوالع
أحب لقاء الإخوان في كل ساعة	لان لقاء الإخوان فيه منافع
فيا رب فاجعل بيتنا في سلامة	فانك للخلق المشتت جامع
فانت لمن يدعوك يا رب لمانع	وإلا فصبرني على طول غربتي

صورة مسجد سيدي صالح ببي باندو

الشيخ أبو صالح بكر بن قاسم اليهراسني

نشأ أبو صالح اليهراسني في البادية في مكان خصب المرتع يسمى (أزارن) و(أزارق) قضى طفولته يتمتع بما يتمتع به أصحاب البادية من حرية وانطلاق مع جمال الطبيعة فاكتسب ابو صالح بذلك قوة في الإرادة والبدن ووضوحا في الخلق والطبع وفصاحة في اللسان. أخذ العلم عن أبي الربيع سليمان بن زرقون العزابي في آخر أيامه وعن أبي الربيع سليمان بن ماطوس الشروسي النفوسي فأصبح أبو صالح عالما من الأعلام يرجع إليه في جميع مشاكل الحياة([135]).

انتقال أبي صالح اليهراسني إلى جربة

إن الثورات التي كانت تندلع باستمرار في عهد الدولة الصنهاجية وما يتبعها من ويلات ومصائب أقلقت أبا صالح فترك البادية وانتقل إلى جربة وسكن بها واستوطنها.

أبو صالح اليهراسني يتولى الحكم في جربة

لقد وثق الناس بأبي صالح فولوه أمورهم فكان يفصل المشاكل بين الناس وينفذ الأحكام بين المتخاصمين ويؤدب الجناة ويفتي للناس ويلقي الدروس في الجامع الكبير إلى مختلف الطبقات وكان يتولى جميع هذه الوظائف بحزم وقوة ودراية، حريصا على إقامة العدل والمساواة بين الناس لا فرق عنده بين المتخاصمين، حريصا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة على الدين ومحاربة البدع لا يحول بينه وبين ذلك تعب ولا مشقة فهو متواضع كريم النفس يعترف بالحق ويقر بالتقصير. لم توله الدولة الصنهاجية الحكم بل اسندته إليه الأمة التي أحبته وعرفت علمه وصلاحه وتقواه وقوة شخصيته التي ساعدته على تنفيذ الأحكام بالسوية بين المتخاصمين، لا يملك قوة السلطان ولا تأييد الحكام من الدولة بل يستمد نفوذه من السلطة الروحية التي أسندتها إليه الأمة.

---

[135])- علي يحي معمر الحلقة الثالثة ص93 الإباضية بتونس. ابن ماطوس كان مدرسا وحاكما على منطقة شروس في جبل نفوسة المصدر السير الشماخي ص276

اجتهاد أبي صالح اليهراسني

قال أبو العباس الدرجيني في طبقاته ج2ص353:"أبو صالح بكر بن قاسم اليهراسني رحمه الله أنجب من طالع ودرس وأحد من أحيى ما كان عفى ودرس جبلته طلب الصلاحية والعلم وسمته الاعتصام بالوقار والحلم نوره يلتاج صامتا أو متكلما وبركته ظاهرة متعلما أو معلما، فبهمته انتشرت الخيرات وتلاميذه المفيضون للبركات وكان أحد من يوصف بالاجتهاد والتصميم ولا فرق في الحق عنده بين العدو والحميم.

سفره إلى جبل دمر

سمع أبو صالح اليهراسني أن بعض المبتدعين قد استقروا في جبل (دمر) وانهم ينشرون بدعهم هنالك، فاستدعى إليه ولده ويسلان وأمره أن يصحبه في رحلته إليهم على كبر سنه وضعف بدنه. وكان جبل دمر وعر المسالك صعب المراقي قال التيجاني في رحلته ص185 : يصف الجبل :"وهو جبل مرتفع في السماء فيه طرق ضيقة لا يسلكها السالك إلا على غرر وقد تدرب أهلها على سلوكها فهم يتنازون فيها تنازي العصم وكذلك غنمهم وإبلهم يسلك البعير منها مسالك لا يستطيع الآدمي سلوكها إلى بالحيلة" فلما بلغ أبو صالح قرية دمر وهي في قمة الجبل قصد رئيس الجبل زيري بن كملين فستقبله بالترحاب وأكرمه ثم تحدث معه الشيخ عن هؤلاء المبتدعة الذين يقودون الناس إلى الانحراف عن دين الله، ولامه عن تسامحه وتقصيره فاعتذر (ابن زيري) لدى الشيخ بأنه ليس لديه من العلم ما يستطيع إن يقوم به الحجة وهذا العمل من واجب العلماء فأجابه أبو صالح إن الذي منع العلماء من زيارة الجبل هو ضعف أهلها بسبب الجفاف وكثرة الضرائب المتتابعة من الدولة وأن مجيء العلماء إلى الجبل يكبدهم نفقات قد لا تتيسر لهم فقال (بن زيري) إذا أشفقتم علينا من الناحية المادية فهلا جئتم إلينا وحملتم معكم أزرادكم وقمتم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل ورد البدعة وإحياء السنة بدون إن تحملوا الناس شيئا من النفقات فاعجب الشيخ صالح بجواب ابن زيري واعترف له بالحقيقة. جلس أبو صالح في جبل دمر يعلم الناس وكانت له حلقات عديدة في شتى الفنون وكانت أكبر الحلقات اكتضاضا وأرفعها مستوى الحلقة التي يجلس فيه ابنه ويسلان وابو يخلف النفوسي.

وكان تلميذه أبو يخلف فقيها حاذقا ذكيا كثير الحفظ متقنا لمسائل الطهارات ضابطا لأصولها وفروعها فكان الشيخ أبو صالح يحيل عليه الأسئلة التي ترد في الطهارات والحيض فيجيب تلميذه في حياء وأدب بما عنده من علم ثم يعتذر في تواضع لشيخه معترفا له بالتقصر لا يستبد به الغرور. وعندما كان الشيخ أبو صالح بجبل دمر رفعت إليه قضية وصورتها أن رجلا في جبل دمر يكنس مربدا له بجانب بيته فرمى حجرا وراء الجدار فوقع على رجل فمات فحكم فيها الشيخ بالدية على عشيرة الرامي.

وكان الشيخ كثيرا ما يلجأ إلى التربية العملية يوضح لولده بعض الأحكام بدون أن يشعره بذلك طلب الشيخ من ابنه ويسلان أن يصحبه في رحلته داخل الجزيرة. ركب الأب أتانا فارهة وكان ابنه يسير بجانبه فلما كانا ببعض الطريق طلب الأب من ابنه إن يقطع له غصنا من شجرة برية يسوق بها الأتان ففعل فلما ناوله القضيب الجديد رمى بالقديم وقال لابنه هذا هو المال الذي يسميه العلماء المتروك ويحل أخده([136]) وفي طريق العودة وجدا شاة على آخر رمق لا يعرفان لمن هي قال لابنه اذبح هذه الشاة فتردد

---

[136])- علي يحي معمر الإباضية في موكب التاريخ الحلقة الثالثة الإباضية في تونس ص101

ويسلان وتحرج فنزل الشيخ وذبح الشاة وقال لولده انتم أهل هذا الزمان لا تصلحون لشيء يريد إن يعرف ولده متى يجب عليه التحرج ومتى يجب عليه القيام بالواجب والمحافظة على أموال المسلمين من الضياع فقد كان أبو صالح شديد العناية بأحوال الناس كثير الحرص على أموالهم شديد التفاهم لمشاكلهم وكان يريد من العالم إن يفهم أسرار الدين فيعرف متى يجب عليه العمل ومتى يجب عليه التوقف.

كان أبو صالح كثير الصلاة فمن عادته بعد صلاة العشاء الإكثار من النوافل وكان يدعو أحد تلاميذه ليقرأ له آيات السجدة التي تضمنها المصحف الشريف فيسجدها واحدة واحدة قبل أن ينام. كان عفيف اللسان كثير الأدب جم الحياء لم تسمع منه كلمة شر في حياته الطويلة إلا مرتين سئل في الأولى عن بئر في بستان لغير مالكه هل هي عيب فقال شر العيوب ومرة ثانية عن رجل وكل رجلا إن يزوجه امرأة واحدة فزوجه أربعة نسوة مرة واحدة فقال أبو صالح "بئس الوكيل". ويروى عنه تلاميذه انه كان يقول "يأتي على الناس زمان يود الرجل من يأكل طعامه فلا يجده ويود من يستشيره فلا يجده ويود من يرجع إليه في حل المشاكل التي تنزل عليه في أمر دينه فلا يجده لا لقلة الناس بل لقلة العلماء الفضلاء الأتقياء. فمن أدرك ذلك الزمان فليتمسك بما حفظه من دينه وليعض عليه بالنواجد". مات الشيخ أبو صالح اليهراسني إثر هجوم المعز بن باديس على جربة سنة 431هـ وهو من علماء الطبقة الثامنة حسب ترتيب أبي العباس الدرجيني.

زكرياء وأخوه يونس ابناء فصيل بن أبي مسور

ولد زكرياء وأخوه يونس بحومة الحشان بجربة فاهتم بهما والدهما منذ نعومة أظفارهما فلما بلغا سن الدراسة ادخلهما الكتاب لحفظ القرآن ومبادئ القراءة والكتابة فلما استظهر كل واحد منهما كتاب الله على والدهما ادخلهما إلى حلقات الدروس فتعلما عنه العلوم اللغوية والفقهية والسيرة فلما رأى نجابتهما وإقبالهما على المزيد من طلب العلم أرسلهما إلى تلميذه أبي عبدالله محمد بن بكر قال لهما والدهما أطلبا أبا عبدالله حيث وجدتماه فلازما دروسه حيث كان وكونا معه ولو في شغل الدنيا" وقد سافرت البعثة المسورية لإتمام دراستها خارج الجزيرة وكان السفر شاقا والطريق غير آمنة فلما وصلت الجماعة إلى جبال "تمولسة" سمع بقدومهم يصليتن عم الفقيه أبي الربيع سليمان بن يخلف فعرض عليهم الإقامة عنده فامتنعوا واعتذروا له بأنهم قدموا في مهمة تستوجب السرعة فألح عليهم فأقاموا عنده يوما وليلة فاكرم وفادتهم واستراحوا من عناء السفر ثم استأذنوا منه الرحيل لملاقاة عبدالله محمد بن بكر فلما وصل الوفد مدينة تقيوس([137]) وافق أصول الشيخ إلى القرية قادما من مدينة القيروان وقد استكمل ما يفتقر إليه من علم اللسان وهو يريد المسير إلى الشيخ أبي عمران موسى بن زكرياء بتاجديت ليتم عليه دراسة علم الفروع. وتاجديت موضع معلوم قبلة أريغ جهة تقرع جنوب الجزائر.

فلما اجتمع الوفد الجربي بأبي عبدالله أعلموه بما جاءوا في طلبه وفارقوا الجزيرة من أجله وأبلغوه بما أوصاهم به فصيل أبي مسور من وضع نظام يحفظ الجماعة من الذوبان والمحافظة على الطريقة.

يقول الدرجيني في طبقاته ص189 يصف زكرياء ويونس: "كان زكرياء ويونس من أفضل أهل زمانهما علما وورعا وخلقا وكرما وكانا قد قرأا على الشيخ أبي عبدالله حتى برعا. فلهما أخبار مأثورة في كل فن." ولكل واحد

---

[137])- تقيوس، دقاش حاليا

من هذين الشيخين مزايا وسجايا يا لها من سجايا جود كالحساب ودعاء كالشهاب وحسن سلوك الطريقة وحفظ العلوم الحقيقية والتمسك من عرى التقوى بالأسباب الوثيقة" وهما فرع تلك الشجرة المسورية الطيبة التي ذاع فضلها على الناس عبر التاريخ وقد تخرج من بيت أبي مسور كثير من علماء الإباضية.([138])

وتروي كتب التاريخ أنهما توجها لأداء فريضة الحج وكان الطريق غير آمن من كثرة اللصوص فلما شعرا بالتعب استراحا قليلا ثم واصلت القافلة السير وبقي زكرياء نائما ولم يتفطن إليه احد ولم يستيقظ فتخلف عن القافلة فلما الضياع ولحقه وجد نفسه في صحراء منقطعا عن الركب فدعا الله قال "اللهم يا صاحب كل غريب ويا مؤنس كل وحيد ويا قريبا غير بعيد أجعل من سفري هذا فرجا ومخرجا" ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر نورا ساطعا في الجو فسار نحوه حتى أدرك الركب فوجد أصحابه في حيرة عليه.وفي طريق الحج مرّ يونس برجل قد أدركه التعب فتخلف عن أصحابه وقد تورمت قدماه وأشرف على الهلاك ومعه كيس فيه دنانير، نظر الرجل إلى الشيخ يونس فتوسم فيه الخير وسلم له الدنانير أمانة عنده خوفا عليها من السرقة أو الضياع ولحق يونس بأصحابه ثم بعد مدة قدم صاحب الأمانة يبحث عن الشيخ يونس. نظر إليه يونس فعرفه إلا أن الرجل لم يعرفه، لقد اصفر وجهه وتغير لونه فقال له يونس: "ما بك وما قصتك" قال له سلمت مالي إلى شخص لا اعرفه اعترضني في طريقي للحج، قال يونس:" هل أعطيته مالك طوعا أم أخذه منك غصبا" قال الرجل: "بل أعطيته طوعا" قال له: "أتعرفه" قال الرجل: "أنه رجل جسيم طويل مثلك" قال له: "أتعرف الصرة إذا رأيتها" قال: "نعم" فاخرج إليه الأمانة فدفعها إليه وجعل الرجل يرفع صوته بالدعاء ويقول:"والله ما هو إلا مسلم أمين" وقد تعرض زكرياء وأخوه في طريقهما إلى قطاع الطريق فدافع زكرياء عن نفسه وماله حتى صرع اللصوص ولم يجرأ أحد الاقتراب منه.

كان الشيخ يونس يتهجد في المسجد ويقيم الليل ويكثر من صلاة النافلة حتى مطلع الفجر فيصلي بالجماعة ويجلس إلى حلقة الدرس يلقي دروسه على تلاميذه ودموعه تنساب على خديه فلما أنهى الدرس تقدم أحد التلاميذ يسأله ويستفسر عن صحته فاخبره بقصته أنه لما مر بالمقبرة سمع صوتا يناديه إلى متى ننتظرك قال لهم أظن أجلي قد اقترب فاخذ ينفذ وصيته ويودع إخوانه ولم يعش زكرياء بعد ذلك إلا أياما قليلة رحمة الله عليه.

أبو يحي زكرياء بن صالح اليهراسني

مازالت هذه الشجرة الطيبة تنجب العلماء ورجال الإصلاح عبر التاريخ. ولد زكرياء اليهراسني في قرية الحشان جربة وتعلم على خيار علماء عصره. يصفه صاحب الطبقات ([139]) يقول: "أبو يحي زكرياء بن صالح اليهراسني، علم المذهب ومناره.... أتاه الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وأوسع الله عليه الرزق ومنحه الله البركة فتفرغ للعلم الصالح بالمال والعطاء فاثنت عليه الألسنة وهو الذي فضله الله بأشياء كثيرة منها الحياء والورع والسخاء وتساوى عنده صلاح العلانية والسريرة، واليد العليا في الكبيرة من الصلات والصغيرة.

---

[138])- طبقات المشائخ بالمغرب للدرجيني الجزء الأول ص189 والجزء الثاني ص393

[139])- طبقات الدرجيني ج2ص502

عاش الشيخ زكرياء بن صالح اليهراسني في عهد الدولة الموحدية ([140]) عام 556م في عهد عبدالمؤمن بن علي وفي زمان يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي. كان أبو يعقوب المنصور واليا على المغرب الأقصى في عهد والده بمدينة مراكش وكان هذا الملك حازما سديد الرأي حسن السيرة لما توفي والده قدمه شيوخ الموحدية على بقية إخوته واستقرت قواعد ملكه وجمع جيشا عظيما عبر به البحر فغزا بلاد الأندلس وحاصر مدينة غرناطة ومدينة شنترين انتصر المسلمون في هذه المعركة وقتلوا من الإفرنج عددا كبيرا وامتد ملكه إلى المغرب الأقصى والأدنى وبلاد افريقيا وكثير من بلاد الأندلس وتسمى أمير المؤمنين وقصدته الشعراء وامتدحته بأحسن المدائح.

سافر زكرياء بن صالح اليهراسني إلى مراكش لقصد التجارة فاشتهر أمره وعظمت منزلته عند أبي يعقوب الموحد لأمانته وصلاحه ومحافظته على دينه ولما ظهر على يده من بركات وكرمات. فكان أبو يعقوب يلبي له كل مطلب وعندما كان اليهراسني بالمغرب قال لأبي يعقوب عندما كان واليا على مراكش إن الخلافة ستكون إليك بعد وفاة والدك دون بقية اخوتك فلما بويع أبو يعقوب بالخلافة ذهب إليه أبو زكرياء بن صالح اليهراسني يقدم إليه التهاني ثم ذكره بالحديث الذي جرى بالمغرب وان فراسته كانت صادقة فأكرم أبو يعقوب اليهراسني وقضى حاجته وأعلى منزلته وشفعه في كل من شفع فيه وانتفع بعنايته أكثر إباضية شمال إفريقيا وجربة بصفة خاصة.

ولما عاد أبو يحي اليهراسني من المغرب نزل بمدينة سجلماسة ثم مر بمدينة وارجلان ثم خرج من وارجلان متوجها إلى جربة في جماعة من أصحابه وعددهم خمسة وعشرون راكبا ومعهم مائتان وخمسون مثقالا ذهبا ولما صاروا ببعض الطريق بين وارجلان ونفزاوة يقطعون كثبان رمال الصحراء عائدين أشرفوا على سهل كثير المرعى ومن ورائه أحياء فيئسوا من السلامة لأن امن الطريق مفقود في تلك الجهات فأخفوا نفوسهم قبل أن يراهم أحد ثم تشاوروا فيما بينهم فقال أحدهم ندفع ما عندنا وقال قائل نعود أدراجنا وقال وقائل نرسل إليهم من يجاعل على سلامتنا بجزء من المال وأخيرا توجهوا إلى شيخ البركة وسألوه الرأي فقال: "إنما مثلنا مثل أعمى سلم عينيه إلى القادح ليقدحها رجاء انجلاء العمى فإن أبصر نورا بفضل من الله ولطفه به وإن لم يبصر فإنما كان أعمى وبقي أعمى وكذلك نحن وعندي رأي هو بمنزلة القدح فان فعلنا ونجونا فبلطف من الله وان هلكنا فنحن هالكون من قبل قالوا:" وما رأيك يا شيخنا قال أبو يحي أرى أن نستدير مع بعض الأحقاف إلى أقرب قطيع فنخرج إليه على حين غفلة من أرباب الإبل ورعاتها ثم ندخل وسط القطيع. وإذا بخيل تركض نحوهم فاعترضهم صاحب الإبل وتشفع فيهم وقال لهم لكم الأمان فانزلهم في بيته وأكرمهم ثم صاحبهم إلى أن بلغوا مأمنهم من قرى نفزاوة بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة استقر بالجزيرة وانتهت أخبار هذا العالم الصالح الذي سخر أمواله وراحته في خدمة المجتمع ووسع الله عليه الرزق ومنحه البركة والعلم والصلاح.

---

[140])- الحلل السندسية في الأخبار التونسية جزء واحد من القسم الرابع ص992 تحقيق محمد الحبيب هيلة

أبو يحي فصيل بن مسعود اليهراسني

تحدث عنه صاحب الطبقات في الجزء الثاني ص504 يقول الدرجيني أبو يحي فصيل بن مسعود اليهراسني "شيخ الانبساط والانقباض والعزوب عن الدنيا والأعراض والإحتقار لما سيتعظم الناس فيها من الأعراض وسلامة الصدر من الشهوات والأغراض."

كان أبو يحي اليهراسني يقضي كامل وقته يعلم التلاميذ ويرشد الناس ويوجههم نحو الفضيلة ويغرس فيهم روح الإخلاص لله فيدرس لهم السيرة النبوية الطاهرة ويضرب لهم الأمثلة الحية والمثال الكامل الذي يجب الإقتداء به ويستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ويستخرج منها العبرة والحكمة. كان واسع الإطلاع كثير النشاط في الميدان العلمي والإجتماعي ويقاوم الانحراف بلسانه وأفعاله فهو الذي أحيا مذهب أهل الاستقامة الذي أشرف على الانقراض فقد أفنى أيام عمره في الإصلاح فتساوى عنده المستقبل والماضي فوفى بحقوق الله عز وجل وعاش سعيدا كريما فاثنت عليه الألسنة في حياته وبعد موته فكان موته خسارة للبلاد والعباد.

أبو عمرو النميلي الزواغي الجربي

ولد أبو عمرو النميلي في جربة سنة 311هـ في عصر كثرت فيه الثورات والانتفاضات في عهد الدولة العبيدية. عاش النميلي في فئة تسير على منهج الإسلام في أسرة مستقيمة محافظة على الدين ومتمسكة به شديد التمسك بينما كانت الفئة الحاكمة ظالمة متجبرة لا تختار لمناصب الدولة إلا أولائك الأفراد الأقوياء لينفذوا ما يطلب منهم دون الرجوع إلى دين أو ضمير وكان المجتمع الجربي ساخطا على هذا الوضع ناقما على سيرة الحكام في كل مكان من أطراف البلاد.

عاش النميلي متأثرا بهذا الجو السياسي والديني. ورث عن أسرته دينها وخلقها وسلوكها وتأثر بمجتمعه فشب على الفضيلة قوي الإيمان حريصا على الاستقامة داعيا الناس إلى الاهتداء بهدي الرسول عليه الصلاة والسلام. ثائرا ناقما على الوضع من ظلم ولاة الأمور وانحرافهم على منهج

روح الدين داعيا الناس إلى الضرب على أيدي الطغاة وكان لا ينفك عن هذه الدعوة في دروسه وأحاديثه أينما سار وحيثما كان وليس هذا شأن أبي عمرو وحده ولكن هذا الشعور كان يسود جميع علماء جربة أي كانوا غير راضين بهذا الوضع من الناحية السياسية في جربة أو في بقية الجهات الأخرى من البلاد التونسية.

شيوخ أبي عمرو النميلي

درس العلوم الشرعية واللغوية على أبي مسور وابنه فصيل وأبي موسى عيسى بن السمح الرباني وغيرهم من العلماء في ذلك العصر كانت الجزيرة تغص بالعلماء وكانت تعقد فيها الاجتماعات العلمية في شتى الفنون في هذا الجو العلمي نشأ وترعرع مترجمنا واقبل على حلقات الدروس يتلقى العلوم ويقتبس الأخلاق الفاضلة ويأخذ السيرة العطرة من أعلام أبي مسور وغيرهم ساعده ذكاءه الوقاد ونشاطه المستمر وصبره على طلب العلم وقد بلغ أبو عمرو النميلي درجة علمية أهلته إلى أن يكون مدرسا ومؤلفا وكفاه فخرا أن كان احد العلماء السبعة الذين اشتركوا في تأليف ديوان الأشياخ في أول القرن الخامس الهجري ([141]) قضى النميلي عمره في نشر العلم ومحاربة المنكر في شتى صوره وألوانه. عاش في الفترة الأولى من حياته ينعم بالحركة الفكرية لأن جربة تخلصت من الثائر أبي يزيد النكاري سنة 335هـ وعاشت جربة ما يزيد عن 60 سنة مستقلة عن الدولة الفاطمية.

استقر الأمن في الجزيرة ورجع الحكم إلى مشائخ العزابة الذين يتولون رعايتها في شتى المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية وذاقت الجزيرة حلاوة الاستقلال وتمتعت بعدالة الإسلام التي يطبقها علماء الإباضية وكان الشيخ النميلي ضمن هيئة العلماء الذين يديرون أمر هذه الجزيرة ويتولون شؤونها. حافظ المجتمع الجربي على أصالته وإسلامه وعروبته لا تستعبدهم القوة ولا تغريهم الشهوة ولا تجرفهم تيارات الانحراف فكان الجربيون يتمسكون بأخلاق الإسلام وكان العلماء يوجهون الناس التوجيه السليم بالموعضة الحسنة والقدوة الصالحة والبيان الفصيح الصريح مستمدين سيرتهم من المسلمين المهتدين في عهد النبوة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين.

بلغت الجزيرة من النضج العلمي والسياسي ما جعلها لا تتحرج من نقد سلوك الحكومات الظالمة التي كانت تجاورهم. بقيت جربة آمنة مطمئنة تنشر العلم وتكون الجمعيات الخيرية والثقافية ويشتغل علماؤها بالتأليف والتدريس إلى سنة 431 هـ حين جهز المعز الصنهاجي جيشا واحتل جربة وارتكب فيها أقبح جريمة يرتكبها قائد حربي فقد جمع حوله أكبر طبقة من العلماء وأمر بقتلهم معتقدا أنه بقتل هذه النخبة من العلماء يستطيع أن يضمن طاعة جربة وان يحول سكانها من المذهب الإباضي إلى المذهب المالكي كما كان يحاول أن يفعل ذلك في بقية إفريقية فقد أجهد نفسه وأجهد الناس معه على أن يحملهم جميعا على المذهب المالكي ونكل بكل من يخالفه. وكان من العلماء الذين قتلهم أبو عمرو النميلي وقد بلغ مائة وعشرين سنة من عمره المبارك قضاها في نشر العلم. أمر قائده فذبح الشيخ كما تذبح الأغنام ولم يشفع له عنده الطاغية ابن باديس لا جلالة علمه ولا وقار سنه وهكذا كتب للنميلي أن تختم أعماله المجيدة بالشهادة بعد أن حمل رسالته قرنا كاملا من الزمن. ويروى أن رجلا خرج ليلا إلى مكان المقتلة يتفقد القتلى من بقي فيهم حيا فسمع صوتا يقول يا قاتل أبي عمرو النميلي شتت الله شملك وأزال عزك فلم يلبث المعز إلا أياما خرج عليه الثائر

---

[141])- توجد نسخة خطية تحت رقم 91 بالمكتبة البارونية بجربة

يونس ابن يحي الطنبري وفرق ملكه وقتل رجاله وخرب سلطانه. وقبر الشهيد النميلي يوجد شمال مسجد الجامع الكبير بالحشان وقد جدد ضريحه الشيخ يوسف بن أمحمد الباروني ووضع رخامة للذكرى والاعتبار.([142])

أبو محمد عبد الله بن مانوح اللمائي

نشأ أبو محمد عبد الله اللمائي في قبيلة لماية في البادية صحيح البنية قوي الإرادة فصيح اللسان صادق العزم فلم تتح له الأقدار أن يتعلم في طفولته فشب أميا لا يعرف القراءة والكتابة. اشتغل في أول طفولته بتربية الماشية كما كان يشتغل أكثر سكان البادية يتولى رعايتها بنفسه وهي في السهول الخضراء تنتقي العشب. مر به شيخ من شيوخ لماية فسلم عليه وحدّثه فعرف نجابته وأشار إلى غنمه وقال له : "أعلم أن غنما ترعاها اللحية هي خير الغنم وان لحية تتبع الغنم هي شر اللحى"([143]).

فكر هذا الراعي في هذه الجملة وتحقق أن اللحية التي تقضي عمرها ترعى الغنم لا تزيد أن تكون شاة من الغنم من ذلك اليوم قرر أبو محمد اللمائي أن يغير مجرى حياته بعد أن اجتاز مرحلة الطفولة والشباب. وفي المساء عاد أبو محمد بغنمه إلى الحي الذي يسكنه وجمع حوله أصحاب الأغنام وقال لهم : ابحثوا عن رجل يرعى غنمكم واني متوجه إلى مدرسة الجامع الكبير بجربة لطلب العلم فاخذ الزاد والراحلة وقصد المدرسة المسورية يحضر دروس الأشياخ الثلاثة أبي مسور وأبي صالح اليهراسني وأبي موسى عيسى بن السمح الرباني. تلقى الدروس في أول أمره عن طريق التلقين فحفظ السور القصار من كتاب الله وتعلم الأحكام العلمية للإسلام بدون تعمق. لزم أبو محمد المدرسة يحضر دروس أولئك الأشياخ زمنا طويلا ظن أنه ابعد الجهل عن نفسه وبلغ من العلم مبلغا. رجع أبو محمد إلى قبيلته لماية فاستقبله أهل الحي بالترحاب وفرحوا بمقدمه حيث أصبح حيهم يأوي عالما فقيها. قدم أبو محمد عبد الله بن مانوح فاستقبله الشيخ اللمائي السلف الذكر الذي حثه على طلب العلم وأكرمه وناقشه في مسائل عديدة من فنون العلم وعرف أن أبا محمد لم يبلغ الدرجة التي يؤملها له ونصحه بقوله: "أعلم أن الجمال تبرك للحمل عليها ولكن تتفاضل في تبليغ الأحمال." فكر أبو محمد في هذه الحكمة التي سمعها من شيخ عالم صادق ناصح وأشار عليه أنه لم ينل من العلم ما يكفي لإرشاد قومه فعاد مرة ثانية إلى مدرسته للاستزادة من العلم ولازم دروس المشائخ زمنا طويلا وعاد إلى قبيلته فاعترضه ذلك الناصح مرة أخرى وقال له: "أعلم أن الغدران كلها تأخذ الماء وإنما التفاضل فيما يبقى فيها من الماء" استجاب أبو محمد لنصيحة الرجل للمرة الثالثة وعاد إلى جربة مدة أخرى حتى اعترف له العلماء بالتفوق العلمي وبلغ درجة الاجتهاد وأخيرا انتخب عضوا في تأليف الموسوعة الفقهية التي ألفت في غار مجماج([144]) كان نير البصيرة قويا في الحق مخلصا ذا فهم صحيح لمقاصد الشريعة مجتهدا في العبادة يحمل نفسه على العزيمة شديد الاحتياط في الطهارة. ولما تقدم به السن أصيب بمرض في عينيه زاره صديقه أبو عمران موسى بن زكرياء فتذاكرا في مسائل متنوعة حتى أفضى

---

[142])- تبرع بالرخامات التي وضعت على بعض الأعلام في روضة الجيطالي المرحوم الفاضل الحاج محمد آرواي من غيزن من أعيان الجزيرة له أياد بيضاء على كثير من المشاريع الخيرية

[143])- الطبقات للدرجيني ج2 ص400

[144])- ديوان الأشياخ مخطوط من أهم مصادر الفقهية عند الإباضية يوجد في المكتبة البارونية بالحشان جربة تحت عدد 156

بهما الحديث إلى ذم الزمان وما صار إليه الناس من ضيق الحال وكثرة الربا في الأموال قال أبو عمران لزميله إننا نعيش اليوم بحمل الأشياء على أحسن الوجوه قال أبو محمد إنما يقع ذلك في الطهارات أما في الأموال فلا فاستحسن أبو عمران هذا الجواب([145]) وسئل أبو محمد يوما عن العبادة فقال العبادة هي خلاص النية في العمل لله، وجاء شاب حاد الذكاء قوي الذاكرة راغبا في طلب العلم يستشيره بماذا يبتدئ أبعلم الكلام أم بعلم الفروع قال له: "أدرس جميع الفنون قال التلميذ إلى شيخه فان قصر فهمي قال له عليك بدراسة الفروع."

زاره مرة عمروس بن عبد الله الزواغي فسأله عن أحواله فأعلمه أنه صالح الحال وكان مما قال له عمروس "أجعل تقوى الله منهجك في جميع حياتك فإنها طريق الجنة وأحسن معاشرة الناس تعيش سعيدا في حياتك."

ولما تقدمت به السن وضعف البدن وشعر من نفسه ضعف العقل أمسك عن الفتوى وقال أترك الناس قبل أن يتركوني.

وكان كريما لا يأكل طعام العشاء وحده يؤخره حتى يصلي العشاء بالجماعة فينادي في المسجد هل من ضيف كريم يشاركني طعام العشاء وكان أبو محمد قنوعا لا يهتم بحطام الدنيا ولا يشغله عن العبادة شيء همه تعليم التلاميذ ونشر الفضيلة وختم حياته بمشاركته في تأليف ديوان الأشياخ.

أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي الدمري

ذكر أنه من علماء النصف الأول من القرن الخامس هـ الحادي عشر ميلادي ويرجعه الوسياني إلى قبيلة مزاتة. ولد أبو عمران في جبل دمر فشب قويا ينعم بطبيعة الجبل ومناخه الجميل ومناظره الساحرة في جو يسوده المرح والصفاء والحرية. فلما اشتد ساعده ونمت مواهبه أدخله أبوه كتاب القرية فحفظ القرآن وبعض المبادئ الأولية على شيوخ الجبل ثم توجه أبو عمران إلى أبي القاسم يزيد بن مخلد الوسياني الحامي ثم رحل إلى مدينة القيروان فدرس علوم اللغة ثم رجع إلى جربة فالتحق بمدرسة جامع الكبير فدرس العلوم الفقهية والعقائدية على شيوخ أبي مسور فصيل والشيخ صالح بن بكر بن صالح اليهراسني لازم دروسهم حتى نبغ وصار علما من أعلام الجزيرة. طاب له العيش في جربة فاستوطنها وشارك علماء عصره في نشر العلم وأنجب لنا رجالا سادوا من بعده وشارك في ديوان الأشياخ وتولى كتابتها. كان أبو عمران يرغب الناس تعليم اللغة وفنونها فمن أقواله : "من تعلم حرفا من العربية فكأنه تعلم ثمانية مسائل من الفروع الفقهية ومن تعلم مسألة من الفروع فكعبادة ستين سنة ومن حمل كتابا إلى بلد لم يكن فيه فكأنه تصدق بألف حمل دقيقا على أهل البلد" وله كرمات مذكورة وبركات مشهودة وكان ذا خط جميل.([146])

سافر أبو عمران زائرا لأهل الدعوة فمر بقسطيلية ما يقابل الجريد حاليا وكان بها أبو جعفر أحمد بن خيران فقال سر بنا إلى زوجة القاسم فلم سلم عليها سألته عن امرأة نزلت بثيابها في الماء على رأسها سترة قال أبو عمران: "أيما امرأة نزلت مكشوفة الرأس في ماء تعوم في سبعة أودية من نار جهنم. قالت العجوز هل من رخصة لها قال إذا كان ما ذكرت من السترة فهو أقرب إلى السلامة فقال لها ما جوابك في هذه المسألة قالت كذلك حفظت من كتاب سعيد بن يونس انظر أيها القارئ الكريم إلى هؤلاء الصفوة

---

[145])- الطبقات ص401 أبو عمران نسبة إلى قبيلة مزاتة بجبل دمّر

[146])- طبقات المشائخ بالمغرب للدرجيني ج2 ص40

من العلماء كيف كانوا يحرسون الأمة ويشددون على المرأة الجاهلة بأمر دينها المستهترة بأحكام الدين التي تعوم مكشوفة البدن في البحر مع الرجال فما بال علماء عصرنا لا يحملون على النساء ويوجهونهن التوجيه السليم حتى تسلم المرأة المسلمة من هذا الانحلال الذي يهدم مجتمعنا يا أمة الإسلام هل من عالم ذي غيرة من شأنه الإقدام.

جابر بن سدرمام الجربي

ذكر أنه من علماء النصف الأول من القرن الخامس هـ الحادي عشر م. عاش جابر بن سدرمام في جزيرة جربة في عهد أبي زكرياء وأبي صالح اليهراسني. ظهرت عليه علامات النجابة والذكاء منذ صغره أدخله أبوه كتاب القرية فحفظ القرآن ولما استظهره على شيخ الحلقة سمح له بحضور الدروس فسر الشاب بهذا النجاح واقبل على التعليم برغبة يطالع الكتب ويستعين على فهم ما أشكل عليه بكبار التلاميذ فلم تمض إلا فترة قصيرة حتى ظهر نبوغه ولمع نجمه فلما أتم دراسته جلس يعلم التلاميذ فاختارته هيئة العزابة أن يكون أحد أعضائها البارزين الذين يستشيرهم المجلس في المهمات ويعتمد عليهم في تكوين الأجيال وأخيرا انتدب ليكون أحد أعضاء ديوان الأشياخ فانكب مع أصدقائه يحقق المسائل من النصوص القرآنية والسنة المطهرة ويمحص آراء الأيمة المجتهدين.

أبو مجبر توزبن وكباب بن مصلح

عاش هذان العلمان في النصف الثاني من القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس الهجري في جزيرة جربة درسا العلوم على الشيخ فصيل أبي مسور وعلى أبي عمرو النميلي والشيخ صالح بن بكر اليهراسني يقول الشماخي: "كلاهما تعلم العلم وعمل به واستفاد من المشائخ ومن نورهم في الدين وأخذا عنهم المشعل وواصلا عملهما الإصلاحي في ربوع هذه الجزيرة وكفاهما فخرا وشهرة أنهما اشتركا في تأليف الديوان.

أبو يحي زكرياء بن جرناز النفوسي

عاش أبو يحي زكرياء في جبل نفوسة في النصف الأول من القرن الخامس هـ الحادي عشر م، فتخرج من مدارسها العديدة حتى صار من أعلام الجيل الذين تشد إليهم الرحال. قضى حياته في الجهاد العلمي كون أجيالا حملوا بعده أمانته العلمية فكانوا خير خلف لأحسن سلف يزور أهل الدعوة يحل مشاكلهم الدينية والاجتماعية ويدعم صفوفهم يوجه ويرشد ويعلم ويهذب الأجيال ويتفقد المدارس العلمية ويلقي فيها المحاضرات في بداية القرن الخامس الهجري زار جربة وقصد أسرة أبي مسور فاجتمع به علماء الجزيرة وأكرموا وفادته وأقام عندهم يدرّس في الجامع الكبير ويؤلف اجتمع به تلاميذه يستفتونه ويستوضحونه في بعض المسائل الفقهية قال أحدهم إن ما أنبتته الأرض وغيرها هل يطهر بالشمس والريح كالأرض فأجابهم بالرخصة أن ما تنبته الأرض تنقيه الشمس والريح كالأرض" قال زكرياء هذا الرأي ليس عليه العمل قال ابن جرناز أبناء الأشياخ لا ينقدون صحيحا قال

زكرياء للحاضرين إياكم والمرخصين لئلا تفارقوا دينكم وانتم لا تشعرون" وأبو يحي زكرياء أحد الأعلام السبعة الذين اشتركوا في تأليف الديوان([147]).

تعريف موجز لكتاب ديوان الأشياخ الذي ألف في غار مجماج

تحتوي هذه الموسوعة على :

1 - كتاب الطهارات وبه سبعة وخمسون صفحة مخطوطة. وهو يبحث في الأشياء الطاهرة والناجسة وأعيان النجاسة غير الوضوء طبع هذا الجزء بمصر سنة 1315 هـ بالمطبعة البارونية نسخه جدي سعيد بن عيسى الباروني يوم الأربعاء 16 ذي الحجة 1213 هـ.

2- كتاب الصلاة من واجبات وسنن وفضائل ، مخطوط في ثلاثة أجزاء وبه 178صفحة.

3- كتاب الصوم مطبوع طبعة حجرية بمصر سنة 1915 المطبعة البارونية عدد صفحات المخطوط 48 نسخه سعيد بن أيوب التندميرتي في مسجد جامع الكبير بجربة في 20 شوال 1272 هـ.

4- كتاب الزكاة مخطوط مخطوط في جزءين نسخه سعيد بن عيسى الباروني وبه 78 صفحة.

5- كتاب الأحكام في ثلاثة أجزاء وبه 164 صفحة ،الأول ينتهي بباب الدعوى به 60 صفحة وتاريخ نسخه من طرف علي بن موسى بن علي الباروني سنة 1175هـ..

- والجزء الثاني كتاب الأحكام به 50 صفحة, تاريخ نسخه اواخر جمادى الأولى 1176هـ. نسخه علي بم موسى الباروني.

- أما الجزء الثالث من كتاب الأحكام به 50 صفحة، نسخه علي بن موسى بن علي بن ابي بكر بن عيسى البارونياواخر ربيع الثاني 1178هـ

6- كتاب الوصايا وبه 92 صفحة، نسخه صالح بن محمد الباروني نسبا الإباضي مذهبا الجربي مسكنا في 12 رمضان 1278هـ.

7- كتاب الرهن وبه 56 صفحة نسخه صالح بن محمد الباروني نسبا الجربي دار ومسكنا في 25 رمضان 1278هـ

8- كتاب حقوق الوالدين وبه 49 صفحة نسخه صالح بم محمد بن موسى الباروني في 15 رمضان 1278هـ.

9- كتاب نفقة الأولياء وبه 40 صفحة نسخه صالح بن محمد بن موسى الباروني في آخر رمضان 1278هـ.

10- كتاب الدّايات وبه 34 صفحة ، نسخه صالح بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن ابي بكر بن علي البار وني في 23 ربيع الثاني 1276هـ،.

11 - كتاب الضمانات وبه 31 صفحة ، نسخه سعيد بن عيسى الباروني في 17 ربيع الثاني 1220هـ.

12 - كتاب الحيض وبه 48 صفحة، نسخه احمد بن ابي القاسم بن محمد النفوسي.

13- كتاب البيوع في ثلاثة اجزاء وبه 262 صفحة ، نسخه سليمان بن يوسف الشماخي في 21 رمضان 1303هـ

14- كتاب النكاح، وكتاب الطلاق في جزءين وبه 100 صفحة ، نسخه يوسف بن علي بن عبد الرحمان بن احمد بن صالح بن محمد بن يحي بن يعقوب بن مشيشي في 17 شوال 1051هـ.

---

[147])- كتاب السير الشماخي ص402

هذه الموسوعة الفقهية اشترك في تأليفها سبعة من العلماء أكثرهم من تلاميذ أبي مسور اليهراسني في غار مجماج بجربة حومة بازيم الجنوبية([148]) في أول القرن الخامس هجريا.

أبو محمد ويسلان بن ابي صالح اليهراسني

عاش ويسلان اليهراسني في النصف الأول من القرن الخامس الهجري تعلم في مدرسة جامع الكبير على أجداده الشيخ زكرياء فصيل وعلى والده ثم اشتغل بالتدريس ومن أبرز تلاميذه أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي الذي درس علم الفقه على أبي محمد ويسلان وعلم أصول الدين بالمدرسة المسورية وحضر زيارة الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر إلى جربة في آخر عمره. كانت هذه الزيارة بعد تأسيس نظام العزابة بجربة والتقى بتلميذه أبي الربيع سليمان بن يخلف. فتعاون مع زملائه وشيوخه على ترتيب نظام العزابة بجربة على أبي محمد ويسلان بن أبي صالح بن قاسم اليهراسني سنة 409هـ/1018م فيكون تأسيس نظام العزابة بجربة في العقد الرابع من القرن الخامس هـ/11م يقول الدرجيني "اجتمع التلامذة وقصدوا أبا محمد ويسلان ورغبوا إليه في أن يجلس لهم ليقرؤوا عليه الفروع وسألوه أن يرتبوا عليه الحلقة فأجاب وجلس لهم([149]).

نشأ ويسلان في البادية بين يدي والديه ثم انتقل إلى جربة حيث حضر دروس الشيخ فصيل ودروس والده ثم نجده مرافقا لوالده إلى جبل دمّر له عدة فتاوي في الأصول والفقه منها أنه يفتي في البالغ الصحيح يوالي على فعله ويبرأ عليه([150]) وجلها في الفقه ومما يثبت تضلعه في هذا العلم اقتراح الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر على ويسلان تدريس علم الفروع على طلبته وشغفه بهذا الفن جعله يتأسف على تفريطه في مجالس أبي عمران موسى بن زكرياء في غار مجماج.

اقبل وفد من تلاميذ الشيخ أبي عبد الله على جربة ومن أهمهم أبو الربيع سليمان بن يخلف بعد أن حصلوا على علم الكلام باريغ وحضروا تأسيس الحلقة وذلك قصد دراسة الفقه على شيوخ بني يهراسن محمد ويسلان وزكرياء ويونس وتعاون شيوخ الجزيرة على تعليم هذا الوفد رغم ما لديهم من أشغال. وأبى شيوخ جربة وعلى رأسهم أبو محمد ويسلان إلا أن يستفيدوا من حضور تلاميذ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر فعينوا أكبرهم لتدريس أصول الدين ولما تسامع الناس في جميع الجهات بجلوس الحلقتين جاؤوا من كل مكان رغبة في العلم.

ولما تبين الربيع اكتمال ثقافته رجع إلى وطنه تمولست حيث رتب عليه حلقة وذلك للتخفيف على التلاميذ. وبقي علماء بني يهراسن في الجامع الكبير فتصدى أبو محمد ويسلان لتدريس علم الفروع والإشراف على نظام العزابة ويفيدنا الوسياني أن دروس أبي محمد هذه أثمرت ثمرتين هامتين: أولا وضع كتاب البيوع والوصايا لأبي محمد والثاني أجوبة سعد بن بيفاو على ما توقف فيه أبو محمد ويسلان([151]) تأثّر نشاط أبي محمد ويسلان الاجتماعي إلى جانب نشاطه العلمي بسيرة أبي عبد الله محمد مؤسس نظام العزابة فكان يرحل بحلقته ليغرس في التلاميذ حب الإطلاع ويتفقد أهل الدعوة ومن ذلك رحلته إلى جبل نفوسة في سنة قحط ليعود التلاميذ على شغف العيش ويقوم برحلة داخل الجزيرة آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر.

---

[148])- غار مجماج يوجد في مسجد بن بيان على بعد خمسة أمتار جنوب المسجد المذكور
[149])- الطبقات ج1 ص192
[150])- سير الوسياني ص20
[151])- سير الوسياني ص83

أما وفاة أبي محمد فكانت في النصف الثاني من القرن الخامس هجري/11م.

أبو الربيع سليمان بن علي بن يخلف المزاتي.

من علماء الطبقة العاشرة (450هـ/500هـ). ولد مترجمنا في قبيلة مزاتة في الجنوب التونسي منطقة الجريد في النصف الأول من القرن الرابع الهجري حفظ القرآن في كتاب قريته ثم درس العلم على والده ثم التحق بمدرسة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الفرسطائي في قرية جبل نفوسة وعنه أخذ العلم والسيرة ثم ارتحل أبو الربيع إلى جربة فالتحق بالمدرسة المسورية بجامع الكبير بحومة الحشان ليقرأ بها علم الفروع على فقهاء بني مسور أبي محمد ويسلان اليهراسني وأبي زكرياء ويونس فوافاهم في وقت اشتغالهم. اتفق المشائخ على توزيع العمل فيما بينهم حتى لا تتعطل الدروس في المسجد ولما سمع الناس بهذا النشاط اقبل الطلبة من كل مكان رغبة في طلب العلم. طلب مشائخ بني يهراسن من تلميذهم أبي الربيع أن يجلس لتدريس علم الكلام فامتنع في أول أمره وقال لهم إنما جئت لأتعلم علم الفروع فألح عليه التلاميذ أن يدرسهم علم اللغة وعلم الأصول. فلبى رغبتهم وفي سنة 441هـ زاره بعض المشائخ وطلبوا منه زيارة أهل الدعوة بتمولسة" وجبل دمّر ثم رجعوا إلى جبل زنزفة ولم يبق معه إلا التلاميذ. فطلب منه أن يؤلف لهم كتابا في علم الأصول فلبى رغبتهم. شرع أبو الربيع في تأليف كتابه فكان عقب الدرس يملي على تلاميذه كل يوم بابا فبابا حتى أتمه. راجع الشيخ ما كتبه التلاميذ عنه ثم رتبه واثبت ما صح عنده فاستنسخه في مجلدين وعرضه على الشيخ أبي عبد الله محمد بن سودرين فلم يزد فيه إلا حرفين([152])

مكث أبو الربيع في قريته ينشر علمه ثم انتقل إلى موضع يعرف (بتونين) ورتب فيه الحلقة فصار هذا المكان مقرا للعزابة وموضعا للدرس معروفا بالبركة مخصوصا هو وأهله بالخير والعلاج. عكف أبو الربيع على التدريس والتعليم ترك رحمه الله مؤلفات قيمة منها كتاب التحف في علم الأصول وكتاب السير([153])..

كان مستقلا برأيه مجتهدا في أحكامه قد يفتي بالقول المرجوح ويعمل برأي الأقلية ويبدو أنه في أحكامه لا يقتصر على بحث الآراء والأدلة التي تستند عليها وإنما يضيف إلى ذلك البيئة ودراسته الشخصية للموضوع ومعرفته لما يحيط بالحادثة. كان أبو الربيع يتحلى بالأخلاق العالية متواضعا كريما وحفيظا يحب الخير للمؤمنين وينصحهم.

حكم أبي الربيع سليمان بن علي بن يخلف المزاتي

يقول أبو الربيع : "ينبغي للعالم أن تكون له خزائن لا يدخلها إلا هو" ويقول من جهالة العالم أن يفتي لكل من يسأله" والعالم في عمله كالطبيب في أدويته لا يضع دواء إلا حيث يصلح وكل علة مع دوائها" ويقول "صونوا علمكم بالسكينة والوقار وحسن الأدب" ومن حكمه "العلم يحتاج إلى السياسة ما لا تحتاج السياسة إلى العلم" ومن أقواله :"على العالم أن يعبد الله بكتمان علمه ما لم يحتج إليه فإذا احتيج إليه لم يسعه كتمانه" ومن حكمه يقول "العلم أكثر من أن يحصى ولكن خذوا من كل شيء أحسنه"

---

[152])- الطبقات ج1 ص194-195

[153])- سير أبي الربيع سليمان بن يخلف

وروي عنه رحمة الله عليه يقول "ظلم الناس الإسلام بثلاث. تركوه من غير عيب وجعلوا له عيوبا لم تكن فيه وادعوه ولم يكن فيهم" وقال "سرعة اللسان بالاستغفار والتهادي على الذنوب توبة الكذابين" من يتوب ثم يرجع إلى معاصيه كالمستهتر بربه" ويقول "احذروا الناس فإنهم ما ركبوا ظهر بعير إلا أدبروه ولا متن جواد إلا عقروه ولا قلب مسلم إلا أفسدوه" قال أبو الربيع "يكون الرجل في قعر بيته قد غلقت عليه الأبواب واقفا في صلاته في جوف الليل ليس معه غيره وهو مراء بصلاته" قيل له كيف ذلك قال "إذا أحب في نفسه أن يظهر ذلك للناس ويطلعوا عليه".

آراءه السياسية

يقول أبو الربيع:"يكون الرجل في مطلع الشمس وتكون الفتنة في مغربها وهو في بيته على سريره راقد لم يحضر بنفسه ولا بماله وسيفه يقطر دما من تلك الفتنة" قيل له كيف ذلك ؟ قال: "إذا مال بقلبه إلى إحدى الطائفتين" دخل أبو الربيع المسجد ذات يوم وجلس في زاوية فجلس بجانبه صديقه يزيد بن يخلف الزواغي يستمعان إلى درس يلقيه العلامة أبو يعقوب محمد بن يدر فسأله أحد الحاضرين هل يجب علينا العمل بالفرائض ؟ فأجابه أبو يعقوب خطأ إذ قال لمن سأله "علينا العمل بالفرائض وليس علينا العلم بها فاتجه يزيد إلى صديقه أبي الربيع وسأله بحيث يسمع الحاضرون سؤاله "يا سليمان ما الذي أخذت عن أبي عبد الله بن أبي بكر في هذه المسألة قال أبو الربيع: "إذا لزم العمل بشيء لزم العلم به وان في فعله الثواب وأنه فرض وعدل." دوى صوت أبي الربيع بهذا الجواب في جوانب المسجد فلم يرد عليه أحد. ومع ذلك فلم يعلن أبو يعقوب عن رجوعه ولم يطلب منه الشيخان أن يرجع عن قوله في هذه القضية المبسوطة في علم الكلام وهي من المسائل الخلافية بين الإباضية وبين الفرق الإسلامية الأخرى لأنه لا يعقل أن يقوم الإنسان بعمل لا يعرف كيف يقوم به لأن العلم أصل العبادة وروحها. كان أبو الربيع شاعرا مطبوعا يجيد الجزل والشعر باللغة الدارجة كما يجيد الشعر باللغة البربرية.

يقول الدرجيني "كان أبو الربيع فرضيا متقنا لمسائل الفروع في المذهب ناظما للقريض وله أشعار في الوعظ قد رويت وانتفعت بها الأجيال وكان إلى جانب علمه وحسن خلقه ونزاهته كريما مطبوعا على الكرم فلم يبق من ماله الكثير إلا القليل وكان بعض الأصدقاء ينصحونه بأن يبقي لأولاده فكان يقول لهم: "أن يكونوا أولياء الله فإن الله لا يضيعهم وان يكونوا غير ذلك فأنا أولى بمالي منهم."([154])

ولما تقدم به السن قل ماله وضاقت ذات اليد فجاءه صديقه "بياضة بن عزوز" وقال له يا شيخ أن مالك قل ومئونتك قد كثرت فهل في خمسين وبة تمرا أو مائة شاة من أحمد تكون لك من عندي في كل سنة من إنتاج فلاحتي تستعين بها على ضيوفك وضيوف المسجد وضعفاء أهل الدعوة فقال له أبو الربيع "لا والله إن في ما أبقى الله لكفاية أؤدي منها حقوق من ذكرت ولو على عسر ولكن إذا كنت فاعلا فقم بحقوقهم كما قام بها غيرك وتولى ذلك بنفسك([155]). كما كان يفتي بإخفاء المكاسب إذا كانت الدولة جائرة تفرض الضرائب وتجمعها على المواطنين.

وكان تلاميذ أبى الربيع سليمان بن يخلف أكثرهم من أهل سوف وأريغ وورجلان والمزاب ومنطقة الجريد وجربة توفي سنة 471هـ بتونين قرب تمولسة وضريحه بورجلان بالجنوب الجزائري وله مسجد يسمى باسمه. هذه

---

[154])- كتاب الطبقات للدرجيني ج2 ص52

[155])- الدرجيني ج2 ص520

ملامح على شخصية أبي الربيع أرجو أن يكون القارئ الكريم قد أخذ صورة حية لذلك الرجل العظيم.

الإمام إسماعيل الجيطالي

ولد إسماعيل الجيطالي بقرية جيطال من ولاية فساطو بجبل نفوسة تحيط بهذه الجهة غابات كثيفة من شجر الزيتون والتين.

درس الجيطالي في مدرسة أبي موسى عيسى الطرميسي وعن الشيخ أبي عزيز وبلغ الجيطالي من فهم الإسلام وأسرار الشريعة مبلغا قصر عنه الطالبون وتضاءل دون بلوغه العارفون كان الجيطالي عالما متضلعا حافظا لغويا أديبا حازما عاملا مجدا لا يعرف الملل ولا يشغله عن خدمة العلم وتعليمه شاغل عازفا عن زخارف الدنيا خفيف المؤنة إذ لا عيال له كثير التنقل والأسفار. كان الشيخ إسماعيل عملاقا من عمالقة الفكر الإسلامي في ذلك العصر. خدم الإسلام بإخلاص المؤمن وجد العالم وعمق الفيلسوف وقد ترك لنا آثارا قيمة لو قدمت اليوم إلى المكتبة الإسلامية لاحتلت بينها مكانا مرموقا. اشتغل بالتدريس في مدرسة أبي زيد المزغوري ثم انتقل إلى قرية فرسطاء فقام بها بالتدريس تسع سنوات كاملة وأخيرا انتقل إلى جزيرة جربة والتحق بمدرسة جامع الكبير وبقي فيها مدرسا ومؤلفا إلى أن وافاه الأجل.

قضى الجيطالي حياته الأولى في التنقل بين مدن الجبل مدرسا ومربيا وداعيا ومذكرا على عادة علماء عصره. أقام مدة بمسجد "مزغورة" والتقى بالشيخ أبي عزيز وهو يدرس فحضر دروسه. وبعد وفاة شيخه أبي عزيز أقام "بفرسطاء" أعواما حمل أهلها على السبيل المستقيم([156]).

---

[156])- قناطر الخيرات للجيطالي. تحقيق عمرو خليفة النامي ص11 القسم الأول مكتبة وهبة 1965

كان الجيطالي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكافح الأمراض الاجتماعية التي تتسرب إلى الأمة بطرق خفية. سمع بوجود الخمر عند رجل في جهة ما فخرج إليه في جمع من الفقهاء والعلماء وأهل الصلاح ليغيروا هذا المنكر ويطلبوا من الرجل المنتهك لحرمة الإسلام أن يكف عن معصية الله ويتوب إليه ولكن عشيرة العاصي غلبتهم قوة القرابة عن أمر الله وساقتهم عصبية الدم إلى معارضة حكم الدين فاعترضوا طريق الشيخ وأصحابه وامتنعوا من تسليم المجرم الذي تجاهر بالمعصية. فخرج الشيخ آسفا وعزم على الرحيل ولما تعلق به القوم وطلبوا منه عدم الرحيل قال لهم : "لا أقيم في بلد لا يقام فيه الحد ويمنع فيه المؤمنون من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرجع إلى الجزيرة وكان لسفره أثر كبير في النفوس فقد أعلنت القرية براءتها من العاصي وأهله وقطعوا التعامل معه فضاقت بالرجل وأهله الأرض وأعلنوا توبتهم ورجعوا يلتمسون العفو من الجماعة ويطالبون بتنفيذ حكم الله وقبل السفر إلى جربة زار مسقط رأسه يودع أهله وأصدقاءه فوجد العلامة أبا ساكن عامر بن علي الشماخي في المسجد يدرّس فجلس الجيطالي إلى صديقه وزميله وبعد انتهاء الدرس جرى بينهما حوار علمي واستمر بهما النقاش العلمي إلى أن صليا الصبح فودع العشيرة ثم سافر إلى جبل غريان ومعه بضائع للتجارة فعرضها للبيع فلم يجد سوقا رابحة وانتقل بها إلى مدينة طرابلس فباعها هناك.

ولما بلغ محمد بن ثابت أمير طرابلس وجود الجيطالي أرسل إليه رسولا وطلب منه أن يحضر إلى دار الإمارة قام الجيطالي بزيارة الأمير فوجد في مجلسه بعض الفقهاء فدارت بينه وبينهم محاورة فوجد معارفهم قاصرة فقال لهم متحدثا بنعمة العلم "هل لكم علم فتخرجوه لنا" ثم من الغد جمع الأمير القاضي وبعض العلماء في دار الإمارة فجرت بينهم مناظرة ومحاورة كان الجيطالي يجيب عن أسئلتهم ويوجه إليهم أسئلة حتى أفحمهم وأظهر عجزهم وضعف بضاعتهم العلمية وفاز عليهم بما أفاض الله عليه من العلم والصلاح والتوفيق فازداد حسدهم له وافترى عليه العلماء المقربون من الأمير بما شاءوا فسجنه. بقي الجيطالي في السجن إلى أن توسط له فقهاء أبي مسور عند أمير قابس احمد بن مكي لأن الجزيرة كانت تابعة إلى حكمه في عهد السلطان أبي بكر الحفصي 738هـ أخذ بن مكي مبلغا من المال من فقهاء أبي مسور مقابل ذلك فتشفع ابن مكي عند أمير طرابلس فأطلق سراحه ([157]) ولما خرج من السجن دعا على مدينة طرابلس فقال سلط الله عليك عدوا لا يخاف ربا ولا يتقي ذنبا فسلط الله عليها نصارى جنوة فاحتلوها سنة 755هـ بعد موته بقليل.

كان الجيطالي ظاهر الكرامات مستجاب الدعاء عاين ذلك منه أهل عصره ونقل الشماخي([158]) شيئا من سيرته: "إن لله رجالا لو أقسموا عليه لأبرهم" ولما دخل الجزيرة واستقر بها كتب رسالة لابن مكي يعتذر له ويقول انك لا تستحق ذلك المدح كله فان المال هو الذي أخرجني من السجن وهذا من تحفظه رحمة الله عليه أن يكون كذب في شعره حتى لا يكون من الذين قال الله فيهم "والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون" سورة الشعراء الآيات 224-225-226.

انتقل الجيطالي زائرا إخوانه وأهل دعوته فلما وصل ساحل الجزيرة من جهة جرجيس لم يجد سفينة تنقله إلى جزيرة جربة بقي هو وأصحابه مدة حتى نفد زادهم وأصابهم الجوع وبعد أيام قدمت سفينة فركبوا ونزلوا على مرسى آغير فأكرمه بعض فقراء الجهة من بني معقل دعا الشيخ الجيطالي

---

[157])- مؤنس الأحبة في أخبار جربة ص91 تأليف محمد أبو راس وتحقيق محمد المرزوقي طبع بتونس

[158])- سير الشماخي ص556-557

لهذا الفقير بالبركة والنمو في ماله وذريته فتفضل الله عليه بالمال الوفير حتى أصبح غنيا يملك من العبيد أربعين ببركة الشيخ وكان قدومه إلى جربة قبل ترميم القنطرة التي بنيت في عهد السلطان أبي فارس الحفصي سنة 737هـ

قصد الجيطالي أبناء أسرة أبي مسور ونزل الجامع الكبير وتلقاه العلماء وأحسنوا له واجتمع عليه الطلبة وكان يدرس ويؤلف في المجلس الواحد واستوطن جربة إلى آخر حياته وتوفي رحمه الله بها ودفن بمقبرة جامع الكبير بالحشان سنة 750هـ انتقل هذا العالم إلى جوار ربه بعد عمر حافل بالجهاد العلمي المتواصل وبعد أن خطا خطوات واضحة في طريق الهداية الإسلامية الرشيدة وبعد أن رسم لنا صورة من سيرته وجهاده الطويل في جميع الميادين فرفع راية الإصلاح في كل مكان حل به. وإلى جانب هذا الجهاد المتواصل في التأليف كان يشتغل بالتدريس وكان لا يتوقف عن دروسه في الوعظ والإرشاد ولا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان الجيطالي يعيش في مجتمعه عيشة حقيقية يعرف ما يقع فيه من هدى وضلال وكان يحارب أسباب الضلال حربا متواصلة لا يتوقف ولا يهادن سواء كان هذا الضلال زيفا في العقيدة أو انحرافا في العمل أو استهانة بالواجب أو جهلا بأحكام الدين وقد كان يغشى الأسواق ويدخل المجتمعات يبين للناس الحق من الباطل والحلال من الحرام حتى قال بعض العابثين أن أبا طاهر قد علّم التجار جميع وسائل الغش بعنوان أنه ينهاهم عنها فتعلموها منه وكان الجيطالي يقوم بنظام الحسبة في الأسواق.

مؤلفاته:

قال الشماخي في كتاب السير([159]) وله تأليف جليلة أحيا بها المذهب. ذكرها البرادي في كتابه الجواهر وذكرها الإمام السالمي في اللمعة المرضية من أشعة الإباضية منها:

1- كتاب القواعد في جزأين مطبوع

2- كتاب القناطر في ثلاثة أجزاء مطبوع بالمطبعة البارونية بمصر سنة 1307هـ.

3- كتاب شرح النونية في أصول الدين للشيخ أبي نصر فتح ابن نوح الملوشائي في ثلاثة أجزاء.

4- كتاب الحج والمناسك.

5- كتاب الفرائض والحساب.

6- كتاب جمع فيه أجوبة الأئمة في ثلاثة أجزاء.

7- كتاب في المقاييس والجروح والقصاص والدية.

8- مجموعة من الفتاوى وله عدة قصائد تؤلف ديوانا وهذه قصيدة من شعره يقول:

هون عليك فكل الأمر ينقطع وخل عنك عنان الهم يندفع
فكل هم له من بعده فرج وكل أمر إذا ما ضاق يتسع
إن البلاء وان طال الزمان به فالموت يقطعه وسوف ينقطع.

وكتاب القناطر نال اهتمام العلماء وعنايتهم فوضع له الشيخ أبو ستة الجربي حاشية واسعة وقام الدكتور عمرو خليفة النامي بالتحقيق والتعليق على القسم الأول الذي يحتوي على قنطرتي العلم والإيمان أما كتابه قواعد الإسلام فمن أوسع وأعمق ما ألف في موضوعه وقد أشار إليه في كتاب

---

[159])- سير الشماخي ص556-557

القناطر في أكثر من موضع ويقول الشيخ سالم بن يعقوب([160]) "هو كتاب عجيب في ترتيبه وتبويبه قارن بين أقوال أيمة المذاهب الإسلامية وذكر أسباب الخلاف في فهم الأحاديث التي يستدل بها كل واحد فهو أوسع وأعمق ما ألف في موضوعه".

أما كتاب قناطر الخيرات فهو فريد في منهجه وطريقة تأليفه سلس أسلوب سهل العبارة اتجه مؤلفه إلى رسم مخطط متكامل لحياة الإنسان المسلم كما يحددها التصور الإسلامي ويوجه إليها دنيا وآخرة فهو كتاب شامل يجمع بيان وأبرار العبادة ويتضمن الجزء الثالث نظريات قيمة عن طريق التربية والتعليم والأخلاق ولمحات بارعة في فلسفة التشريع الإسلامي ومناهجه قد ترك الجيطالي ثروة كبيرة من الجهاد العلمي الجاد المثمر في مؤلفاته القيمة العميقة.

عاش الجيطالي في عصر احتدت فيه النزعة المذهبية فتوزع سلطان المسلمين إلى عدة ممالك وتعدد الحكام وتفرقت الأمة إلى شيع ومذاهب دينية وسياسية وكان الجيطالي رائدا من رواد الأخوة الإسلامية الصحيحة فيما كتبه لعلمه الواسع واجتهاده الدقيق والإيمان العميق وليس له هدف سوى نصرة الحق وإظهار الحقيقة المبنية على أصل من أصول العقيدة. "فإذا قرأت كتبه تلتقي بايمة الإسلام وفقهائه الصادقين المخلصين الذين نصرهم الله بالحق فصدعوا به وأبانوا به. يعرضهم الجيطالي في كتبه في فهم ووعي وترحيب تلتقي بالغزالي والماوردي والمحاسبي والشافعي ومالك وأبي حنيفة واحمد بن حنبل وسفيان الثوري والاوزاعي وغيرهم من الايمة. يورد آراءهم فيما يعرض له من مباحث في دقة وأمانة فإذا رأى خلافا أبان عن أصله وواضح أسبابه ثم اختار ما يبلغ عقله من الحق في ذلك. فكان في جميع ما يكتب داعي ألفة ومحبة وسفير قرب ومودة وهو الحامل الأمين لمذهبه يعرض أقواله وأراءه في وضوح وبيان ويبرزه ناصعا جليا لا تشوبه البدعة ولا تغشاه الضلالة تسلّمه من شيوخه أمانة سليمة وحجة ناصعة رفعها الجيطالي بعدهم منارا للمدلجين وهدى للسالكين ممن هدى الله من عباده وشرح صدورهم للحق"([161]).

وقد اطلع الجيطالي على كتب المتقدمين فاقتبس نظريات وأراء جمع شتاتها وألف شوا ردها كتبها أصحابها في مباحث متفرقة منها ما يتعلق بعلم طريق الآخرة وتقويم السلوك وتهذيب الأخلاق لقد استفاد الجيطالي من كتب المحاسبي وكتب أبي طالب المكي وكتب الغزالي كإحياء علوم الدين وغيره. وكتاب آداب الدنيا والدين للماوردي وتبين أفعال العباد لأحمد بن بكر. من كل هذه الكتب اقتبس منها وأشار إليها في كتبه.

قال الجيطالي: "إني وجدت في كتب فقهاء قومنا أنهم استسهلوا في نقل أحاديث الرغائب والمواعظ وقالوا: لان ذلك حث على طاعة الله تعالى ورووا في ذلك حديثا عن ابن عباس عن رسول الله أنه قال:"من قال عني خيرا قلته أو لم أقله فانا قلته." ورووا عن أبي هريرة عن رسول الله أنه قال:"ما بلغكم من قول حسن قلته أو لم أقله فانا قائله وقالوا إنما تشدد جميع الأئمة من أهل العلم في أحاديث الأحكام التي بنيت عليها قواعد الإسلام التي فيها الأوامر والنواهي والحلال والحرام والحدود والفرائض ولعمري لذلك ينبغي أن يكون عليه كل عالم بالشريعة ونستطيع أن نؤكد أن الجيطالي كان بعيدا عن المؤثرات الغريبة عن التصور الإسلامي، وجميع ما

---

[160])- الشيخ سالم بن يعقوب فقيه متضلع في علوم الشريعة واسع الاطلاع ومؤرخ له كتاب تاريخ جزيرة جربة طبع سنة 1406هـ 1986م من حومة غيزن جربة درس في جامع الزيتونة وجامع الأزهر درس الفقه على الشيخ إبراهيم طفيش نزيل القاهرة وسكن مدرسة طولون وقف الإباضية بمصر

[161])- من تمهيد لكتاب "قناطر الخيرات" ص16 القاهرة مكتبة وهبة صفر1385هـ-1965م تحقيق عمرو خليفة النامي

عرضه في كتبه من نظريات وأراء لا يحتكم لغير العقيدة الإسلامية وموازينها الأصلية الكتاب والسنة والإجماع والقياس والآثار الصحيحة من الصحابة رضوان الله عليهم ورحم الله الجيطالي رحمة واسعة.

الشيخ أبو قاسم بن القاضي اليديسي

عاش اليديسي في القرن الثامن الهجري في عهد أبي محمد ابن قاسم البرادي ولد تقريبا سنة 750 هجري بحومة الأرباح بجربة. حفظ القرآن في مسجد قريته ثم التحق بمدرسة الشيخ محمد بن قاسم البرادي في جامع وادي الزبيب بغابة جعبيرة ويسمى الآن جامع ولحي([162]) أخذ العلم عن والده ثم انتقل إلى مصر ودرس في جامع الأزهر مدة طويلة فصار علامة زمانه في جميع الفنون خاصة في العربية واشتغل بالتدريس في مدرسة جامع الكبير بالحشان. تولى رئاسة العزابة ويقول بن تعاريت في رسالته([163]) كان الشيخ اليديسي مرجع الفتوى في زمانه وكان معاصرا لأبي يحي زكرياء بن أفلح الصدغياني ومعاصرا لأبي العباس الشماخي غفل عنه الشماخي في كتاب سيره عند ذكر حضور اليديسي هجوم النصارى على جربة سنة 835 هـ وكان شيخ الحكم يحي السمومني وتسكت المصادر عن تاريخ وفاته.

الشيخ أبو قاسم البرادي

ولد أبو القاسم بن إبراهيم البرادي في جبل دمّر في القرن الثامن هجري 15م حفظ القرآن في كتّاب حيه ولما استظهره على مؤدبه تاقت نفسه إلى المزيد من العلم فأرسله والده إلى جربة فالتحق بمدرسة علامة زمانه الشيخ يعيش بن موسى الزواغي في مدرسة جامع وادي الزبيب بجهة جعبيرة درس عليه العلوم العربية والفقهية وعلم الأصول وكتب السيرة وازدادت رغبته في طلب العلم فسافر إلى جبل نفوسة والتحق بمدرسة الشيخ عامر بن علي الشماخي بجبل نفوسة واستمر أعواما يواصل دراسته حتى فاق أقرانه وأصبح علما من الأعلام تشد إليه الرحال ثم رجع إلى جبل دمّر لنشر رسالته العلمية فلم يجد إقبالا ولا أذانا صاغية لأن الحياة صعبة بسبب الجفاف الذي قضى على حيواناتهم وأشجارهم ومزروعاتهم، فأكثر الناس وخاصة الشباب هاجروا إلى جهات أخرى لطلب الرزق فلم يستقر طويلا بجبل دمّر لأنه لم يجد الأرض الصالحة للبذر فسافر إلى جربة ليجعلها مركزا لإقامته ومنطلقا لدعوته وميدانا لكفاحه.

كانت في جزيرة جربة مدارس تعج بالتلاميذ والعلماء. رجع إلى أستاذه الشيخ يعيش وأقام عنده مدة يتعلم ويعلم في مدرسة وادي الزبيب بجربة ولما توفي الجيطالي سنة 750هـ انتقل الشيخ أبو قاسم إلى مدرسة الجامع الكبير ليواصل رسالته العلمية وكان مجلسه حافلا بكثرة الطلبة والعلماء لغزارة علمه واطلاعه الواسع في كثير من فنون العلم. تولى البرادي رئاسة مجلس العزابة بعد وفاة شيخ يعيش الزواغي.

---

[162])- مسجد وادي الزبيب كان مدرسة علمية تخرج منه مجموعة من العلماء وسنتحدث عن هذه المدرسة وهو الآن على حالة خراب ليت مصلحة الآثار بتونس تهتم بإصلاح هذا المعلم حتى نحافظ على تراثنا الإسلامي وعلى حضارتنا حتى لا تضيع بين أيدينا- تولت جمعية صيانة جزيرة جربة ترميمه سنة 1999

[163])- رسالة بن تعاريت مخطوطة في المكتبة البارونية

تصدّر البرادي للتدريس والتأليف والفصل في مشاكل المتخاصمين والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتنديد بالظالمين والمنحرفين. لقد أثمرت جهوده العلمية فتخرج من مدرسته عدد كبير من العلماء منهم أبناؤه عبد الله ومحمد.

مؤلفات البرادي

ألف البرادي عدة كتب نافعة منها كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات([164]) به 280 صفحة. أثبت فيه الحوادث التي وقعت بين الصحابة. ثانيا كتاب البحث الصادق والاستكشاف على معاني كتاب العدل والإنصاف في علم الأصول للعلامة أبي يعقوب الورجلاني([165]). وله رسالة قيمة في الحدود الشرعية حدد فيها أكثر العلوم الشرعية وهي مطبوعة بمصر بالمطبعة البارونية سنة 1316هـ أرسلها إلى الشيخ محمد بن أحمد الصدغياني الجربي ردا على أسئلته.

- وله شرح على كتاب الدعائم لأبي القطر العماني شرح الجزء الأول وصل فيه إلى الطهارات.
- وله رسالة اثبت فيها كيفية إنفاق أوقاف المساجد.

أما الفتاوى فقد ترك منها الشيء الكثير وقد رأيت منها مجموعة تدل على أن الرجل بلغ من العلم درجة تجاوزت مرتبة التقليد إلى الاجتهاد خولت له الاستقلال بالرأي في الفتوى وهو في رسائله قوي صريح لا يبالي في الحق لومة لائم وعاش البرادي في فترة حرجة مرت على جبل دمّر والجنوب التونسي فقد بلغت العصبية المذهبية حدا كبيرا وكانت الأيدي الحاكمة لا تحكم الناس بالشرع فاشتدت الفتنة بين طوائف الأمة وتوسعت شقة الخلاف بين المسلمين وتسلط الذين لا يخشون الله ولا يتقونه على غيرهم فتسنى لهم جمع الأموال التي يطالبون بها بكل إلحاح حتى أصبح الناس يعيشون في تلك المناطق منعزلين متعادين كل قرية أو قبيلة تعيش منفردة بنفسها وأصبح كل ما يمت إلى الاتصال بالدولة دليلا على الظلم والفساد ولعل ما يصور ذلك ما قاله البرادي وهو يتحدث عن الحلال والحرام والشبهة وقال "ومن القرائن التي تدل على الشبهة و الريبة. ويجب التوقف عنها قرينة الغارات والتلصص في بلادنا ومن قرائن التسلط والقهر والعلو والسلطان الترفه والتفنن والتباهي في الملابس الفاخرة مثل الفراء الموشاة والثياب المطولة والخيل المسومة والبرانيس الواسعة الأكتاف وكثرة الأعوان. ويقول البرادي "والاجتماع والوقوف على أبواب الظلمة والانتصاب بين أيديهم الخ... فهذه قرائن كلها باكتساب الشبهة والريبة والحرام وتوجب التوقف والبحث والفحص عما في أيديهم وان كان يحتمل أن يحصل لهم الحلال بميراث أو هدية أو صدقة أو شراء فهو احتمال ضعيف نادر والنادر لا حكم له" ويقول البرادي "فالهدية إليهم في أكثر الأمور رشوة إنما يقع إليهم في غالب الأمور من أمثالهم ومن هو بمنزلتهم فمهما ظهرت قرينة من هذه القرائن فقد وجب التنزه والتوقف فهو معنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام "من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه".

---

[164])- كتاب الطبقات للدرجيني الجواهر مطبوع بالمطبعة البارونية بمصر سنة 1315هـ

[165])- توجد نسخة خطية بالمكتبة البارونية تحت عدد 164 في 245صفحة كتبت سنة 1273هـ.

تلاميذ قاسم البرادي

تخرج على أبي الفضل عدد كبير من العلماء وتسلسلت من أسرته شجرة طيبة في العلم والعمل والكفاح في سبيل الله ولعل من أشهر أفراد أسرته ابنه أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم البرادي وقد ذكر في مقدمة كتاب كشف الغمّه الجامع لأخبار الأمة([166]). وتخرج على أبي محمد عدد من فحول العلماء منهم أبو النجاة يونس التعاريتي وأبو يحي بن أفلح.

كان البرادي يشارك مجلس العزابة في حل المشاكل الاجتماعية ويحضر جلساته التي يشرف عليها الشيخ سعيد بن علي يامون كان البرادي عضوا في مجلس العزابة. أما تاريخ وفاة هذا العالم الجليل والمصلح الاجتماعي الكبير فيرجح أنه في بداية القرن التاسع الهجري/15م لأن أبا فارس الحفصي الذي تول الحكم في تونس ما بين 796 و837 هـ طلب من علماء جربة المناظرة مع علماء تونس فعين لهم الشيخ قاسم البرادي مجلس العزابة لمناظرتهم

أبو موسى عيسى الرباني الزواغي

عاش الشيخ عيسى الرباني في النصف الثاني من القرن الرابع هجريا في جزيرة جربة. يقول فيه الدرجيني:"شيخ أهل الإخلاص والتقوى المعتمد على قوله في الفتوى ذو الرصانة والحلم والمتقدم في فنون العلم جوابه عند السؤال له رونق وبلاغة وألفاظه حسنة الوصف والصياغة وحسبك بأول من فخرت به زواغة فانه صدق في التجرد والإنابة فأتاه الله مع العلم والاجتهاد الدعوات المستجابة".([167])

ذكر مشائخ عصره أن أبا موسى كان يتحرى الصواب ويتحفظ بالجواب لكنهم انتقدوا عليه ثلاثة مسائل إحداها قوله أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرفوعان عن أهل الكتمان لا يلزمهم من ذلك شيء. والثانية: الرياء لا يكون بين العبد والناس وإنما يكون بين العبد وربه. والثالثة أنه لما أصيب قومه لازم الفراش مضطجعا اغتماما لما أصابهم من إخوانهم (بني تاتين) عذروه عن المسألة الأولى: أنهم قالوا إنما يعني سقوط الأمر والنهي في أهل الخلاف فهذا لا بأس به وهو قريب من جواب أبي محمد جمال وهو قوله كلما أجازه أهل الخلاف في مذهبهم ولم يجز في مذهبك فليس عليك إنكاره ولا يمس هذا تضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجمهور من أصحابنا يأبون ذلك ويوجهون النهي عن جميع المناكر ما لم يمنع من ذلك ضعف أو خوف فيسقط عند ذلك. وفي الثانية أن الرياء لا يكون في الفرائض وإنما يكون في النوافل وعن الثالثة اعتذر عن نفسه لما سمع معاتبة الشيوخ جاءوه فقالوا حججت وتصدقت واعتقدت وأنفقت ونفذت وصيتك بيدك ومع ذلك فان الوهبية غير راضين أحوالك فأجابهم قال يا أبا بكر([168]) ألستم تقولون أن من إذا نال خيرا نلته معه وان ناله شر نالك معه فانه مهما أصابه مكروه فتوجهت وتوجعت شفقة عليه إن ذلك ليس بحمية ؟ فقال أبو صالح أسألوا صاحبكم المحاللة فانه قد أجابكم بمخ العلم. كان معاصرا لأبي مسور وله مسجد يسمى سيدي عيسى بربانة بجربة وقبره بجانب الجامع توفي شهيدا اثر هجوم المعز بن باديس الصنهاجي على جربة سنة 431هـ.

---

[166])- توجد نسخة منه بالمكتبة البارونية بجربة وتوجد نسخة أخرى ببريطانيا جامعة كمبريدج رقم "8076"

[167])- الدرجيني الطبقات ج2 ص365

[168])- - أبو صالح بن بكر اليهراسني

الشيخ سليمان المدني البازيمي

صورة جامع بازيم

هو العلامة أبو الربيع سليمان بن عبدالله المدني البازيمي عاش سليمان المدني في القرن العاشر هجري بجزيرة جربة بحومة بازيم. أخذ مبادئ القراءة في الجزيرة ثم سافر إلى تونس فدرس العلوم في جامع الزيتونة ثم ذهب إلى مصر سنة 913هـ فدرس بالمدرسة الإباضية وبمدرسة الجيعانية ببولاق على الشيخ أبي الحسن بن إبراهيم الكيداني المصري وبجامع الأزهر وقد تبحر في جميع العلوم وخاصة في علم المنطق ثم رجع إلى الجزيرة واشتغل بالتدريس بمدرسة الجامع الكبير وترك مؤلفات هامة منها شرح كتاب الإيساغوجي للشيخ أثير الدين الأبهري في المنطق وقد اشتهر بشرح سليمان الجربي وكان علماء الزيتونة بتونس يستهلونه للتدريس لأنهم لم يجدوا أحسن منه والكتاب مطبوع. توفي الشيخ سليمان المدني رحمه الله في آخر القرن العاشر تقريبا.

الشيخ يوسف بن أبي مسور

ولد أبو يعقوب يوسف ابن أبي مسور في النصف الثاني من القرن التاسع هجريا أخذ العلم عن الشيخ يحي البرادي والشيخ سليمان البرادي وعلى الشيخ يونس بن سعيد بن تعاريت بجامع تاجديت بحومة فاتو وعلى شيوخ أبي مسور قال فيه الشيخ سعيد بن تعاريت في رسالته([169]) كان الشيخ يوسف بومسور إماما مطاعا وقدوة مهابا وكان أحد سادة جربة في زمانه له اليد العليا في إصلاح ذات البين بين المسلمين وأمراء الجزيرة وكان أبو يعقوب يتمتع في عصره بما يتمتع به الإمام أو الزعيم قوة في الحق وشجاعة نادرة. كان الشيخ يوسف مسموع الكلمة واسع النفوذ قوي الإيمان لا يخشى الجبابرة يجابههم بالحجة وكان كثيرا ما يقف في وجوه الولاة الظالمين الذين لا يهمهم إلا جمع المال والضرائب وكثيرا ما كان يدفع الضريبة المترتبة على بعض الفقراء من ماله الخاص.

لما عينت الدولة التركية درغوث بن علي واليا على طرابلس اهتم بأمر جربة واحتل الجزيرة بالقوة وألحقها بحكمه وترك عليها واليا ضعيف الشخصية انتهز بعض العساكر ضعفه وارتكبوا من الفضائع ما تأباه الضمائر

---

[169])- رسالة بن تعاريت في تاريخ أعلام الجزيرة من المتأخرين مخطوط ص47

الحرة([170]) يقول الحيلاتي: اشتد الحال على أهل الجزيرة لما أظهروا لهم من الشر وسفك الدماء وأخذ أموال الناس ظلما وعدوانا" فكر شيوخ الجزيرة في هذا الحصار الذي ضربه عليهم درغوث وكتبوا رسالة بعثوها مع رسول يطلبون مقابلته([171]) وطلبوا منه الحضور إليهم فوافق طلبهم ولكن المشايخ تفطنوا إلى أن بعض السفهاء يريدون اغتياله غدرا فلم يرضوا بالخيانة والغدر لأنهم نظروا إلى الأمور بعين الجد وذكروا للقوم فضل درغوث في مواجهة النصارى وتحطيم أساطيلهم فلم يرضوا ولم يوافقوا على تنفيذ هذه المؤامرة الشنيعة.

أسند المشائخ الأمر إلى أبي يعقوب يوسف بن أبي مسور بالمفاوضة في أمر الصلح. استعد الشيخ يوسف للقيام بهذه المهمة باتفاق جميع سكان الجزيرة. ذهب أبو مسور إلى درغوث واتفق معه على الصلح بأن يسمح سكان الجزيرة لدرغوث وجيشه بالدخول إلى جربة وان تعود الجزيرة إلى ولاية طرابلس على شرط أن لا يؤذي أحدا ولا يغتصب مالا ولا يقتل نفسا ولا ينتهك الحرمات.

سمح أبطال الجزيرة لجنود درغوث بالدخول ولكن درغوث خان العهد وسمح لجنوده الذين حسبوا أنفسهم فاتحين أن يفعلوا ما يشاءون فألقوا القبض على شيخ الجزيرة عبد الله البرجي وقتلوه وسلخوا جلده وملؤه نخالة وبعثوا به إلى طرابلس فاضطر أبو مسور أن يعود مرة ثانية إلى درغوث ليذكره بالعهد فاستجاب القائد لكلمة الحق بعد أن ترك جيشه في الجزيرة أسوأ الأثر. هرب سكان جربة وتركوا منازلهم ومزارعهم وارتحلوا إلى جوار أبي يعقوب فسكنوا حول منزله على شكل لاجئين في خيم لأن الجيش التركي أطلق المدافع فاحدث دويا عظيما وطلقات نارية متتابعة فضاق الناس بهذا الدويّ الصاخب فذهب أبو مسور إلى القائد وطلب منه أن يأمر جيشه بإيقاف إطلاق المدافع حتى تهدأ أعصاب الناس الضعفاء وطلب الشيخ يوسف من القائد أن يسير معه إلى منزله لتنفيذ الصلح وتم عقد الصلح مرة ثانية مراعيان فيه مصلحة الأمة وتناول القائد طعام الغداء صحبة ضباطه ثم رجع إلى جنده وحذرهم أن يرتكبوا أي خطأ في هذه الجزيرة ثم أمر أبو يعقوب أهله أن يجعلوا طعاما للاجئين المساكين الذين تعرضوا إلى الرعب والحرمان والجوع وأخرج الشيخ قدرا كبيرا يحمله رجلان وأخذ يطوف على المساكين ويوزع عليهم الطعام.

لقد أثمر هذا الصلح في هذه المرة فلم يعد الجند إلى الاعتداء وبقي درغوث يأخذ الضرائب حتى انتهت تبعية جربة لطرابلس وألحقت بتونس.عاش أبو يعقوب في فترة حرجة من تاريخ الجزيرة التي اجتمعت فيها البلايا من كل جانب فقد كان الأعراب يتكالبون عليها للسلب والنهب وكانت الدولة تلح في جمع المال وفرض الضرائب وكانت القرصنة الإسبانية حريصة على احتلالها عاملة على غزوها من حين لآخر. وكان بعض المتعصبين ممن ينتمي إلى العلم يلهب العصبية المذهبية ويوغر الصدور على الإباضية ويدعو إلى تكفيرهم وعدم قبول شهادتهم فكان أبو مسور يخفف آلام الناس بما يملك من وسيلة فيمد يد الإحسان إلى الضعفاء ويستعمل الكلمة الطيبة ويقف في وجه الحكام مدافعا عن الشعب المظلوم. توفي هذا العالم بعد جهاد طويل يناصر الحق بلسانه ويده في ذي القعدة سنة 1013هـ وتركت وفاته فراغا في جربة أحس به الناس جميعا. دفن بمقبرة الجامع الكبير بالحشان وتولى منصبه ابنه العلامة الشيخ سعيد الذي اشتهر بالصلاح والتقوى وكان مرجعا للناس بعده إلا أنه لم تطل به الحياة فتوفي بعد سنوات من وفاة أبيه ودفن بروضتهم مع المشائخ المتأخرين من أحفاد أبي مسور ومنهم العلامة الشيخ

---

[170])- الإباضية بتونس ص178 علي يحي معمر. طبعة دار الثقافة بيروت 1966.

[171])- رسالة الحيلاتي ص48 مخطوط بالمكتبة البارونية

أحمد بن محمد بن أبي مسور قال التعريتي: أما البركة فأثرها باقية فيهم وعليهم مدار العزابة والاحترام والمواساة بجربة من جميع الناس رحمهم الله.

العلامة الشيخ يوسف المصعبي

هو العلامة أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي المليكي نسبة إلى مليكة أحدى قرى وادي ميزاب. ولد الشيخ يوسف بن محمد المصعبي بمدينة مليكة بوادي ميزاب سنة 1079هـ انتقل مع والده إلى جزيرة جربة سنة 1103هـ 1691-1692م واستقر بها للعمل والدراسة أخذ العلم عن الشيخ سعيد بن يحي الجادوي وعن الشيخ سليمان بن محمد الباروني وعن الشيخ عمر بن ويران السدوكشي.

درس علم الأصول والفروع والفرائض والحساب في مدرسة جامع ليمس بآجيم على الشيخ سعيد الجادوي ثم انتقل إلى مدرسة جامع الشيخ بحومة القشعيين([172]) وحضر دروس الشيخ سليمان الباروني في علوم اللغة والفقه والسنة والتفسير بعد ذلك انتقل إلى مدرسة الشيخ عمر الويراني بقرية سدويكش ولما استكمل دراسته وظهر نبوغه وتفوق على أقرانه عينته أسرة أبي مسور مدرسا بمدرسة الجامع الكبير فاجتمع عليه الطلبة من أطراف الجزيرة يأخذون عنه العلوم وكان يتعلم عليه عدد كبير من تلامذة إخواننا المالكية ولم ينحصر نشاطه على الجامع الكبير فكان ينتقل في عديد المساجد يلقي دروس الوعظ والإرشاد على الكبار وكان الشيخ يوسف يعظ الأمراء والحكام لا تأخذه في الله لومة لائم وله في نفوسهم مكانة رفيعة ومنزلة سامية يتحاشون جانبه إجلالا لعلمه وصلاحه وفضله كان الأمراء

---

[172])- جامع الشيخ بالقشعيين بناه عبدالرحمان بن موسى بن سعيد بن عمر بن جلود سنة 1034هـ قرب منزلهم.

يزورون مدرسة الجامع الكبير ويحضرون دروسه. يقول ابن تعاريت في رسالته: "كان مفتي الجزيرة ورئيس مجلس الحكم ويقول كان الشيخ يوسف آية في العلم له عناية ومعرفة جيدة بعلم المنطق وعلم الفلك وعلم الكيمياء كان يحول المعادن إلى ذهب ويقول جميع العلماء يقرون له بالعلم والفضل والورع والشجاعة والكرم.

وللشيخ يوسف المصعبي عدة مواقف تثبت منزلته العلمية وشجاعته نذكر منها موقفين:

أولها: ترؤسه لمجلس العزابة وإفتاؤه بإهدار دم أحد العصاة المسمى عبدالرحمان اليونسي من حومة القشعيين الذي كان يطعن في الدين ويتجسس على المسلمين وينقل الأخبار الكاذبة لإثارة الفتنة في الجزيرة. اجتمع مجلس العزابة ونظر في القضية ونتائج بقاء هذا المفسد في الأرض فأصدر الحكم بإهدار دمه وطبق عليه حكم الشرع وكان أعضاء المجلس يتركب من الشيخ سعيد الجادوي والمصعبي وغيرهما.

سافر الشيخ يوسف المصعبي صحبة شيخه إلى جبل نفوسة سنة 1140هـ/1727م وأقاما فيه سبعة سنوات يدرسان العلوم على طلبة الجبل ثم عاد المصعبي والجادوي إلى جربة سنة 1147هـ/1724م وقد أخبر عن سفره إلى مصر بنفسه في حاشيته على شرح الشيخ قاسم بن يحي الويراني على النونية.

الموقف الثاني: يتمثل في الدفاع عن شهادة الجربيين لما طعن في ثبوتها بعض فقهاء طرابلس كتب رسالة وأرسلها إلى مجلس القضاء بطرابلس سنة 1169هـ/1755-1756م([173]) وبين فيها عقيدة الإباضية. وقد شارك المصعبي في الاجتماع العلمي الذي انعقد بمدينة لالوت بجبل نفوسة لتقرير بعض الأحكام الدينية صحبة وفد من علماء جربة وعلماء الجبل وحضر هذا الاجتماع الشيخ نصر بن خميس بن سعيد العماني صاحب كتاب المنهاج وقد أتى إلى نفوسة لزيارة إخوانه وتم الاتفاق في هذا الاجتماع على أن الشهادة في كتابة الأحباس وفي البيع والرهن والصدقات لا تصح إلا لشاهدين عدليين وكتب هذا الاتفاق الشيخ علي بن سالم بن بيان سنة 1145هـ واتفقوا أن شهادة العدل الواحد لا تكفي في هذا الموضوع.

حضر هذا الاجتماع الذي انعقد في الجامع الكبير بمدينة لالوت سبعة من علماء جربة وهم:

1- الشيخ أبو القاسم بن زكرياء الباروني
2- الشيخ سعيد بن يحي الجادوي
3- الشيخ علي بن سالم بن بيان
4- عمر بن صالح الباروني
5- علي بن أبي بكر الباروني
6- يوسف بن محمد المصعبي
7-محمد بن يوسف الباروني

وكتب الاتفاق من علماء الجبل الشيخ إبراهيم بن عبد الله الالوتي بتاريخ جمادى الأولى سنة 1145هـ وفي السنة المقبلة عرض الاتفاق الشيخ علي بن سالم بن بيان على مجلس العلماء المنعقد بجامع ليمس بقرية آجيم جربة المتركب من مجلس العزابة وهذا نص الحكم: الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد

حضر بالمجلس علماء الجزيرة فتأملوا فيه فوجدوه تاما صحيحا يقضي به ويحكم بمضمونه وأذن مجلس العزابة بنقله والعمل به بتاريخ 15 محرم

---

[173])- رسالة بن تعاريت ص100 و101 ونظام العزابة للدكتور فرحات الجعبيري ص229 و230

1146هـ. أما الأعضاء الذين حضروا هذا المجلس وشهدوا بصحته والعمل به فهم الشيخ صالح التندميرتي وفقه الله وصالح بن عمر الباروني غفر الله له ورمضان بن أحمد بن يعلى الخيري وفقه الله وعمر بن قاسم الباروني.

تلاميذ الشيخ يوسف المصعبي

تخرج من مدرسة المصعبي نخبة من العلماء ورثوا علمه وصلاحه منهم ابنه الشيخ أبو عبد الله محمد المصعبي وتلميذه أبو زكرياء يحي بن صالح اليسجني الميزابي الذي أحيا وادي ميزاب بعلمه والشيخ سليمان بن محمد الشماخي والشيخ عيسى بن قاسم الباروني وعمر الأول ابن أحمد البغطوري والشيخ سعيد بن أحمد البربوش والشيخ علي بن يوسف المصعبي والحاج مهني المليكي المصعبي والشيخ أبو الربيع بن يوسف بن محمد المصعبي

مؤلفات الشيخ يوسف المصعبي

للشيخ يوسف المصعبي مؤلفات كثيرة منها:

1- حاشية فخمة في جزأين كبيرين على تفسير الجلالين مخطوط([174])
2- حاشية على شرح الشيخ قاسم بن يحي الودراني اللجيمي الجربي للنونية لأبي نصر ابن نوح الملوشائي (مخطوطة عدد51 بالمكتبة البارونية)
3- حاشية على كتاب الأحكام للشيخ أبي زكرياء يحي الجناوني فرغ منها في 15رجب1176هـ
4- حاشية على كتاب تبغورين بن عيسى الملشوطي في أصول الدين
5- حاشية مختصرة على كتاب العدل وشرحه للشيخ أحمد الشماخي وهي تكملة لحاشية المحشي لأنه لم يكملها للشيخ يوسف منها 20 ورقة.
6- حاشية علي ديباجة شرح العقيدة للشيخ أحمد الشماخي.
7- حاشية على شرح كتاب الجهلات في التوحيد للشيخ أبي عمار عبدالكافي الورجلاني المتوفى قبل سنة 570هـ والمتن للشيخ تبغورين بن عيسى الملشوطي.
8- رسالة في الوصايا والحقوق أجاب بها الشيخ شعبان القنوشي([175])
9- حاشية على كتاب الديانات للشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشماخي الذي فرغ من تأليفها في 28 رمضان 1160هـ بالمكتبة البارونية.
10- رسالة في تنجيس أبوال الحيوانات المأكولة.
11- رسالة أرسلها إلى حسين باي
12- نظم الذرائع وشرحه.
13- شرح رسالة لبعض أصحابنا
14- رسالة لبعض حكام الجلوديين بجربة لما ردّ حكم العزابة.
15- أجوبة كثيرة على أسئلة وفتاوى شهيرة منها على سبيل المثال: بعث الحاج شعبان القنوشي سؤالا عن شاة الأعضاء لمن تعطى لاثنين أو ثلاثة يقول الشيخ يوسف المصعبي: أخونا الحاج شعبان وبعد بلغنا مكتوبكم وفهمنا مضمونه نحمد الله الذي أبقاكم بخير أمين وجعلكم وأمثالكم رحمة للمسلمين وقد سألتني في المكتوب عن سائل فقد توقفتم وحق لكم ذلك فان التوقف من شيمة المسلمين ودين الله الموفقين فان صاحب جمع الجوامع سئل عن أربعين مسألة فأجاب عن أربع وقال في ستة وثلاثين لا أدري ويقال جنة العالم لا أدري "فمن تركه وقاية وسترة" فقد احتاط لدينه وسلم عذاب النار

---

[174])- توجد نسخة مخطوط بالمكتبة البارونية بجربة تحت رقم 13 وتحتوي على 730 صفحة
[175])- انقرضت هذه العائلة التي كانت تسكن في حومة بني باندو

"ولو لا الأعراض عن الجواب عن سؤالك لرددت العلم فيه للكبير المتعال ولم أتعرض للفضيحة ورشق النصال لما أنا فيه من انشغال البال وعسر المعاد الكاشفة عن نوازل الحلال ولكن كما يقال ما لا يدرك جله لا يترك كله فأقول وبالله التوفيق أما سؤالك عن شاة الأعضاء هل تعطى لأكثر من واحد فالجواب أن المسألة تكلم فيها الشيخ أبو يوسف يعقوب بن صالح رحمه الله في جملة أجوبة سئل عنها حيث قال ذكرت كفارة شاة الأعضاء([176]) قال المصعبي يجب أن تعطي لاثنين أو ثلاثة فقراء فصاعدا.

وسئل رحمه الله عن من صلى صلاة العشاء ونسي صلاة المغرب أو تركها متعمدا أصلاته للعشاء صحيحة أم ناقصة ؟ قال ناقصة ولا تتم له صلاة حتى يقضي المغرب وفيمن نسي صلاة العصر وقام يصلي العشاء فتفكر في حال صلاته أنه نسي صلاة العصر قال بطلت الصلاتان سواء قبل صلاة العشاء أو بعدها وعليه إعادة الصلاتين.

-وسئل الشيخ يوسف رحمه الله السؤال التالي: ما قولكم دام فضلكم ومتع المسلمين بطول حياتكم في رجل خطب من رجل أخته وهي بكر فأعطاها له على صداق معلوم مع حضور شهود وعقد بينهما على عادة أهل البلاد في جملة من المسلمين ممن عقدوا نكاحهما واستؤمرت البنت ودل سكوتها على رضاها كما أفهمه الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فلما أخذ في التجهيز قام رجل أخر مدعيا أن الأخ أعطاها لابنه قبل ذلك فعلى تقدير ثبوت اللفظ والركون من الأخ قبل ذلك هل يكفي من غير سماع ما يدل رضاء البنت ووجود العقد المعتاد أم لابد من ذلك أفيدوا الجواب ولكم الثواب.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده والجواب والله أعلم بالصواب: وإذ النكاح يتوقف على ثلاثة أشياء: الولي والشهود ورضاء المرأة وقبول الزوج ولا فرق عندنا في اشتراط الرضا بين كون الولي أبا أو غيره ثيبا أو بكرا وهذا قول جابر بن زيد وأبي عبيدة وعامة أصحابه خلافا لابن عباد من أصحابنا إذا كان الولي أبا وهو مذهب أهل المدينة واتفق الجميع إن كان وليها غير الأب أنه لا يجوز إلا برضاها ثيبا أو بكرا كما صرح بذلك من أصحابنا ابن خلفون وغيره ونقلوا في ذلك أدلة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما يعلم بالوقوف عليه وعلى هذا تقدير ثبوت إعطاء الولي أولا من غير ثبوت الرضاء فلا عبرة به فهي للثاني لتوفر شروط العقد والله أعلم. وله فتاوى كثيرة وأجوبة شهيرة مدونة في بطون الكتب المخطوطة لو جمعت فتاويه لكانت مجلدا ضخما.

سفر الشيخ يوسف إلى تونس

سافر الشيخ إلى تونس واجتمع بعلماء الزيتونة فسأله أحد العلماء عن دليل الوحدانية قال قلت له أدلة كثيرة منها طريقة الصفة وطريقة الممانعة فلما سمع مني ذلك انتقل للسؤال عن غيرها وأجبت عن جميع ما سأل ثم قلت له: أخبرني عن من قلدت من العلماء قال الإمام مالك رضي الله عنه قلت له فيما قلدته فقال في جميع الأحكام فقلت له إذا في إيمانك خلاف فقال بل في الفروع فقلت له في جميعها أو في بعضها فقال في الجميع فقلت له لا يصح ذلك لكون الأحكام معلومة بالضرورة من الشريعة كوجوب الصلاة والحج وتحريم الرياء والخمر ونحو ذلك فسكت وانتهت المحاورة بتفوق الشيخ يوسف. وقع هذا في عهد علي باشا بن محمد في شهر ذي

---

[176])- كفارة شاة الأعضاء يتصدق المسلم بشاة على الفقراء مقابل تهاون أو اهمال للطهارة الكبرى هذه الكفارة احتياطية لأن المسلم ارتكب إثما لتأخير عبادته عن أوقاتها

القعدة سنة 1153هـ.([177]) ورحل الشيخ يوسف إلى مصر سنة 1130هـ وحضر دروسا بالأزهر وسكن وكالة البحار بالحي الطولوني وقد كانت مختصة بسكن الطلبة الإباضية وكانت حافلة بالعلماء وعشرات من الطلبة من جربة وجبل نفوسة وبني ميزات وقد أخبر عن سفره إلى مصر بنفسه في حاشيته على شرح قاسم بن يحي الويراني على النونية قال فيها تعليقه على شرح البيت:

وأفعالنا خلق من الله كلها وهنا اكتساب بالتحرك للبدن

رسالة الشيخ يوسف إلى أحمد باشا بن يوسف القرمانلي التركي

وإليك أيها القارئ رسالته([178]) إلى الأمير أحمد باشا سنة 1169هـ وهذه مقتطفات منها قال بعد الحمدلة: إلى مولانا أحمد باشا بن يوسف القرمانلي مالك رقاب الأمم حامي بلاد أهل الإيمان أما بعد فالمقصود بأسنى السلام والشكوى إلى الله من تزلزل وكثرة الفتن وعموم البلوى فلا تمر برهة من الزمان إلا بتشويش الفكر وما ذلك إلا لعدم إنصاف أهله فصار جدالهم خلافا بلا علم ولا أثر ولا تبصر وأعظم من ذلك أمر طرق الآذان وكاد يورد الأبدان إلى الأكفان ولولا التأسي بسيد ولد عدنان والتشبث بآيات الصبر من القرآن وذلك أنه بلغنا أن جماعة من أهل الجزيرة شهدوا في قضية في مجلسكم الشريف وأثر عليكم بعض من ينتمي إلى العلم من الواشين أن شهادتهم غير مقبولة فدخلت وسوستهم لقلوبكم وقلوب الألباب فأدهشتهم وحاروا في الجواب أما لتزيين كلام الواشين وجعله في قالب الصواب وإما لعدم اطلاعكم على حقيقة أولئك الجماعة النزهاء ولما بلغنا ذلك وجب علينا أن نخبركم بعقيدة هؤلاء الجماعة أولا ونكافح الواشين ثانيا بسنان اللسان وأوضح البرهان ليهلك من يهلك عن بينة ويحي من حيى عن بينة.الخ وهي طويلة تتجاوز 15 صفحة.

ترك لنا الشيخ يوسف المصعبي ثروة علمية غزيرة في الثقافة الإسلامية كان يدافع عن المظلومين بلسانه وقلمه وهذه رسالة ثانية وجهها إلى علي باشا بن محمد التركي (1153-1169هـ) باي تونس عدد صفحاتها ستة لما سمع أن أحد التونسيين يشتم الإباضية فبين له عقيدتهم الصحيحة وذكر أئمتهم الأولين ووصف سيرتهم الحسنة وهذا نص الرسالة يقول:

الحمد لله وكفى وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله وأصحابه المجتبين بالوفاء أما بعد فالمقصود باسنى السلام وجوامع التحيات والإكرام من اجتباه الله بحسن المملكة الحسينية والرئاسة الإنسانية والأخلاق السنية وعدل الحكم بين البرية أعظم الملوك وأرفعهم قدرا على من اشتهر بين الأنام المحفوظ بجاه العلي سيدي علي باشا باي تونس أعلى الله كلمته على الأنام وأطال عمره في الأحكام بجاه محمد سيد الأنام أما بعد فهذه رسالة لسيادتكم من بني مصعب تتضمن تخصيصكم بالتحيات وكذا من يلوذ بكم من الأهل والإخوان وجميع العلماء والمفاتي والقضاء الناقدين للأحكام. وتتضمن الشكوى إلى الله حقيقة ثم لسيادتكم ثم للعلماء والقضاة وذلك أن مدينة تونس المحمية من قديم الزمان قد اشتهرت بالعدل

---

[177])- المصدر رسالة الحيلاتي ص96 سافر المصعبي إلى تونس يوم الأحد 15 ذي القعدة سنة 1112هـ لأمر هام

[178])- في زمانه وقع الطعن في شهادة جماعة من أهل الجزيرة من فقهاء طرابلس عند قاضيها في نازلة وقالوا إن شهادتهم لا تجوز لأنهم غير مالكيين وهذه الرسائل موجودة في المكتبة البارونية وفي مكتبة الشيخ سالم بن يعقوب بغيزن جربة

بين الرعية فصارت يأوي إليها أهل البرية من كل فج عميق ومن جملتهم أهل بلادنا فإنهم ليس لهم سفر إلا للجزائر أو لتونس أو لمكة زادها الله شرفا.

ولم يبلغنا أن أحدا تجاسر على أولادنا بالطعن في أعراضهم إلا هذا العام أخبرنا بعض الشهود المسمى (محمد بن محمود) دخل الحمام واجتمع ببعض رجالنا فأتوا له ببعض الإزار ليتزر به على ما هو المعتاد فلم يرتض بما قدم له فبدلوا غيره من أفضل وأحسن ما عندهم فلم يرض وأخذ في سبهم وسب مذهبهم وهؤلاء العملة من الأعوام فقالوا له نحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال لهم اليهود والنصارى أفضل منكم هذا الشخص المتجاسر فضل علينا اليهود والنصارى الذين أنكروا رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله كما أخبر الله عنهم في كتابه إلى آخر الرسالة الطويلة...

ويقول يا علماء الحضرة التونسية أدام الله بكم النفع ووفقنا وإياكم للعمل بكتابه وسنة رسوله إياكم من تعاطي الأحكام بين الأنام في دمائهم وأموالهم كما قيل "من حكم بين اثنين كمن ذبح نفسه بغير سكين" وهذه قصيدة توضح سيرة الإباضية. :

نقيم على الدين الحنيف طهارة من الوهم والإبداع أهدى الطريقة
تبعنا كتاب الله أشرف منزل وسنة خير الخلق هادى البرية
نوالي ذوي الإحسان والعدل والتقى ونبرأ أهل الجور من ذي كبيرة
تساوي لدى الأحكام بين عبيدنا والأحرار والقربى وبادي المذلة
ونأمر بالمعروف في كل محفل وعن ضده ننهى عن كل خطيئة
مساجدنا للعلم والذكر والتقوى وإنصافنا للمظلوم فيه بنية
فما العز إلا للإله ورسوله لدينا وذي الإسلام في كل ملة
وما الذل إلا للذين تجبروا وذي الخيلاء والكبر أهل النقيمة
فهذا طريقنا وهذا اعتقادنا وسيرتنا الغرّ أمن أحسن سيرة
ليعرف بني ميزاب من كل جاهلا بمذهبهم والعلم أكبر عدة
وأختم قولي بالصلاة على النبي محمدنا المختار من كل أمة
وأصحابه والتابعين لقوله وأرجوا من الرحمان غفران زلتي

وهذه بقية الرسالة: يقول وأما أولادنا الذين يعملون في خدمة الحمامات التي هي كشف العورة التي أمر الشارع بسترها وقال عليه السلام: لعن الله الناظر والمنظور إليه يعني العورة فلم نرتض صنيعهم فالله يعفوا عنا وعن جميع المسلمين فهذا ما عندنا وما نحن عليه من الدين أخبرناكم به إجمالا وقصدنا الشكوى لسيادتكم فان حاسبتم هذا المتجاسر لينزجر غيره فذلك المرجو من فضلكم وأجركم على الله سبحانه وان أعرضتم عنه وعن شكوانا فقد فوضنا الأمر لله يوم يحكم بين عباده وحسبنا الله ونعم الوكيل([179]).

عاش المصعبي سعيدا ومات حميدا ولما توفي قال أحد علماء المالكية بجربة: "لا يفرح لموت عالم أحد إلا الجاهل الحقود الذي لا يعرف قيمة العلماء العاملين".كان الشيخ يوسف من الجديين لتعاليم الإسلام بأفعاله وأقواله وكتبه. توفي مترجمنا ضحوة يوم الأحد من صفر سنة 1187هـ/1742 في جزيرة جربة ودفن في مقبرة الجامع الكبير بالحشان وقد وضع على ضريحه رخامة تحمل اسمه.

---

[179])- وجدت هذه التقيدات في ورقات قديمة بتاريخ جمادى الأولى سنة 1282هـ بالمكتبة البارونية

الشيخ أبو عبد الله أمحمد بن يوسف المصعبي

عاش محمد المصعبي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر هجريا في جزيرة جربة بحومة الحشان بمنزلهم شرقي الجامع الكبير حفظ القرآن قبل البلوغ حضر دروس والده في مدرسة الجامع الكبير ثم أرسله والده إلى مدرسة الشيخ أحمد بن رمضان التلاتي بمدرسة القصبيين بحومة قلالة ودرس في جامع وادي الزبيب ورث علم والده وأخلاقه وصلاحه وتقواه فشب على الفضيلة واجتهد في طلب العلم معتمدا على نفسه وذكائه مستعينا بوالده في المسائل التي استعصت عليه تفتحت مواهبه وظهر نبوغه وفاق أقرانه. جلس للتدريس مبكرا في مدرسة الجامع الكبير يعلم الفقه واللغة والعقائد وعلم الأصول والسيرة والفرائض ويشرح الحديث ويفسر القرآن ويرشد الناس ويؤلف. ويصفه الشيخ سالم بن يعقوب في كتابه تاريخ جزيرة جربة ([180]) يقول:" أبو عبدالله أمحمد المصعبي هو الشيخ العالم التقي الطاهر الزكي أبو عبدالله أمحمد بن يوسف بن محمد الميلكي المصعبي أصلا الجربي مولدا ومسكنا كان قطبا من الأقطاب تدور عليه أمور وقته بجربة وحيد دهره وفريد عصره تولى منصب والده في جميع الأمور من رئاسة مجالس العلم والحكم والتدريس والفتاوى بمدرسة الجامع الكبير كل أهل العصر يشهدون له بالعلم والتبريز فيه مع التقوى والنزاهة والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة."

وفي عهده وقعت وشاية في إباضية جربة لدى باي تونس من بعض الفقهاء المتعصبين القاصري النظر الضيقي التفكير، قلبوا الحقيقة لجهلهم بالمذهب الإباضي ولو كلفوا أنفسهم مشقة البحث عن كتب الإباضية في المكتبة الوطنية والخلدونية والعبدلية لعرفوا حقيقة المذهب الإباضي في الأصول والفروع ولكن الجهل المخيم على فئة قليلة منتمية للعلم أعمت بصيرتهم وخلاصة الوشاية هي: أن أهل الجزيرة لا علم لهم وأنهم مخالفون لنا في المذهب وأنهم أهل بدعة يخالفون أهل السنة خالين من الآداب والأخلاق.

أرسل باي تونس حمودة باشا الحسيني إلى علماء جربة طالبا منهم أن يوفدوا جماعة من أهل العلم ليختبرهم المجلس الشرعي([181]). اختار مجلس العزابة بجربة الشيخ أمحمد المصعبي ليكون رئيسا للوفد. سافر الوفد المتركب من ثلاثة علماء لشرح حقيقة المذهب الإباضي ولما وصلوا إلى عاصمة تونس أكرمهم حمودة باشا وفي صباح الغد ركب الباي ومعه جمع من علماء المالكية والحنفية والإباضية وتوجه بهم إلى زاوية سيدي بلحسن الشاذلي وكانت المساحة بين المدينة والزاوية أرض فلاحية فشق الباي تلك المزرعة بخيله وسارت بقية الجماعة تتبعه ولكن الوفد الجربي سلك طريقا متبعا الفواصل حتى لا يفسد الزرع قال أحد الوشاة: "انظر إلى الوفد الجربي لم يسلك طريقك". لما اجتمع الباي بجميع العلماء سأل الباي الشيخ أمحمد المصعبي لماذا لم تسلكوا الطريق الذي سارت فيه الجماعة خالفتوني واتخذتم طريقا غير الذي سرت فيه قال الشيخ المصعبي لم نعصك ولكن أشفقنا على الزرع لم نرض أن ندوسه بأقدامنا لقوله عليه الصلاة والسلام: لا يدخل الزرع إلا ثلاثة واقية وساقية وناقية" وأنت واقية فعرف الباي حقيقة تورعهم وان القوم يطبقون العلم بالعمل فرجع الباي بالأئمة على الواشي

---

[180])- كتاب تاريخ جزيرة جربة تأليف الشيخ سالم بن يعقوب سنة 1406هـ/1986م تحدث فيه عن بعض علماء المدرسة صفحة 135

[181])- رسالة بن تعاريت ص109 وتاريخ جزيرة جربة للشيخ سالم بن يعقوب ص136

وعلى العلماء الذين اتبعوه وهشموا الزرع. وفي الغد طلب الباي عقد اجتماع ثان في قصره فتناظر العلماء في شتى المسائل وعرفوا حقيقة علماء الجزيرة وتمكنهم بفقه الشريعة وتمسكهم بالكتاب والسنة وعندئذ قال الباي حاججكم القوم. وفي المساء اجتمع الباي بالوفد الجربي وشكرهم ثم ودعهم. وهذه القصة تكشف حقيقة التعصب المذهبي في ذلك التاريخ.

تلاميذه

تخرج من مدرسته عدد كبير من الأعلام وهم السادة المشائخ:
- الشيخ سليمان بن محمد الشماخي
- الشيخ أحمد بن عمر البغطوري
- الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف المصعبي
- الشيخ عبد الله المصعبي
- الشيخ موسى بن علي الباروني
- الشيخ محمد بن يحي القلالي
- الشيخ سليمان بن محمد الباروني
- الشيخ إبراهيم بن صالح المصعبي
- الشيخ قاسم بن احمد المثني
- الشيخ أبو الأعناق داود بن أبي بكر المصعبي

مؤلفات الشيخ أمحمد المصعبي

ترك الشيخ أمحمد مؤلفات منها:
1- حاشية على شرح منظومة الحانية لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي
2- حاشية على كتاب الفرائض للشيخ إسماعيل الجيطالي.
3- وحاشية على كتاب تبيين أفعال العباد للشيخ احمد بن محمد بن بكر ولم يكملها بسبب حادثة كدرت خاطره وأتمها بعده الشيخ قاسم بن سليمان الشماخي.

قال الشيخ أمحمد المصعبي: قرأنا كتاب أفعال العباد في مجلس وادي الزبيب مع جماعة من الطلبة والفضلاء فكتبت عليه هذه الحاشية. فوقع الطاعون في جربة عام 1199هـ فافترقنا ومات غالب من كان يحضره معنا من الفضلاء ولم نكمل عليه الحاشية إلى أن يفسح الله في العمر. وله رسائل وأجوبة كثيرة منها رسالة في بعض أحداث جزيرة جربة بدأها بذكر وقوع الطاعون عام 1198هـ وختمها بذكر الصلح بين سلطان تونس حمودة باشا والنصارى سنة 1200هـ. هذه صورة مجملة عن حياة هذا العالم الصالح الذي خدم الإسلام بلسانه وقلمه توفي الشيخ أمحمد المصعبي ليلة الجمعة في ربيع الأول سنة 1207هـ/1792-1793م.

رثاه تلميذه الشيخ داود بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد أبو الأعناق المصعبي الغرداوي نسبا الجربي مسكنا ودفن في روضة الجامع الكبير مع والده الشيخ يوسف والشيخ إسماعيل الجيطالي رحمهم الله.

الشيخ أبو الحسن علي بن يوسف المصعبي

عاش الشيخ علي بن يوسف المصعبي في آخر القرن الثاني عشر وفي النصف الأول من القرن الثالث عشر هجري أخذ العلم عن والده الشيخ يوسف المصعبي بمدرسة الجامع الكبير وعن الشيخ عمر بن رمضان التلاتي بمصر اشتغل بالتدريس بمدرسة الجامع الكبير بالحشان وبمدرسة مسجد الشيخ بحومة القشعيين قال ابن تعاريت: كان عالما حاذقا ناظما للشعر ونساخا للكتب وقد رأيت بخطه:
-حاشية المحشي على الجامع الصحيح ومتنه في سبعين كراسا وكتاب القواعد وكتاب الإيضاح وحاشية والده على كتاب تبغورين له مرثية في والده الشيخ يوسف وقصيدة في مدح بني مصعب وقصيده في شيخه عمرو التلاتي توفي رحمه الله بعد وفاة والده ودفن بمقبرة الجامع الكبير بالحشان.
أما أخوه الشيخ مهني بن يوسف المصعبي فقد اشتهر بالعلم والزهد والتقوى وكان مراقبا للمرابطين على سواحل الجزيرة وكان مسكنه بمنزل والده وكان موجودا سنة 1240هـ ولم نعثر على تاريخ وفاته وقبره بالروضة مع والده وإخوانه.

الشيخ أبو الربيع سليمان بن محمد الشماخي

ولد الشيخ سليمان الشماخي في قرية آجيم في النصف الثاني من القرن الثاني عشر هجري حفظ القرآن في مدرسة جامع ليمس ثم إلتحق بمدرسة الجامع الكبير حضر دروس الشيخ يوسف المصعبي وابنه محمد بن يوسف. قال الشماخي عن نفسه أتيت أطلب العلم على العلامة الشيخ يوسف المصعبي في جمادى الأولى سنة 1185هـ وقال نسخت حاشية شيخنا على كتاب الديانات في شعبان من نفس السنة. وقال فرغ شيخنا من تكميل الحاشية على كتاب الديانات في أواخر رمضان 1186هـ اجتهد الشماخي في تحصيل العلوم حتى بلغ درجة علمية أهلته لأن يكون مدرسا لامعا في زمانه مما جعل شيخه يوسف المصعبي يرشحه لتدريس العلوم بعد وفاته بمدرسة الجامع الكبير حافظ على السيرة حتى وفاه الأجل. يقول ابن تعاريت في رسالته ص116(نسخة سالم بن يعقوب): كان علامة زمانه أخذ العلم من منبعه تخرج عليه عدد من العلماء منهم الشيخ سليمان بن قاسم الجادوي والشيخ يحي الباروني والشيخ عياد بن قيراط.
وفي زمانه وردت أول نسخة من كتاب النيل تأليف الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم الثميني ونسخها ابنه الشيخ قاسم ثم انتشرت في الجزيرة. وتولى الشيخ أبو الربيع سليمان بن محمد الشماخي وضع شرح على كتاب النيل وختم حياته بأداء فريضة الحج ورافقه في هذه الرحلة الشيخ أحمد الغول من قرية قلالة فأدركتهما المنية في مكة المكرمة سنة 1234هـ/1819م. فتولى رئاسة مدرسة الجامع الكبير بعد وفاة الشيخ سليمان الشماخي الشيخ سعيد بن عيسى الباروني.

الشيخ أبو عثمان سعيد بن عيسى الباروني

ضريح الشيخ سعيد بن عيسى الباروني بالحشان

عاش الشيخ سعيد بن عيسى الباروني في أول القرن الثالث عشر هجري ولد بجبل نفوسة حفظ القرآن مبكرا حضر دروس علماء الجبل أخذ عنهم مبادئ اللغة والفقه والأصول والعقيدة ثم سافر إلى مصر لمواصلة دراسته في الجامع الأزهر وفي مدرسة الإباضية بحي ابن طولون على شيوخ المدرسة فاجتهد في تحصيل العلوم من خيرة علماء الأزهر وكان حريصا على مطالعة كل ما وصل إليه من الكتب العلمية والأدبية والتاريخية فأصبح عالما بارعا في العلوم المنقولة والمعقولة وخاصة في علم البيان.

قضى الشيخ سعيد مدة طويلة في مصر يدرس ويدرّس في مدرسة الإباضية على التلاميذ الوافدين من جربة ومن ميزاب وجبل نفوسة ومن سلطنة عمان لما أنهى دراسته فكر في العودة إلى الجبل لزيارة أهله وإخوانه وعشيرته ثم قام برحلة إلى جربة فقصد مدرسة الجامع الكبير فتلقاه علماء الجزيرة واحتفلوا به وأكرموا وفادته وقد قام بعدة دروس في عديد المساجد حضرها طبقة العلماء وطلاب المدارس ولما عرفت أسرة بومسور علمه وصلاحه تقدم إليه الشيخ صالح بن محمد بومسور وطلب منه أن يتولى التدريس في مدرستهم لأن الشيخ سليمان الشماخي وافاه الأجل في المدينة المنورة فتعطلت الدروس في المسجد فاستجاب لدعوته.

استقر الشيخ سعيد في هذه الجزيرة الساحرة وطاب له العيش فاتخذها وطنه الثاني باشر عمله سنة 1220هـ/1820م في مدرسة الجامع الكبير فاقبل عليه الطلبة من داخل الجزيرة ومن جبل نفوسة بلغ عدد التلاميذ الذين يأخذون عنه العلوم ما يزيد عن مائة طالب.

تلاميذ الشيخ سعيد الباروني

تخرج من مدرسته عدد من العلماء حملوا المشعل بعده وأناروا السبيل أمام الأجيال وواصلوا رسالته العلمية في جربة وخارجها وهم على سبيل الذكر:

1- الشيخ عبد الله الباروني والد الشيخ سليمان باشا الباروني عضو المجلس الأعلى العثماني.
2- وابنه الشيخ علي بن سعيد الباروني
3- وابنه الشيخ صالح بن سعيد الباروني
4- والشيخ صالح قوجة
5- الشيخ سعيد بن أيوب الباروني
6- والشيخ عمر بن يحي الصدغياني
7- والشيخ زكرياء بومسور
8- والشيخ عمر بن أحمد البغطوري
9- والشيخ سعيد بن الحاج علي بن تعاريت من صدغيان له رسالة في بعض تراجم علماء الجزيرة
10- والشيخ أحمد بن سليمان الباروني
11- والشيخ عياد بن قيراط
12- والشيخ يحي الباروني
13- والشيخ عمر بن يحي الصدويكشي
14- والشيخ يوسف بن مهني بن مشيشي
15- والشيخ قاسم قوجة النفوسي
16- والشيخ عيسى بوقاندة النفوسي

قضى الشيخ سعيد حياته مدرسا ومصلحا اجتماعيا يرشد الناس في المساجد وفي الولائم والمآتم والمواسم والأعياد كان خطيبا بمسجد جامع الشيخ بحومة السوق. إثر صلاة الجمعة يجتمع حوله العلماء يستفسرونه في مسائل عديدة ويحل لهم المشكلات وكان حاكم الجزيرة بن عياد يحضر دروسه ويصلي معه الجمعة. ولمكانته العلمية كان أعيان الجزيرة يزورون منزله في الأعياد يقدمون له التهاني فكان الزعيم الروحي للجزيرة. يقول سعيد بن تعاريت تلميذه: هو المتفنن في علم المنقول والمعقول ملاذ العباد شيخنا سعيد بن عيسى الباروني. وكثيرا ما ينقل عنه أحداثا تاريخية وتقارير علمية فيقول في رسالته "قال شيخنا أن كتاب الشيخ سليمان بوستة على شرح الجهلات أبلغ من كتاب ابن عمه الشيخ المحشي" ويقول "وجدت بخط شيخي أن الشيخ علي ابن بيان اليديسي هو الجامع لحواشي شيخه محمد بن أبي ستة ويقول نسخت من خط شيخنا ما نصه:
"ولي الله التقي الزكي الطاهر شيخنا أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي يقول: قال شيخنا في حق الشيخ سعيد بن يحي الجادوي هو الفائق في العلوم المنقولة والمعقولة وكان شاعرا مجيدا رأيت له قصائد كثيرة في الأحكام والعبادات والمواعظ والمراثي لو جمعت لكانت ديوانا"

ونترك الشيخ عبد الله الباروني يصف شيخه في أحد رسائله عندما كان طالبا في الأزهر سنة 1273هـ يستفتيه في عدة مسائل دينية وتاريخية يقول: إلى الحضرة العلية والطلعة السنية البهية جمال الأيام ورقة الأزهار والأكمام ونزهة الأفكار والأفهام ودائرة الكون وتاج الفضائل معدن الأسرار الربانية الإمام الجليل والهمام المفضل منبع الأسرار ومطلع الأنوار وحلة فقه الأخيار بدر سناء التجلة الإباضية وقطب دائرة البسيطة النورانية قدوة العلماء المحققين وعمدة البلغاء المدققين حاوي فضائل المتقدمين والمتأخرين مفيد الطالبين وبلاغ الراغبين كشاف المشكلات والمعضلات السائر علمه في سائر الأقطار.... إلى آخر الرسالة وقد تضمنت هذه الأبيات:
قال الشيخ عبد الله الباروني يمدح شيخه:

سيدي كالثريا أمسى فريدا بين أنجم عصره ووحيدا
ماله في زمانه من مثيل في العلوم ولا في تقوى الجليل
قد حوى بعلمه كل فضل فهو بين الأنام كالشمس يجل

شهدت بكماله العلماء وتغنت بمدحه الأدباء
يا إماما تنور الكون منه وهماما روى الأفاضل عنه
أنت بدر الدجى وأنت المعلى أنت في العالمين نور تجلى
أنت بحر مزاجه زنجبيل أنت شمس بين الأنام نزيل
أنا عبد الإله غرس علاك ومدحي قاصر عن ثناك([182])

وهذا المرحوم شيخ الصحافة الجزائرية أبو اليقظان إبراهيم عند حديثه عن حياة الشيخ عبد الله الباروني في كتابه سليمان باشا الباروني في أطوار حياته يقول أخذ عبدالله الباروني العلوم الدينية عن الإمام العلامة أبي عثمان سعيد الباروني نزيل جربة الذي وافاه الأجل المحتوم سنة 1284هـ/1868م ورثاه الشيخ عبد الله الباروني بقصيدة مطلعها([183]) يقول:

ألا كيف يهني الصبر والخطب أشنع وبرق المنايا في البرية يسطع
تسير بنا الأيام سيرا معجلا ونحن قعود نستلذ ونهجع
ونزداد في الدنيا سرورا وبهجة ونرغب في كل يوم ونطمع
ونسعى لها بالجد والكد والعناء ونستفرغ الأوقات فيها ونجمع
وتأسرنا بكيدها ودهائها وتجلينا بسحرها وهي تقرع
ونأكل منها طيبا بعد طيب ولم ندر السم في ذلك منقع

الى ان يقول:

فلو دامت الدنيا دوما مؤبدا لدامت لخير الخلق وهو المشفع
فمن كان ذا عقل فلا يأمن الدنيا فليس لها عهد تخون وتخدع
ولا خير فيما يقتنى من نعيمها اذا كان عقباه الزوال فينزع
وأي حياة يستلذ بها الفتى وأهل المعالي في المقابر شرع
ومما أثار الهم والحزن والأسى وكاد الفؤاد بالجوى يتمزع
وفاة جمال الدين والعلم والتقى ملاذ الورى كنز المفاخر أورع
عديم المثال أريحي حلا حل إمام همام لو ذعي سميدع
فريد وحيد متقن ذو فصاحة وبحر خضم في العلوم ومنبع
رفيع نجيب ماهر متقن عليم بصير بالأمور مبرع
عظيم جليل القدر في الناس كلهم مطاع جميل الرأي لا يتصنع
مهيب شجاع لا يطاق اتصاله ذكي ربيط الجأش لا يتضعضع
له همة لا مرتقى لعلوها ونفس تأبى أن تهان فتوزع
أرى الدهر لم يسنح له بمماثل وقد حصلت له المفاخر أجمع
عنيت أبا عثمان شيخي وقدوتي سعيد بن عيسى كان لله يخشع
بروني نسبه بها فاق مجده فأكرم بها أصلا له متفرع
نغانى به الناعي وأخبر أنه قضى نحبه فكان للدين مفزع
ففاضت نفوس السامعين تفجعا على فقده واسترجعوا وتوجعوا
وعدنا سكارى ذاهلين من الأسى لما همه اذ خطبه اليوم أشنع
وأظلمت الأرجاء وحل بها البلا وأضحت رياض العلم فيفاء تدمع

وهذه قصيدة أرسلها عبدالله الباروني من مصر إلى الشيخ سعيد الباروني([184]) يتشوق إلى رؤيته يقول:

شكوت إلى مولاي ضيق خواطري وحالي وغربتي وبعد عشائري
مناي من الدنيا حياة سويعة إلى أن أرى بدرا سما بالمفاخر

---

[182])- هذه الرسالة أرسلها الشيخ عبدالله الباروني إلى شيخه توجد ضمن وثائق مخطوطة هامة لأسرة الباروني في المكتبة البارونية

[183])- ديوان الشيخ عبد الله الباروني ص73 وعدد أبياتها خمسة وتسعون بيتا (مطبوعة)

[184])- ديوان الباروني ،عبدالله ص54 دار الطباعة المحمدية بالأزهر القاهرة

وساد على أهل الزمان بعلمه وحاز مقاما فوق كل معاصر
هو العالم النحرير شيخ زمانه هو العلم المشهور بين العشائر
هو الأسد المقدام في كل شدة هو العنقفير الشهم عند التناظر
هو البحر لكن ان عذبا زلاله هو البدر لكن في الدجى والهواجر
له الطلعة الغراء في كل محفل له الرتبة العلياء بين الأكابر
له همة فوق الثريا وشدة على كل من طغى بفعل المناكر
سرت في الورى هوج المطايا بذكره وشدت إليه يعملات الأباعر
به جربة تاهت دلالا بعجبها وزاد افتخارها على كل عامر
وماجت رياضها وغنى حمامها ونارت بقاعها بنعم المهاجر
عنيت به الأستاذ شيخي وقدوتي يكنى أبا عثمان كنز الذخائر
يسمى سعيدا أدام سعد كماله ويعزى برونيا أصيل الاخاير
عليه سلام الله ماجدّ سائر يؤم إلى أوطانه في الدياجر
هنيئا لكم أهل جربة فزتم بطلعة بدركم لها من مآثر
لقد ذهبت أهل الفضائل كلهم ولم يبق إلا ذكرهم في الدفاتر
ولو لا بقاء لضاقت رحابنا وأظلمت الأرجا على كل ناظر
فيا رب متعنا بطول حياته ونور طريقنا بأهل البصائر

وإليك أيها القارئ قصيدة من الشيخ سعيد بن أيوب الباروني الوالغي يرثي بها شيخه سعيد الباروني وعدد أبياتها ثلاثة وسبعون بيتا يقول:

نعى معشر الإخوان من أهل مذهبي بجربة وأهل الجبال ومصعبي
بكيت فلم يغن البكاء وحزنه وأضرم في الأحشاء نار التلهب
أنوح وأبكي كل يوم وليلة على العلم الأستاذ عمدة مذهبي
ألا أنه شيخي وركني ومسندي ألا أنه هو الذخيرة والقطبي
فطوبى له عمرا طويلا مجاهدا وفي طاعة الرحمان كان مراقبي
ومن كان للصلاة في جوف مظلم إذا نامت العينان للمترقبي

ويشير الشيخ سعيد بن أيوب أنه كان خارج الجزيرة عند وفاة شيخه

فيا ليتني حضرت يوم مماته وألحق أثر النعش حبوا على الركبي
ويا غائبا إن غبت عن نظر بصرنا فإنك لم تحجب على بصر قلبي
ومن كان للصيام في طول يومه إذا فاح فيح الحر في شدة النصبي
على أنه للخلق بالنصح مشفق محافظ على عهد الإله مقربي
هو العالم الهمام بدر زمانه هو البطل الضرغام والليث في العرني
فمن لكم أهل الجزيرة بعده ومن لأهل الجبال في الأمور الصعابي

هذه القصيدة المخمسة لسعيد بن أيوب الباروني طويلة وهذا مطلعها

سعى فنعى نعيا سريعا بخطبه بكته دواوين العلوم وكتبه

له عدة فتاوى ومراسلات([185]).

مناظرة الشيخ سعيد بن عيسى الباروني مع الشيخ أحمد السنّاري

قدم الشيخ أحمد السنّاري الحبشي من مصر إلى جزيرة جربة طالبا مناظرة العلماء وكان متفوقا في علم المنطق وغيره من العلوم اجتمع بالقاضي والمفتي المالكيين فافحمهما وسأل هل من عالم بالجزيرة فأشير عليه بالتوجه إلى الشيخ سعيد الباروني بمدرسة الجامع الكبير فقصده فوجد عنده الشيخ موسى بن علي الباروني وقد أتى من جبل نفوسة زائرا ابن

[185])- رسائل جاءته من مصر يستفتونه في مسائل خلافية بين الأيمة أرسلها الشيخ عبدالله الباروني سنة 1259هـ ورسالة من عمنا الشيخ عمر الباروني في 8 شعبان 1273هـ وهي مدونة في كراس خاص بالوثائق العلمية لأسرة الباروني في المكتبة البارونية

عمه. ابتدأت المناظرة بعد صلاة العشاء في جميع الفنون إلى طلوع الفجر ثم ذهب الشيخ سعيد ليستريح أما الشيخ موسى فتابع النقاش مع السنّاري حتى عجز هذا الأخير فقال: هذا هو العالم الفقيه، ثم ذهب السنّاري إلى تونس وناقش علماء الزيتونة وقال لهم لم أجد العلم إلا في جربة.

توفي الشيخ سعيد بن عيسى الباروني سنة 1284هـ ودفن بمقبرة آل الباروني جنوب شرقي الجامع الكبير بالحشان جربة.

مكتبة الشيخ سعيد الباروني

لما عاد الشيخ سعيد من مصر جلب معه مكتبته فكان صاحب الفضل في تكوين مكتبة الباروني ويرجع تاريخ تأسيسها إلى سنة 1220هـ وعندما استقر بمدرسة الجامع الكبير حافظ على هذا التراث ونمّاه بشرائه مجموعة من الكتب من مكتبة الشيخ موسى بن علي الباروني النفوسي ثم واصل ابنه العلامة الشيخ علي الباروني وحفيده الشيخ يوسف بن علي الباروني ثم واصل رعايتها الشيخ أمحمد بن الشيخ يوسف الباروني ثم ابنه يوسف بن

أمحمد الباروني وفي عهد الحفيد زادت العناية حيث بنى لها مكانا خاصا وأخرجها من محل سكناه حتى يتمكن الباحثون من الإطلاع على أهم المخطوطات من كتب الإباضية وغيرها من المذاهب الإسلامية نظمت المكتبة وفتحت أبوابها لجميع الباحثين من أوربا وإفريقيا الشمالية وآسيا وأمريكيا وكانت جل الكتب التي بها مخطوطة وقد أثراها الشيخ يوسف بن أمحمد الباروني بكتب جديدة وقديمة في شتى الفنون الإسلامية والتاريخية والعلمية والأدبية وعلم النفس وبدأ الإقبال عليها من رجال الفكر والعلم من بداية 1960م.

زارها الدكتور عمرو خليفة النامي من لالوت بجبل نفوسة في جمادى الثانية 1388هـ الموافق لشهر أوت 1968م لجمع مواد الأطروحة وكان موضوعها تطور الفكر الإباضي ودراسة نظام الولاية والبراءة عند الإباضية وعند زيارته الأولى([186]) سجل هذه القصيدة تحية مودة لأسرة الباروني بجربة في 4 جمادى الثانية 1388هـ/31 أوت 1968م يقول:

يا خيرة السلف الأطهار معذرة إن قصر القول عن شكر المبرات
حفظتم العهد فاعتز الجميع بكم وقد رفعتم منارا للكرامات
غرس نماه أبو هارون باركه فضل من الله في ماض وفي آت
بنت جدودكم مجدا فما ضعفت منكم عزائم عن درك المهمات
فبارك الله ما شادت عزائمكم وزانكم بالمعالي والمسرات

كما زار المكتبة وفد من ميزاب سنة 1960م منهم الأستاذ إبراهيم طلاي والأستاذ عبدالله كنتابلو والأستاذ حمو هذا من الجزائر والأستاذ محمد عيسى الباروني من معهد طرابلس للمعلمين ومعه مجموعة من الأساتذة وزارها الدكتور شكري فيصل وحرمه من سوريا سنة 1971 وزارها الأستاذ مراد عبدالله كوستاري من هولندا لقصد جمع معلومات عن أسرة الباروني والأستاذ مسعود يامون صحبة الشيخ سالم بن يعقوب مؤرخ جزيرة جربه وفقيهها وزارها وفد من سلطنة عمان صحبة الشيخ أحمد الخليلي مفتي سلطنة عمان سنة 1392هـ-1972م والشيخ سالم بن محمد الرواحي والشيخ سعيد بن علي الشكلي وغيرهم كثير وزارها الشيخ بيوض إبراهيم صحبة رفاقه العشرة من ميزاب وأقام مدة أسبوع في المكتبة البارونية ضيفا على أبناء الجزيرة وألقى عدة محاضرات بعدة مساجد جربة في مناسبتين، الأولى في 11 رجب 1392هـ/21 اوت 1972م والثانية صحبة وفد من المشائخ بمناسبة زفاف ابني سعيد بن يوسف الباروني في 21 شعبان 1399هـ/15 جويلية 1979م

نشاط المكتبة

تستقبل الوفود من جميع الجهات، نظمت معرضا للكتب المخطوطة سنة 1982م ضمن جمعية صيانة الجزيرة كما شاركت بمعرض الوثائق الجربية من 24 أفريل إلى 8 ماي 1987 كما عرّفت بالحركة الثقافية بالجزيرة عبر التاريخ ومازالت تواصل رسالتها برعاية الشيخ يوسف بن أمحمد الباروني حافظ المكتبة.

---

[186])- زارها للمرّة الثّانية وقضى بها عشرين يوما يبحث ويسجل ثم أخذ قائمة في بعض المخطوطات الإباضية ونشرها في رسالة صغيرة بالعربية والانقليزية وتوزعت هذه الرسالة على أهم المكتبات في أوربا وأقبل عليها الباحثون من جميع القارات و ذلك في 21 رمضان 1389هـ/1 ديسمبر 1969م.

الشيخ علي بن سعيد الباروني

عاش في العقد الرابع من القرن الثالث عشر هجريا، ولد في جربة بمنطقة الحشان. حفظ القرآن في مدرسة الجامع الكبير ثم درس شتى الفنون على والده الشيخ سعيد بن عيسى الباروني، فاجتهد في تحصيل العلوم من مكتبة والده ومكتبة المدرسة. فكان يكثرمن المطالعة حتى فاق زملاءه. وكان الشيخ علي مثالا في الاستقامة منذ شبابه، عفيف اللسان صافي القلب، ذكيا نزيها هذه الصفات أهلته لأن يكون خليفة والده في المدرسة المسورية فأحيا العلوم وكوّن أجيالا رفعوا منار العلم بالجزيرة، جلس للتدريس مبكرا في حياة والده وازدهرت المدرسة في عهده حيث أقبل طلاب العلم من داخل الجزيرة وخارجها. يخصص كل يوم درسا في التفسير والحديث للتلاميذ الكبار يحضره عدد من المشائخ. كافح الجهل وحارب الرذيلة ونشر الفضيلة في المجتمع الجربي بتفانيه وإخلاصه وكان الشيخ زاهدا ورعا يكتفي من حطام الدنيا بالقليل، فكان مثال الصلاح والتقوى والزهد والعفة. روت لي جدتي([187]) عن ورعه قالت: التقطت ابنته قليلا من سنابل الشعير من المندرة وأرادت أن تصنع منها أكلة فمنعها والدها وأمرها بإرجاع السنابل إلى مكانها حتى تدرس ويخرج منها الزكاة وكان يخصص دروسا في الليل للعموم بين المغرب والعشاء ودرسا بعد صلاة الصبح يحضره المصلون. كان الشيخ علي تقيا صاحب كرامات ومما يروى عنه أن أحد أيام الخميس جاءه خادمه مسعود شوشان الباروني وأخبره أن الجمل سقط في البئر فلم يهتز ولم يقطع درسه ولم تظهر عليه الحيرة وبعد الانتهاء من الدرس ركب دابته وذهب إلى سانيته فوجد الجمل يسقي على البئر فاستغرب الأمر فأخبر بأن نساء الجهة فزعن ونزل مسعود ورجل آخر إلى البئر وربطوا الجمل وأخرجوه سليما.

تلاميذه

درس عليه عدد كبير من التلاميذ منهم الشيخ أحمد بن علي الباروني والشيخ يوسف بن علي الباروني والشيخ يونس الباروني والشيخ زكرياء أبو مسور وغيرهم كثير. تفرغ الشيخ علي الباروني لتعليم الأمة وتكوين الأجيال ونشر الدين معتمدا على نفسه لا يتقاضى أجرة على التدريس كان خطيب الجمعة بجامع الشيخ بحومة السوق المدينة وبعد صلاة الجمعة يخصص درسا في الوعظ والإرشاد وله عدة رسائل وفتاوى أجاب بها علماء عصره، وهذه رسالة جاءته من مصر كتبها الشيخ عبدالله الباروني وهذا نصها: الحمد لله وحده وصل الله على سيدنا محمد حمدا لمن جعل العلماء أعينا يهتدى بهم في مهام المشكلات ومصابيح يستنير بنورهم في دياجير الظلمات والمعظلات ثم يقول: إن أحسن ما فاهت به ألسنة المشتقين وألطف ما ترنمت به بلابل المتحابين وأعذب ما سالت بوقعه أودية أقلام الكاتبين وأدنى ما فاحت به أزهار أوراق المتخاطبين تحية تفرح بنشرها نسيم الرياحين وتسليات تتصل بأصولها أرواح المتباعدين سيما ما ترنمت حمائم أوتارها وزفت بها عرائس أفكارها إلى بهجة الزمان ونادرة الأوان المتحلي برقائق الفهوم المجتني لرقائق العلوم المستمد لها من معدن بحرها الواسع

[187])- فطيمة فقيهة متعلمة أخذت نصيبا من الفقه عن زوجها حتى أصبحت مرجعا للنسوة والدة أمحمد بن يوسف الباروني

المستخرج لها من معدنها النافع... ثم يقول: من صار فضل مقامه بين الأقران العلامة الشيخ علي الباروني لا زالت بهجته وطلعته مأنوسة وعين السعادة ناظرة إليه قدوة المقتدين وسراج المسترشدين أما بعد إهداء التحية الزاهرة هذا والداعي إلى كتابة هذا الجواب وتحريره قصور رأي وضعف شرعي فتوجهت إلى جنابكم بهذه الأسئلة وقد حال دون معرفة الحكم حائل من قلة العلم والدراية وجنود الفتنة موجها إلى مقامكم المصون عملا بالآية (فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون) فها أنا بحمد الله أشرع في ذكرها وأقول على الله توكلت - المسألة الأولى ما قولكم دام حفظكم في مسألة الاجتهاد هل اتفق أصحابنا على أن الحق فيها واحد أو اختلفوا وما حكم المخالفة في مسائل الفروع عندهم. أجاب قائلا قسّم الشيخ أبو يعقوب بن يوسف بن خلفون هذه المسألة حيث قال بعدما قسّم الفقه إلى ضربين معلوم ومضمون فالمعلوم ما ثبت بنص الكتابة ومتواتر من السنة وإجماع الأمة والمضمون ما ثبت بمحتمل التأويل والأحادي والأقييسة المسندة إلى الكتاب والسنة وليس فيها تكفير ولا تضليل هذا ما اتفق عليه أهل العلم ذكر هذا في آخر رسالة أجاب بها أهل نفوسة وقد حكى الشيخ جعد بن الخميس الخروصي العماني في مسألة الاجتهاد ثلاثة أقوال حيث قال بعد كلام طويل اعترض به على الشيخ أبي محمد عبدالله بن محمد بن بركة في كتابه الجامع والقياس لا يصح إلا على أصل متفق عليه.

ثم يقول: إن الناس في هذه المسألة ثلاثة أقوال أحدها أن الحق في واحد منها فمن أصاب بالدليل نصه وإلا كان مقطوع العذر وهذا في رأي فاسد فدعه فلا عمل عليه إلى آخر الرسالة الطويلة. ومدحه الشيخ عبدالله الباروني بقصيدة يقول:

فمن نجله السعيد فخر الأماثل علي عليّ الشأن بادي البشائر
نقي تقي عالم متأدب حليم موقر طهور السرائر
فيا رب زد في عزه وكماله ونوّر به الديجور من كل ضامر

وقد بعث له الشيخ سعيد بن أيوب قصيدة مخمسة عدد أبياتها سبعون يرثي فيها شيخه سعيد الباروني يقول في آخر القصيدة:

أبا الحسن عليا عظم الله أجره وعرج إلى الخيرات وأجبر كسره
له خلف قد قام من جذر أصله ووافق ذاك الفرع نسقا بنسقه
ومحيي لنا الدينا يا رب أبقه وانفع به الإسلام نفعا بصدقه
رعى الله فرع الأصل جم المناقب
كريم السجايا طيب الأصل فاخر فأكرم به شيخي فقيه وماهر
شعائر الإحسان مع كل عابر أبا الحسن الهمام نجل العناصر
فأكرم به خير نزيه من العيب

وهذه رسالة بعث بها بعض الفضلاء إلى الشيخ علي الباروني يسأله في حق النائم في شهر رمضان يوما أو يومين أو ثلاثة ولم يستيقض هل عليه القضاء أجاب رحمه الله بعدم القضاء في حق النائم مطلقا فهل يعيد الصلاة في الأيام التي قام فيها ولا يعيد الصوم إلا أن يكون نام على جنابة فليعد الصوم والصلاة جميعا. انظر ديوان الأشياخ يقول : أن من رقد في رمضان حتى مضى عليه أيام فإنه ليس عليه إعادة سواء كان رقاده بالليل أو بالنهار وسواء كان مسافرا أو مقيما. كما يقول لا حظ للنظر مع وجود الأثر ومن كلام صاحب الإيضاح في شأن المغمى عليه والمغشي عليه صحيح العقل كالنائم إلى آخر الرسالة حررها علي بن سعيد الباروني توفي بجربة وقبره في روضة أجداده بمقبرة الجامع الكبير سنة 1300هـ تقريبا.

الشيخ يوسف بن علي الباروني

ولد الشيخ يوسف بن علي الباروني بجربة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر هجريا. حفظ القرآن مبكرا في مدرسة الجامع الكبير. حضر دروس والده في اللغة والفقه والأصول والحديث والفرائض والتاريخ. اجتهد في تحصيل العلوم مستعينا بوالده يطالع ويدرس كل ما وصل إلى يده من كتب حديثة وقديمة ليقضي أكثر وقته في المكتبة يراجع المسائل من أمهات الكتب المفيدة. ساعده ذكاؤه وحافظته القوية وفهمه الجيد وقراءته الواعية على استيعاب العلوم. خلف والده الشيخ علي في مدرسة الجامع الكبير فنهض بهذه الرسالة العلمية على أحسن الوجوه وأقبل عليه طلاب العلم من جميع الجهات ينهلون من علمه الفياض كان فصيح اللسان جميل الصوت إذا رتّل القرآن سكنت النفوس إلى سماعه كان يؤثر على الناس في خطبته يوم الجمعة فتفيض عيونهم بالدمع وكان يتنقل في مساجد الجزيرة يرشد ويوجه الجماهير المتعطشة إلى المعرفة وكانت له دروس في مدرسة جامع بوليمان بصدغيان وكان خطيبا بجامع الشيخ بحومة السوق كان مفتي الجزيرة يرجع إليه في جميع المسائل الدينية والاجتماعية وكان السيد المطاع عرض عليه تولي منصب القضاء فامتنع وفضّل التعليم. كان عفيفا تقيا متواضعا يرتزق من فلاحته فهي مورد رزقه ومصدر عيشه وكان عفيف النفس عالي الهمة من رآه هابه يجلله الوقار جميل الذات والصفات بهي الطلعة طيب الرائحة إذا جلست إليه تغشاك رائحة العطور الزكية كان محبا للطيب نظيف الثياب له جواد يتنقل عليه في أطراف الجزيرة يحضر الولائم والمآتم ويرشد الناس. تولت أسرة بالحاج القضاء والإفتاء في مدينة حومة السوق جربة وكان القاضي والمفتي يتوقفان في عدة أحكام يأتيان إليه مساء الخميس يستفتيانه فيما أشكل عليهما من الأحكام فيعطيهما الحلول فينفذانها في المحكمة وله رسائل عديدة وقصائد حررها بنفسه منها رسالة وجهها إلى أحد القضاة بجربة يشرح فيها عدة أحكام في الفقه.

كانت بيته قبلة الزائرين من العلماء والغرباء يكرم وفادتهم ويحسن إلى الفقراء فكانت مكتبته ناديا يجتمع فيه الطلبة والعلماء للمراجعة والمدارسة ويزوره أعيان البلاد في الأعياد يقدمون له التهاني وكانت له زوجة صالحة ذكية تحضر دروسه في المنزل تحفظ كثيرا من المتون كالنونية والحائية والرائية وكانت فقيهة متعلمة تأتيها نساء القرية يسألنها في مسائل الطهارات والحيض والنفاس وكل ما يتعلق بشؤون المرأة المسلمة وكان لها الفضل في تعليم النساء أحكام الدين فحفظن عليها كثيرا من السور القصار وكانت لها شخصية يهابها الرجال والنساء لفراستها وذكائها قال لها أحد الشيوخ لو واصلت دراستك لكنت أستاذة بارعة.

وكان يشرف على ثبوت الهلال في كل شهر فكان أهل الجزيرة يعتمدون عليه في الصيام والإفطار لأن له هيئة من الثقات في أطراف الجزيرة يشاهدون ثبوت الهلال في كل شهر وكان متعففا نزيها يبغض الاستعمار الفرنسي حاولت فرنسا أن تغريه بالمناصب والمال فأعرض عنها وامتنع أن يعمل تحت سلطانها عاش معتمدا على نفسه يدرس ويشتغل بالفلاحة والتجارة عاش عزيزا كريما إلى آخر يوم من حياته توفي رحمه الله في 19 جويلية 1924م.

مدرسة جامع وادي الزبيب

تأسس هذا المسجد في النصف الثاني من القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي اشترك أهل البر والإحسان في بنائه وكان المشرف عليه الشيخ أمحمد بن أحمد الصدغياني

يقع الجامع بين حومتي جعبيرة ووادي الزبيب ويسمى الآن جامع ولحي وهو في حالة خراب يحيط به سور من جميع الجهات به مدخلان شرقي وغربي والداخل من الباب الشرقي يجد على يمينه بيوت التلاميذ والميضاة وعلى يساره بيتا للطبخ ورواقا. أما بيت الصلاة فقد وقع توسيعه وعلامة ذلك أن به محرابين. وبيت الصلاة الأصلي يكاد يكون مربعا 10م x 10 م. أما شكله الحالي فطوله 20م وعرضه 10م ولا يقل ارتفاعه عن خمسة أمتار. ورسمت بسقفه عدة نقوش جلها آيات من القرآن الكريم.

كتابة على جدار مئذنة جامع ولحي داخل بيت الصلاة

الشيخ يعيش بن موسى الزواغي الجربي

صورة جامع سيدي يعيش

ولد الشيخ يعيش الزواغي في عهد المستنصر الحفصي سنة 670هـ تقريبا حفظ القرآن في مسجد الشيخ صالح المغراوي([188]) تعلم العلوم على الشيخ صالح المغراوي ثم سافر إلى جبل دمّر فأقام به زمنا ثم رجع إلى جربة وهنا تسكت المصادر التاريخية عن رحلته إلى جبل دمّر هل لقصد الدراسة أم لزيارة الأصدقاء والأقارب.

كان الشيخ يعيش عالما من أعلام الجزيرة أفنى عمره في التدريس والإصلاح والاجتماعي بدأ نشاطه العلمي في جامع التجديت بحومة فاتو ولما تقدم به السن أسس له أهل الخير مدرسة وادي الزبيب بقرب مسكنه فكان أول المدرسين به تولى الشيخ يعيش رئاسة مجلس العزابة في النصف الثاني من القرن السابع هجريا([189]) فتجتمع إليه العزابة([190]) في كل نازلة حلت بهم ويخرج الرأي من تدبيره ويتركب هذا المجلس من أعضاء مختارين ممن امتازوا بالعلم والعمل والورع ويتولى هذا المجلس النظر في مصلحة البلاد دينيا واجتماعيا وسياسيا وله مجلس ينتصب في أحد المساجد لفصل الخصومات بين الناس في الأمور الدينية والدنياوية. للشيخ يعيش رسائل وفتاوى عديدة أجاب بها أمير قابس أحمد ابن مكي حين تولى الحكم على جربة وطرابلس سنة 737هـ بأمر من أبي بكر الحفصي وحضر الشيخ يعيش الحملة الصليبية على الجزيرة سنة 689هـ/1289-1290م ويذكر ابن خلدون أن شيخ الحكم في الجزيرة هو محمد السمومني وقد استشهد في هذه المعركة وتمكن النصارى من احتلال جربة.

وهذا نص السؤال الذي وجهه ابن مكي إلى الشيخ يعيش بجربة في حكم التيمم "رجل في أحد أعضائه قرح أو جرح وقد خاف الهلاك إذا غسله بالماء فما هو الدليل الموجب عليه للتيمم ولقد رأيت في المسألة أقوالا

---

[188])- يسمى الآن مسجد سيدي يعيش بحومة جعبيرة

[189])- نظام العزابة (ص328 الملحق الأول) للدكتور فرحات الجعبيري تونس 1975

[190])- مجلس العزابة هو مجلس يمثل أعلى سلطة ينتخبون من أهل الورع والإصلاح والتفقه في الدين والأمانة والصدق يتولون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان ويقومون بجميع الوظائف الدينية والدنياوية

لبعض الفقهاء فرضان لا يجتمعان الوضوء والتيمم. يرد الشيخ يعيش على رسالة ابن مكي وهذا نص الجواب:بسم الله الرحمان الرحيم وصل الله على سيدنا محمد الحضرة السنية والرتبة العلية مقام الأمراء ومحل الكبراء السلام عليكم هذه مسألة كلفتموني بجوابها وجشّمتموني خطابها فنعم ما اشتغل به بالكم وحليت به حالكم إذا كان غيركم ممن عنى بغامر العوام وخطوب السوام وأوتار الكرام في هذا الوقت ساهيا لاهيا عن أمور الديانات وساهيا عن التساؤلات في فن الفقهيات قد أخذتم من كل شيء حظا وافرا إن هذا لهو الفضل المبين فالحمد لله الذي أسكن قلوبكم الذكرى وأحاطها بالزلفة الكبرى وهي مسألة: رجل في عضو من أعضائه قرح أو جرح وقد خاف الهلاك إن غسله وما الدليل الموجب عليه التيمم أعلم أن المسألة تضمنت اختلافا جما بين الأمة ليس هذا موضع الخلاف فيه ولكن اقتصر على ما إليه إشارتكم ودليل حسن إرادتكم أعلموا أن الله لم ينقل الوضوء إلى التيمم إلا بعد أحد شرطين لا ثالث لهما وهو المرض أو عدم وجود الماء نزل القرآن وحديث السنة وأجمعت عليه الأمة وسؤالك عن صحة بعض الأعضاء ومرض البعض وهل الحكم للأعضاء السليمة أما للأعضاء العليلة أما مسألة حكم غير حكم العليلة والعليلة لها حكم غير حكم السليمة والمسح على الأعضاء العليلة ولا يرون التيمم هناك ودليلهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم لعلي أن يمسح على الجبائر حين انكسر أحد الزندين وليس بالتيمم

وجاء رجل إلى بني العباس وبه جرح فأمره بالوضوء والمسح على الجراح فلعمري أن هذا القول حسن جدا وهو المأخوذ به عندنا([191]) والطائفة الثانية يرون الوضوء للأعضاء السليمة والتيمم للأعضاء العليلة قوله تعالى وان كنت مرضى([192]) فالموضوع عندهم على وجهين عام لجميع الأعضاء وخاص لبعضها دون بعض فان عم الجميع نقل الوضوء إلى التيمم عام للأعضاء كلها كما أن المرض عام لها فان خص المرض ببعض الأعضاء دون بعض فخطاب آية الوضوء متوجه إلى الأعضاء السليمة دون العليلة وخطاب آية التيمم متوجهة إلى الأعضاء العليلة دون السليمة وأيضا جعلوها بمنزلة من لم يجد الماء إلى ما يتوضأ به لبعض الأعضاء دون البعض لأن المرض وعدم الماء شيآن ناقلان إلى التيمم حيث اختلفوا مع غيرهم في إنسان لم يجد الماء إلا ما يتوضأ به لبعض أعضاء فقالت هذه الطائفة يستعمل ما وجد من الماء إلى حيث بلغ ثم يتيمم لأن الله قال فان لم تجدوا ماء فتيمموا فما اسم نكرة شائع في جنسه يخرج على الكثير والقليل مستغرق في الجنس فمتى وجد منه شيء استعمل حيث بلغ ثم يتيمم لباقي الأعضاء لأن الله تعالى لم يخاطب خلقا لكثرة الماء دون قلة بل خاطبهم باسم يعم القلة والكثرة وهكذا كان الأمر في الأعضاء السليمة والعليلة أما دليلهم من السنة فللذي شج رأسه فأجنب فسأل القوم فأمروه بغسل فاغتسل فكرت عليه الشجة فمات فأخبر النبي صل الله عليه وسلم فغضب فقال مالهم قتلوه قتلهم الله لو أمروه اغتسل ومسح على موضع الجرح ثم عاد القول فقال مالهم قتلوه قتلهم الله لو أمروه فاغتسل وتيمم وفي رواية أخرى اغتسل وترك الجراح ففي الرواية الثالثة ذكر التيمم وفي الثالثة لم يذكره عن ابن عباس في الجنب إذا لم يجد من القدر ما يتوضأ به قال يتوضأ به ويتيمم وطائفة ثالثة يرون الجمع بين الوضوء والتيمم وتأويلهم في الآيتين إن الله أمر بالوضوء عموما وأمر بالتيمم عموما فمتى ثبت الوضوء يسقط التيمم ومتى سقط الوضوء ثبت التيمم وقد سئل بعض الأيمة في هذا الفن العظيم القدر عن رجل توضأ لبعض أعضائه وترك البعض لعلة

---

[191])- كراس مخطوط بالمكتبة البارونية محاضرة ألقيت بمسجد يعيش الزواغي

[192])- الآية عدد6 من سورة المائدة

التيمم ليس بتيمم قيل فان فعل قال فحسن جميل فدل قوله عمن لم يتيمم ليس عليه شيء ومن يتيمم فهذا أخذ بالحيطة من شأن المؤمنين.

ومترجمنا كان شاعرا أديبا فقيها لغويا وجد له مرثية طويلة يرثي فيها الطلبة والفقهاء الذين ماتوا بمرض الطاعون الواقع بجربة سنة 750هـ /1349-1350م وهي رائية عدد أبياتها 42 يقول الشيخ يعيش:

ومما دهاني واستبى اللب والكرى طوال الليالي مستكينا مدثرا
وصيرنني ألف الهموم محيرا أرى الموت خيرا لو أموت مشهرا
حماة حماة الدين حيث تثير فأصبحت واهي العقل حين تخمرا
أبا عامر فالدين بكم تحير سموت بحق الله عصر معصرا
أرى فقدهم في الدين صرفا مدعثر وعرف الشرور بعدهم قد تحيرا
أيا عامر كنت النذير المصدر ويحكي أبو عيسى الكتاب المعبرا
جزيتم عن الحق النعيم المدرر وخولتم نهر الجنان المخررا
ليبكيهم نادى العلوم المبتر ليبكيهم أخو التعلم صبرا
أبا عامر فالقلب مني تضجر يحق لدمع العين أن يتحدرا
ترى لأبي عيسى الخلوق المعطر لذكرة صنع الخير منه المكثرا
سقى الله حياظهم قبرا لفته رضاء من الرحمان عفوا مدخرا
وأخلف في هذا العشير مكبر بعلم ودين الحق حقا منورا

ويقول:

ويقتحم الإنسان حجرا محجرا وتعلم أن نال العذاب المقدرا
فما أجمل الإنسان وجها مضورا وما أقبح الإنسان عقلا منكرا
وقد كان عقل المرء نهرا مفجرا عليه بربي البريء غرسا منكرا

وله رسائل عديدة منها رسالة وجهها إلى بعض الطلبة من أهل أريغ يلومهم على تقصيرهم وتقع في ثلاثة صفحات من الحجم الكبير([193]) بدأ بذكر الرابطة المتينة بين جربة وأريغ([194]) ثم دعاهم إلى التفقه وذكرهم بمجد سلفهم ثم دعى أولياؤهم إلى الإنفاق على تعليم أبنائهم وكان يدعوهم إلى الإقبال إلى جربة فيقول في الرسالة لو صدقت محبتكم لأبنائكم لمكنتموهم الشطر من أموالكم ولأرسلتموهم إلى أقرب مكان يتعلمون فيه ولكن تكاسلتم فتكاسلوا والسلام. إن لهجة هذه الرسالة الشديدة صارخة حاول الشيخ يعيش أن يستفزهم لتعليم أبنائهم. قضى الشيخ يعيش كامل حياته في الجهاد العلمي والإصلاح الاجتماعي ينشر الفضيلة ويحارب الرذيلة بلسانه ويده وكان يسهر على تنفيذ الأحكام الشرعية بين المتخاصمين تخرج على يديه أعلام واصلوا رسالته وجهاده منهم تلميذه الشيخ قاسم بن إبراهيم البرادي الذي خلفه في مدرسة جامع ولحي والشيخ سعيد بن أحمد السدويكشي وقد رثى شيخه:

أقول وبرق الحزن في السر يلمع ورعد الفؤاد بالمصائب يسمع
ونيران وجدي تخرق الجسم والحشا تأجج أضعافا وقلبي مقطع
وفي الصدر هم واختراق وغمة وعين بعيد الدمع بالدمع تهمع
بفقد عميد الدهر مصباح عصره يعيش بن موسى الأودعي السميدع
منار الورى في الدين والعلم والهدى وبدر الأنام في الظلام يشعشع

وهذه مرثية أخرى في الشيخ يعيش لم أجد أولها:

لقد ذقت ذرعا بالأسى غير أنني أحمّل نفسي الصبر عند الفوادح
فلست بمفراح مدى الدهر بعده ولا جزع من مجحفات الجوائح
فيا أيها المسرور عند وفاته كسيت مخازي الذل يوم الفضائح

---

[193])- دفتر رقم 1 ص5 و7 والأصل موجود بمكتبة الشيخ سالم بن يعقوب بغيزن جربة

[194])- تاريخ منطقة الجريد الأول حسب تحديد ابن خلدون الجزء الأول ص122 وهي تسمى قسطيلية فهي كثيرة العمران بها كثير من النخيل والأنهار وكان أهلها إباضية في القرن الثامن هجر

وذقت مرارة الأردى وتقطعت عليك نفوس الباكيات النوائح
ولازلت في الدنيا مهانا فان تمت تمت سيء الأعمال جم القبائح
وكان انقضاء عمره ووفاته لعشر مضى شوال زهر اللوائح
وقول تقصى بعد عشرين حجة وسبع من السبعين بعض السوائح
فيا سائلي عن مذهبي وعقيدتي فإني إباضي على رغم كاشح
فمن شاء فلينظر لنظم قصيدتي بمقلة ودّ أو بمقلة قادح
يجدها كعقد الدر نظما ونشرها كنشر الغوالي المسوك النوافح
واستغفر الرحمان من كل زلة ظلمت بها نفسي معا وجوارحي
وبارزت العصيان رب فصدّني عن الذكر شيطان النفوس الجوامح
لعل الذي يحمي الثرى بعد موتها يجود عليّ بالعطاء والمنائح
فيرحم عبرتي ويكشف كربتي ويستر زلاتي وسوء قبائحي

ويقول في قصيدة أخرى:

تذكرت عصرا كنت فيه مذكرا تهادين علما نافعا منقض الورى
تذكرت زين الحفل بالعلم والحجا مجالس صدق تستحث المضاجر
وأصبحت صفر الكف منهم منغصا أذوب بنار الوجد فاق التبصرا
فقدنا بفقدهم علوما غزيرة وهديا إذا كان البكاء لها أجدى
وإني وشيكا سوف الحق جمعهم وأسكن قبرا لست فيه مخيرا

توفي الشيخ يعيش رحمه الله ليلة 10 شوال سنة 751هـ.ويوجد ضريحه بروضة بمنزل سكناه بحومة أفصيل بجعبيرة.

الشيخ عبد الرحمان بن أحمد الحيلاتي

ولد الشيخ عبد الرحمان بجزيرة جربة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري سنة 925هـ من أسرة اشتهرت بالعلم والصلاح والمحافظة على السيرة. حفظ القرآن في مدرسة جامع وادي الزبيب وأخذ العلوم على الشيخ سليمان التلاتي بمدرسة القصبيين بقلالة فتاقت نفسه إلى المزيد من العلوم العقلية والنقلية فرحل إلى طرابلس والتحق بمدرسة الشيخ يعقوب بن صالح التندميرتي بجامع نفوسة أقام مدة قصيرة من الزمن ثم عاد إلى جربة واستأذن والده أن يسمح له بالسفر إلى مصر ليواصل دراسته بمدرسة الإباضية وبجامع الأزهر. ركب سفينة تجارية لأبناء الجزيرة تحمل البضائع الصوفية التي اشتهرت بها جربة تحملها إلى مدينة الإسكندرية سكن الشيخ في مدرسة حي ابن طولون فكان في النهار يحضر دروس علماء الأزهر وفي الليل دروس المدرسة الإباضية قضى خمسة سنوات في مصر يدرس ويطالع الكتب المفيدة من المكتبات المصرية ثم عاد إلى جربة يحمل معه علم المعقول والمنقول فتولى التدريس بمدرسة جامع وادي الزبيب وتسامع التلاميذ بحيوية دروسه وغزارة علمه فاقبلوا عليه من جميع أنحاء الجزيرة يحضرون دروسه.

تلاميذه

تخرج من مدرسته الشيخ قاسم بن سعيد اليونسي الصدغياني والشيخ محمد بن سعيد التغزويسني جد أسرة بن حمودة ويقول تلميذه الشيخ سليمان الحيلاتي "ومن نوره اقتبس علم المعقولات. كان الشيخ عبدالرحمان يشرف على رئاسة مجلس العزابة متصديا لما يحدث من مشاكل في الجزيرة وكانت هذه الفترة قاسية لتوالي هجومات الأسبان والأتراك على جربة ولم نتمكن من ضبط تاريخ وفاته ودفن الشيخ عبدالرحمان

بجوار داره بحومة جعبيرة قرب مسجد ولحي هو وأولاده الشيخ أمحمد ومن معه.

الشيخ أبو عثمان سعيد بن محمد التغزويسني

شيخنا من أسرة محافظة محبة للعلم اشتهرت بالتقوى والصلاح. في هذا الوسط الطيب نشأ الشيخ سعيد متأثرا بهذا المحيط اجتهد في طلب العلم والتحق بمدرسة جامع وادي الزبيب فدرس العلوم على الشيخ عبدالرحمان الحيلاتي فاجتهد في توسيع معلوماته بكثرة مطالعته لكتب الفقه مستعينا بأستاذه في كل ما أشكل عليه فهمه. ساعده ذكاؤه وإخلاصه وحبه للعلم على التفوق. صار علما من الأعلام يشد إليه الرحال فجلس في مسجد بازيم يدرس العلوم. وبعد وفاة شيخه انتقل إلى مدرسة وادي الزبيب ليواصل عمل شيخه ولما ظهر تفوق التغزويسني للقاسي والداني انتدبه مشائخ عصره ليكون عضوا في مجلس العزابة بجربة وكان هذا المجلس ينتقل عبر مساجد الجزيرة لتقريب السلطة من المواطن لحل مشاكل المجتمع. يذكر الحيلاتي أن مجلس العزابة انتقل في مدة قصيرة بين ثلاثة مساجد مرة ينعقد بالجامع الكبير بالحشان ثم تحول إلى جامع لاكين بحومة غيزن ثم إلى مسجد وادي الزبيب يجتمع العلماء عند الشيخ التغزويسني ويتركب أعضاؤه من الشيخ سليمان من أولاد أبي يزيد الصدغياني وأبو الفلاح إلياس الهواري والناظر في رسالة الحيلاتي يتبين أن سبب تنقل مجلس العزابة بين عدة مساجد في مدة قصيرة هو خشيته على نفسه من السلطة الحاكمة لعدم استقرار الأوضاع فأسرة بن جلود الحاكمة وان كانت إباضية المذهب لم تنسجم مع نظام العزابة لأن أفرادها متجبرون والحالة السياسية في الجزيرة مضطربة لتنازع أمراء بني جلود على الحكم وقد نسخ الشيخ التغزويسني الجزء الثالث من كتاب الصلاة من ديوان الأشياخ([195]) وما وجد بخطه الحمد لله تأملت في الصدقة الموصوفة في هذا فألفيتها صحيحة معمول بها شرعا لتوفر شروطها وأما تخلف الحوز فليس بشرط في صدقة الأجانب وإنما مقصورة على صدقة الوالد لولده والله أعلم وقد تفرع عن هذه الأسرة أعلام منهم سليمان بن الشيخ عبدالرحمان التغزويسني والشيخ قاسم بن عمر التغزويسني ومن آثارهم مسجد جامع الليل بواد الزبيب الذي بناه الحاج حمودة بن حمودة التغزويسني سنة 1160هـ أما مسجد مورو فقد بناه الحاج أحمد بن حمودة التغزويسني. وفي سنة 1050هـ وقع في الجزيرة مرض الطاعون ففر الشيخ سعيد بن محمد التغزويسني إلى جبل تطاوين حتى ارتفع المرض فعاد إلى جربة ومات في شهر رمضان سنة 1073هـ/1662-1663م

الشيخ أبو عبدالله محمد ابن أبي القاسم البرادي

عاش أبو عبدالله البرادي في النصف الأول من القرن التاسع الهجري الخامس عشر مسيحي ولد بجبل دمّر ثم انتقل مع والده إلى جربة درس العلوم على والده بمدرسة جامع وادي الزبيب ثم ارتحل إلى تونس يدرس في جامع الزيتونة المعمور وبلغ فيها مرتبة شهد له فيها الشيخ حسين بن أحمد المدرس الكبير بالنبوغ والعلم.

---

[195])- رسالة بن تعاريت ص61و62 رسالة في تاريخ الجزيرة مخطوطة

قال بعض تلاميذه كنت بالزيتونة في مجلس من مجالس العلم فأثير سؤال حول اللغة العربية فاضطرب الأستاذ المدرس وتردد في الجواب فتكلمت فيها بما حضرني فأعجب الشيخ جوابي وقال لي عمن أخذتها، قلت عن أبي محمد البرادي فالتفت إلى القوم وقال لهم: ما رأيت أعلم من البرادي، فغضب بعض الحاضرين من هذا القول، فالتفت الشيخ إلى البجيري وكان متخصصا في العربية فقال له: انه يشاركك في العربية ويزيد عليك في علوم أخرى ثم التفت إلى غيره ويقول لكل واحد منهم أنه يشاركك في مادة تخصصّك ويزيد عليك في علوم أخرى.

قال الشماخي([196]) حدثني تلميذه يعقوب بن أحمد اليفرني يقول حضرت مناظرة بين علماء حربة وعلماء تونس في مجلس أبي فارس الحفصي سنة 797هـ/1395م فألقى أحد علماء تونس على الشيخ أمحمد سؤالا فقال لي شيخي أجب عن هذا السؤال فأجبت بما اقنع أبا فارس والجمع الذين حضروا معه وأتضح لأبي فارس أن النصيحة التي أشار بها عليها بعض الناس في إلزام أهل جربة بإتباع المذهب المالكي إنما هي وشاية متعصب حقود.

أقام أبو فارس عزوز الحفصي أياما في جربة مكرما محترما وعاد أبو فارس الحفصي إلى مركز حكمه بتونس مقتنعا بأن هؤلاء القوم أحرص على دينهم من الوشاة المتزلفين

زار الجزيرة عالم مغربي فاجتمع بالشيخ أبى محمد ابن أبي القاسم البرادي في مسجد وادي الزبيب وجرت بينهما مناظرة علمية في مسائل الوحي ورؤية الباري قال البرادي أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام بالكلام كما أوحى إلى سائر الأنبياء عليهم السلام فقال المغربي بل كلمه بذاته قال البرادي هل تحسن العربية فقال: نعم قال المصدر مؤكد تعرفه فقال نعم قال مثّل به قال مات زيد، يحتمل حقيقة ومجازا أي أن يكون بلغ به الخوف والشفقة أو المرض مبلغ الموت أما إذا قلت مات زيد موتا فقد ارتفع المجاز وبقيت الحقيقة لأنك أكدت الفعل بالمصدر فلا يتطرق إليه المجاز أصلا قل وكذلك كلام الله عز وجل لموسى عليه السلام إنما كان كلام ذاته حقيقة لأنه أكد فيه الفعل بالمصدر فقال كلم الله موسى تكليما فقال له كذلك أن وحي الله إليه فقد كلمه حقيقة فقال لا يسمى الوحي كلاما إلا من جهة المجاز دون الحقيقة فقال: قال تعالى "ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا "(آية 51 من سورة التوبة) فقال الوحي هذا إلهام والرؤية كما فعل لبعض الأنبياء عليهم السلام أو من وراء حجاب كما فعل بموسى عليه السلام سمع كلامه ولم يره وأرسل رسولا كما فعل مع سيدنا محمد وسائر الأنبياء عليهم السلام لكن المعتمد عليه عند أصحابنا على أنه أوحى إليه لكن الله خصه بهذا الكلام ألا ترى إلى قوله تعالى "إني اصطفيتك على الناس برسالتي" فقال جميع هذه الآثار إنما تدل على أنه إنما أوحي إليه وحيا والقرآن يشير إلى هذا في قوله تعالى "فاستمع لما يوحى"([197]) والوحي في اللغة هو الكلام الخفي وليس من شرطه الواسطة إلى أخر المحاورة فأجاب البرادي أن التأكيد يرفع المجاز في الفعل فقط والمجاز في الإسناد كهذه المسألة لا يرفعه التأكيد بالنفس والعين كما في كتاب المغنى لابن هشام قال الشماخي ما رأيت أعلم من البرادي يروى صاحب السير عندما يزور جبل دمّر يرجع إليه أخوه جميع الأسئلة والفتاوى والحكم بين المتخاصمين وكان البرادي عالما متضلعا في جميع العلوم له مجالس علمية بمدرسة جامع وادي الزبيب يحضرها الطلبة والعلماء اللذين دونه علما والغالب عليه علم البيان والمعاني والمنطق

---

[196])- الشماخي سير ص575

[197])- الآية 12 من سورة طه

والأصول وكان أهل الجزيرة يفتخرون به وكان مجلس الشورى ينعقد برئاسته أما مشيخة الحكم فترجع إلى أسرة السمومني([198])والذي ينفذ أحكام مجلس العزابة.

تلاميذه

تخرج عليه عدد من العلماء منهم تلميذه أبو يحي بن أفلح الصدغياني وأبو النجاة يونس التعاريتي([199])الذي تولى رئاسة مجلس العزابة بعده وتوفي البرادي في النصف الثاني من القرن التاسع هجريا الخامس عشر ميلادي.

الشيخ عبدالله بن أبي قاسم البرادي

استقر بجبل دمّر ينشر العلوم ويقاوم الانحراف فهو السيد المطاع في جبل دمّر قال أبو الربيع سليمان بن أبي زكرياء الفرسطائي ارتحلت إلى جبل دمّر لقصد الدراسة على الشيخ عبدالله فهو المدرس والمفتي والحاكم في الجبل وللشيخ عبدالله ابن يسمى أبو زكرياء يحي بن عبدالله كان عالما له مجالس علمية بجربة وما أظن علما إلا وفيه محققا فكان معاصرا لصاحب السير يقول الشماخي هو في الطبقة العليا في العلوم وكان شيخا محققا قد رأيت له أجوبة لبعض السائلين مما يدل على درجته العليا في العلم.

أبو الربيع سليمان بن أحمد الحيلاتي

عاش سليمان بن أحمد الحيلاتي في أوائل القرن الحادي عشر هجري بحومة جعبيرة بجربة حفظ القرآن بمدرسة وادي الزبيب درس العلوم الدينية واللغوية على الشيخ أبي القاسم بن سعيد الصدغياني بمدرسة جامع لاكين بحومة غيزن ودرس على أخيه الشيخ عبدالرحمان الحيلاتي وعلى الشيخ أمحمد التغزويسني بمدرسة جامع وادي الزبيب كان القرن الحادي عشر في جربة أزهى العصور بما فيه من العلماء الأعلام والمؤلفين العظام وكان أبو الربيع واسع الإطلاع ناشطا قوي العزيمة يسجل أحداث عصره. فقد اهتم بالناحية التاريخية فدون سيرة السلف الصالح في هذه الجزيرة وأصبح الحيلاتي مرجعا في تاريخ الجزيرة لا يستغنى عن أبحاثه ورسائله وروايته ولعله من أهم من أرخ في القرن الحادي عشر لأعلام الجزيرة وقد سلك الحيلاتي أسلوبا جديدا في كتابة التاريخ لم يسبق إليها غيره ويعد ابتكارا علميا يساعد الباحث وييسر له العمل فقد وضع رسالة في أهم الأحداث السياسية والطبيعية والاجتماعية بحسب السنوات فيقول مثلا وفي هذه السنة "وقع الغلاء الكبير المعروف بغلاء البرجي حتى انقطع الشعير وتمادى القحط والجدب والغلاء سبع سنين من تمام ألف إلى السنة السابعة والظلم الكثير إلى أن أغاث الله أهل جربة بتولية عبدالله البرجي شيخ الحكم سنة 1007هـ فأزال عنهم الظلم والأذى.

مؤلفاته

ترك الشيخ سليمان الحيلاتي ثماني رسائل موجزة إلا أنها حافلة بضبط تاريخ شتى الوقائع السياسية والطبيعية.(حققها الأستاذ محمد قوجة)

---

[198])- يحي السمومني المصدر مؤنس الأحبة تعليق2 ص106

[199])- رسالة بن تعاريت ص37 والإباضية بتونس ص156 علي يحي معمر

فرسالته الأولى تناولت أحداث متنوعة عاشتها جزيرة جربة بين سنة 908هـ/1551م (952هـ في النص الأصلي) وذكر فيها تاريخ احتلال الأتراك لمدينة طرابلس وسنة 1099هـ 1688م تاريخ انتحار عبدالرحمان بن جلود وتولية الشيخ محمد بن صالح البجلودي على جربة.
أما **رسالته الثانية** فذكر فيها استيلاء النصارى على مدينة وهران وبعدها بجاية ومدينة طرابلس وورودهم إلى جربة سنة 916هـ/1510م.
و**الرسالة الثالثة** ذكر فيها الحروب الواقعة في جزيرة جربة بين مستاوة ووهبية كما تناولت الرسالة أحداثا مختلفة ومتفرقة منها:
- الاحتلال النورماني الأول للجزيرة سنة 529هـ-1134م
- الحملة النورمانية الثانية ضد جربة سنة 548هـ/1153م
- حملة اللحياني الحفصي على جربة سنة 706هـ/1306م
- الأوبئة والمجاعات التي حلت بجربة خلال القرن السابع هجري
والرسالة الرابعة تناولت:
- هزيمة الأسطول الأسباني في جربة سنة 967هـ/1560م
- حكم درغوث باشا وتوليته لموسى بن الجلود... الخ
والرسالة الخامسة هي رسالة طريفة من حيث المحتوى إذ يتعرض فيها الكاتب إلى مسائل تتعلق بالفلاحة والأمطار وبغرائب الأخبار حول محاصيل زيت الزيتون والنكبات الطبيعية التي حدثت سنة 1078هـ/1667-1668م
والرسالة السادسة تروي حادثة تورط فيها أحد أفراد عائلة البربوشي التي حكمت الجزيرة لفترة قصيرة خلال النصف الثاني للقرن الحادي عشر الهجري/17م في الصراع الذي كان قائما بين سعيد بن جلود وأخيه عبدالرحمان وبين أتراك تونس وأتراك طرابلس للسيطرة على النفوذ في الجزيرة وتواطئهم مع حكام بني الجلود في البطش بالأهالي.
والرسالة السابعة تتحدث بإطناب عن الصراع الذي كان قائما بين سعيد بن جلود شيخ جربة وأخيه عبدالرحمان منافسه على السلطة وذلك بداية من سنة 1095هـ/1684م
والرسالة الثامنة تناولت الحديث عن أهمية المساجد في جزيرة جربة وضرورة الاعتناء بها وزيارة قبور الصالحين حيث قدم فيها جردا وافيا لمواقع قبور أبرز أعلام جزيرة جربة بداية من الشيخ أبي مسور(القرن 4هـ) وانتهاء بالشيخ عبدالله المزراني (أواخر القرن 11هـ/17م).

لم يكن أبو الربيع الحيلاتي مؤرخا فحسب ولكنه كان من الطبقة العليا في جميع أنواع الثقافة الإسلامية وله كثير من الرسائل والفتاوى بالإضافة إلي دروسه القيمة التي يلقيها على تلاميذه في مسجد وادي الزبيب وقد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء وجازت عليه نسبة الدين.

قال بن تعاريت "ورأيت له أجوبة وأسئلة في الفقه شافية كافية" وكان مقصد الطلبة من جبل نفوسة.

يقول أبو راس([200]) "هو شيخ مشائخ عصره ووحيد دهره" ويقول بن تعاريت "ومنهم الشيخ النحرير العالم أبو الربيع سليمان بن أحمد الحيلاتي محي ما انطمس من أثار هذه الدعوة([201]) لا تزال أثار أبي الربيع متفرقة وكثير منها غير منسق يحتاج إلى مجهود علمي كبير لعل من شبابنا المثقف من يواصل البحث في هذا الموضوع.

توفي في صفر سنة تسع وتسعين وألف ودفن بمقبرة جامع البوليمانيين بحومة فصيل([202])

---

[200])- أبوراس - مؤنس الأحبة ص93
[201])- ابن تعاريت رسالة ص46
[202])- أبوراس - مؤنس الأحبة في أخبار جربة ص93 طبعة 1960

مدرسة جامع تاجديت

يقول الأستاذ المرزوقي ([203])جامع تجديت هي لفظة أصلها الجامع الجديد بني في أول المائة الثالثة أمر ببنائه أمير مدينة تيهرت عبدالوهاب (168هـ-208هـ) أو ابنه أفلح (208هـ-258هـ) على يد عامله بجربة. والزائر إلى هذا المسجد يلاحظ التشابه بينه وبين الجامع الكبير من حيث الكبر والارتفاع وتسكت المصادر التاريخية عن نشاط هذه المدرسة إلى القرن الحادي عشر هجريا.

الشيخ أبو النجاة يونس التعريتي

هو الشيخ أبو النجاة يونس بن سعيد بن يحي ابن تعاريت الصدغياني الجربي. عاش التعريتي في النصف الأول من القرن العاشر هجري بقرية فاتو حفظ القرآن في كتاب مدرسة جامع تجديت درس العلوم على الشيخ ابن محمد عبدالله بن أبي القاسم البرادي بمدرسة وادي الزبيب ثم انتقل إلى مدرسة جامع لاكين وحضر دروس الشيخ زكرياء الصدغياني([204]) ثم ارتحل إلى جبل نفوسة فدرس على الشيخ أبي عفيف صالح بن نوح التدميرتي([205]) يقول الشيخ أمحمد الباروني أخذ علمه عن عدة شيوخ ذكرهم في نثره ونظمه الذي ذكر فيه نسبة الدين وعدّ شيخه أبا عفيف فيمن حمل عنهم هذا الدين من الثقاة ولما انتهى يونس بن تعريت من دراسته العلمية شعر أنه يحمل أمانة تسلمها من أشياخه فجلس يعلم الأجيال في مدرسة تجديت درس عليه عدد كبير من علماء جربة وعلماء جبل نفوسة وميزاب فقام بهذه المهمة على أحسن وجه وتخرج على يده عدد من العلماء

---

[203])- مؤنس الأحبة أبوراس ص97

[204])- أحد أجداد الشيخ زكرياء الصدغياني الذين وسعوا المسجد سنة 687هـ/1249م كما نقش على رخامة به.

[205])- نسبة الدين للباروني ص581

تلاميذه

تتلمذ عليه كثير من الطلبة أهمهم:
-الشيخ أبو يوسف يعقوب بن صالح التندميرتي وإبراهيم بن أحمد أبو الأحباس وأبو عثمان سعيد بن علي الجربي الذي أحي واد ميزاب وسلامة الحناوني ويكفي الشيخ يونس شرفا أنه من العلماء الذين جازت عليهم نسبة الدين إلى الأوطان الثلاثة ليبيا وتونس والجزائر وكان الشيخ يونس حلقة اتصال بين مواطن الإباضية في الشمال الإفريقي. أوقف حياته على الاجتهاد العلمي والإصلاح الإجتماعي فكان من أخلص الدعاة لنشر الفضيلة وكان يعالج الأمراض الأخلاقية بحكمة ويأمر بالمعروف وينهى على المنكر ويقيم حدود الله وكان دائم التنقل بين مساجد الجزيرة يرشد الناس ويعلم الجاهل.

توليه رئاسة العزابة

يقول بن تعاريت في رسالته كان أبو النجاة رئيس مجلس العزابة في زمانه إليه يرجع الرأي وهو الذي يتولى تنفيذ الأحكام والمقصود في زمانه. يفتى الناس في أمور دينهم وكان شيخ الحكم في الجزيرة أبو زكرياء السمومني الذي يتولى إمامة الدفاع عندما يغير على أرض الجزيرة عدو يتولى السمومني جمع الضرائب وإصلاح الحصون وشراء السلاح وتدريب الشباب على القتال ويتولى تنفيذ قرارات مجلس العزابة الذي كان ينعقد في مسجد تاجديت وقد تجبره ظروف سياسية فينعقد في بيت أحد علماء الجزيرة. كان أبو النجاة يلقي دروسه على حلقات متفاوتة من الطلبة فمنهم المبتدئ ومنهم من سلك مسلك العلماء وأشرف على نهاية الدراسة وكان يدرس للطبقة العليا من تلاميذه كتاب الجهالات في التوحيد([206]) وهو كتاب دسم غزير المادة متين الأسلوب لا يقوى على فهمه وتدريسه إلا فطاحل العلماء فوضع عليه أبو النجاة تعاليق وهوامش تشرح الغامض منه وعلى تلك الهوامش اعتمد أبو عبدالله بن أبي ستة في حواشيه على كتاب الجهلات في علم الكلام. وكان تلميذه سلامة بن يوسف الجناوني ذكيا لبقا كثير الحركة جم النشاط ملازما لشيخه لا يفارقه يحظر أكثر مجالسه ويسجل ما يقع فيها من مناقشات علمية أو مداولات سياسية واجتماعية ويهتم بصفة خاصة بالنواحي التاريخية فيسجل الأحداث تارة بالسنوات ومرة بالشهور فيقول مثلا اجتمعت مع شيخي عمنا يونس بن سعيد بن يحي بن تعاريت سنة 903هـ/1497-1498م ويقول وقع لعزابة جربة اجتماع عند شيخنا الفاضل الهمام أبي النجاة([207]) كان أبو النجاة إماما فهو المرجع في العلوم الدينية والسياسية وكانت الاجتماعات تعقد تحت رئاسته وتناقش المشاكل الناجمة بين يديه وإلى أرائه ينتهي القول فيما يفعلون وفي ما يتركون ولعل من أهم الأحداث الواقعة في زمانه أحداث القرصنة ومهاجمة الأساطيل المسيحية لسواحل جربة ومهاجمة ثغور البحر الأبيض المتوسط وقد بسطت الحديث عنها في الجزء الأول.

ولعل في الحادثة التالية دليلا عما يتمتع به العلامة أبو النجاة من إيمان راسخ وعقيدة قوية، عقد الشيخ يونس جلسة عمل حضرها شيخ الحكم أبو زكرياء السمومني طرح فيها احتمال غزو الأسبان وما هو موقفهم فتناقشوا في الموضوع من جوانبه المادية والمعنوية واستعرضوا الحالة السياسية التي عليها الدولة الحفصية التي كانت في حالة ضعف لا تستطيع أن تنجد الجزيرة أما البلدان المجاورة التي كان يحتمل أن تهب لنصرة الإخوة

---

[206])- وقد شرحه الشيخ أبو عمار عبد الكافي بن يعقوب بن إسماعيل التناوتي المنسوب للشيخ طبغورين بن عيسى الملشوطي من علماء القرن الخامس هجري من جهة الجريد بالجنوب التونسي

[207])- رسالة بن تعاريت ص 27

الإسلامية فقد أتت عليها الفتن الداخلية والخلافات القبائلية والتعصب المذهبي حتى بلغت حالة من الضعف والانهيار لا يمكن معها نجدة الجزيرة ونصرة المجاهدين أما إخوانهم في جبل نفوسة فكانوا مضطرين للاحتفاظ بقوتهم خشية الغارات المتوالية التي يشنها على أطرافهم أناس كانوا يعيشون على النهب والسلب وهكذا درس المجلس الموضوع وأيقنوا أن لا مدد يأتيهم من الخارج فلم يبق لديهم إلا القوة الموجودة داخل الجزيرة وعليهم أن يكونوا قوة يستطيعون أن يدفعوا بها عدوان المعتدين وقد فكر المجلس قبل كل شيء أن يثير في النفوس الحمية الدينية وأن تمتلئ قلوبهم بالإيمان ونفوسهم بالثقة بالله ولا يتركوا للخوف واليأس سبيلا إليهم أخذ العلماء على عاتقهم توعية الجماهير وبعث الوعي الديني وتحبيب الاستشهاد في الدفاع عن الدين والوطن مستمدين من كتاب الله آيات عديدة (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ([208]) وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم([209]) قال التعريتي للحاضرين ليس بيننا وبين النصارى إلا أمران نجعلهما حجابا وسترا أولا العمل بقول المصطفى عليه الصلاة والسلام (إذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وشاهد مصدق) وقال "وجب علينا الدفاع بأمر كتاب الله أما النصر فقد ضمنه الله، وكثرة العدد وقلته عند الله سواء على أن واجب المسلمين أن يقاتلوا في سبيل الله حتى ينتصروا أو يستشهدوا. "ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما واقترح أبو النجاة أن يكاتبوا إخوانهم في جبل نفوسة ويطلبوا إليهم أن يساعدوهم بالاتجاه إلى الله والدعاء على ظهر الغيب بنصرهم فكتب أبو النجاة رسالة وختمها بيده وبعث بها إلى زملائه وتلاميذه فتقبلوا هذه الرسالة بقبول حسن واهتموا لها أي اهتمام([210]) وقرروا أن يعقدوا اجتماعا في مسجد (تالة)([211]) المتوسط في جبل نفوسة وان يتجهوا إلى الله بالتضرع والدعاء أما شيخ الحكم فأخذ يجمع المال ويشتري السلاح ويدرب الرجال على القتال وقد تحقق ما توقعوه. جاء الأسبان وهجموا على الجزيرة بأعظم أسطول عرفته البحار في ذلك التاريخ فتلقاه أبطال الجزيرة بكل إيمان وتحقق النصر للمؤمنين. انتصرت الآلاف الثلاثة الضعيفة التي ليست لها من قوة السلاح غير بنادق قليلة وانهزم الأسطول المتكون من عشرين ألف جندي في مائة وعشرين سفينة. ففي هذه المرة لم يأت المدد من الخارج سوى الدعاء الصالح الذي طلبه أهل جربة من إخوانهم بجبل نفوسة. قتل المسلمون من جيش العدو بقيادة بدرو نافارو أكثر من ثلاث آلاف بين قتلى وغرقى.

مؤلفات الشيخ يونس التعاريتي

له عدة أجوبة في الأحكام وغيرها نقلها عنه تلميذه سلامة بن يوسف الجناوني سجل فيها ما وقع من مناقشات ومداولات في الشؤون السياسية والاجتماعية واهتم خاصة بالناحية التاريخية.توجد في كتاب به مجموعة فتاوى لأصحابنا. وإليك أيها القارئ بعض أجوبته وجهها إليه بعض الأفاضل:

مسألة أولى: في من نذر أن يصوم ألف سنة فإنه يصوم أيام حياته ويوصي بالإطعام لما بقي عند حضور وفاته إلا إذا كان في حالة لا يستطيع معها الصوم فإنه يطعم كل يوم مسكينا.

---

[208])- من سورة محمد الآية 7

[209])- سورة آل عمران الآية 126

[210])- الإباضية في تونس ص169 علي يحي معمر

[211])- مسجد تالة يوجد في جبل نفوسة وهو مسجد يقع داخل الجبل انظر علي يحي معمر الإباضية في تونس ص169

مسألة ثانية: هل يجوز أن يتزوج امرأة حلف بطلاقها قبل العقد عليها ؟
الجواب: إن في ذلك اختلاف قال بعضهم لا شيء لقوله عليه السلام "لا طلاق في ما لا يملك ولا عتق في ما لا يملك ولا ظهار في ما لا يملك" وقال بعضهم إن علّق الحكم إلى وقت التزوج لزمه مثل أن يقول كل امرأة تزوجها فهي طالق أو حرام أو هي علي كظهر أمي وفرق مالك بين التعميم والتخصيص فقال إن قال كل امرأة لان المنع من باب الحرج ولا خطر في الدين وان خصص فاليتزوج عليها ومن قال في ماهيته على عهد الله ورسوله فحدث لزوجته كفارة التغليظ ومن قال الحلال علي حرام فهو ايلاء إذ تبين وجبت عليه الكفارة وان لن يمس حتى يمضي أربعة أشهر خرجت بالإيلاء وهذه أمثلة ذكرتها على سبيل المثال.

يرجع له الفضل فيما شهدته جبال بني مصعب وهي وادي ميزاب من حركة علمية حيث أرسل إليهم تلميذه سعيد بن علي الجربي الخيري حين جاءوه يبحثون عن عالم متطوع يحيي ما أندرس من آثار السلف.

توفي أبو النجاة سنة 917هـ/1511-1512م بعد جهاد طويل خلد ذكره رحمه الله ويوجد ضريحه بالجهة الغربية من مسجد تاجديت بفاتو.

الشيخ قاسم بن سعيد اليونسي

مسجد اليونسي بحومة القشعيّين

كان من وجهاء جربة في القرن الحادي عشر هجري/السابع عشر ميلادي. سكن الشيخ قاسم اليونسي حومة غيزن حفظ القرآن في مدرسة مسجد لاكين. بعد أن استظهر القرآن على شيخ الحلقة، التحق بمدرسة وادي الزبيب، درس العلوم على الشيخ عبدالرحمان الحيلاتي فاجتهد في الدراسة مستعينا بأستاذه ومرة بزملائه الكبار كالشيخ محمد ابن سعيد التغزويسني حتى نال حظه من العلوم الشرعية واللغوية. باشر التدريس في جامع لاكين إلى آخر حياته كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدافع عن الضعفاء والمظلومين. كان اليونسي يقف في وجه الجبابرة ينهاهم وينصحهم بالاستقامة ورفع الظلم على الرعية ويحذرهم عاقبة ظلمهم لأن العدل يعمر البلاد والظلم يخربها وكان الشيخ قاسم مناوئا لشيخ الحكم عمر ابن موسى بن جلود المستبد عاشت الجزيرة فترة من الزمن ذاقت فيها مرارة فساد

الحكم تعرض أبو القاسم بن سعيد اليونسي الصدغياني مرتين إلى الوشاية نتيجة سعيه في مصلحة الإباضية.

أما **الأولى** فكانت سنة 1010هـ/1601-1602م لما كانت جزيرة جربة تخضع لنفوذ أتراك طرابلس وقد وشي به عمر بن موسى بن جلود (المتوفى سنة 1028هـ/1619م) وحبس مدة أربعة وعشرين يوما. سعى فقهاء الجزيرة وأعيانها لدى حاكم طرابلس اسكندر باشا لإطلاق سراحه.

أما الوشاية **الثانية** فقد حدثت أيضا في أيام عمر ابن موسى بن جلود حيث سعى إلى الإيقاع بالشيخ اليونسي لدى أتراك تونس، لكنه تمكن بتأييد من أهالي جربة من كسب مودة الباشا يوسف داي بالحاضرة تونس فأفاده ذلك للانتصار على خصومه.

شارك الشيخ اليونسي في توسيع جامع الشيخ بحومة السوق جربة([212]) الذي بناه صالح السمومني حاكم الجزيرة وساعدهم أهل الفضل من المحسنين يقول عنه بن تعاريت([213]) رأيت له أجوبة فقهية أجاب بها الشيخ أحمد بن أبي ستة تدل على غزارة علمه ويقول هو المقصود بالنوازل وعظائم الأمور قي جربة جمع اليونسي بين التدريس وإصلاح المجتمع وحل المشاكل بالموعظة الحسنة. توفي الشيخ قاسم اليونسي سنة 1034هـ/1624-1625م ويذكر الحيلاتي أن أبا القاسم مدفون في جبانة العباد اليونسيين بمنزلهم القديم بغابة غيزن ويضيف ابن تعاريت أن القبر كان يقع قبلي محراب غريب قبلي منزل يامون. كما بني على قبره محراب مشهور "بإجابة الدعاء". ولهذه الأسرة رجال سادوا بجربة وانتقلوا من منزلهم القديم بالغابة المعروفة بالروضة إلى منزلهم الجديد في حومة القشعيين. ولهم مسجد ينسب لأجدادهم بحومة القشعيين يسمى مسجد اليونسيين.

---

[212])- رسالة ابن تعاريت - ثلاثة من العلماء الذين جمعوا الأموال لتوسيع جامع الشيخ بحومة السوق هم قاسم اليونسي والشيخ إلياس الهواري وأبو زيد الصدغياني سنة 1028هـ/1619-1618م ثم وسع مرتين خلال العصر الحديث سنة 1399هـ/1979م حسبما هو مكتوب بأرضية الصحن شرقي بيت الصلاة وسنة 1411هـ/1991م بإشراف الشيخ قاسم بن عمر قوجة الإمام الخطيب

[213])- رسالة بن تعاريت ص59

مدرسة جامع لاكين بحومة غيزن

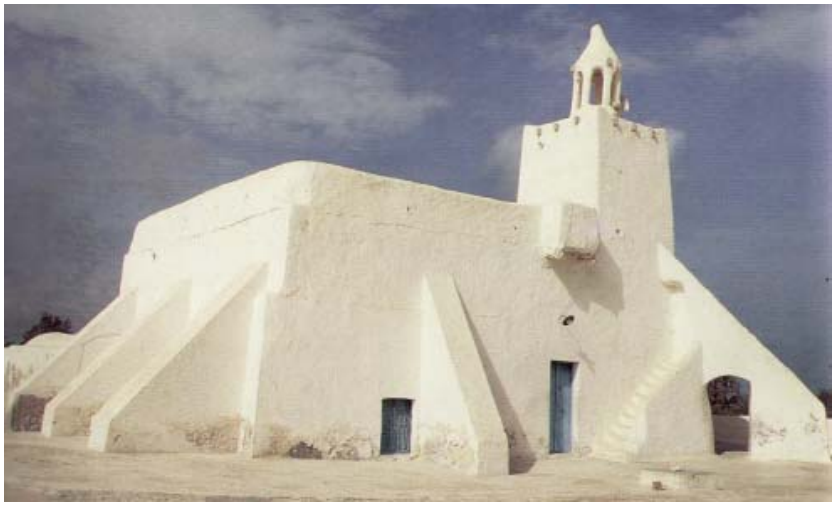

هذا المسجد أسسه الشيخ سليمان بن عبدالله بن أبي زيد الصدغياني في بداية القرن 7هـ 601هـ/1205م بمساعدة أهل الخير. وذكره الشيخ سعيد ابن أيوب الباروني في قصيدة مخمسة من البحر الطويل وذكر فيها العلماء الذين يدرسّون في تلك المساجد وقد بلغ عددها خمسة وعشرون أسرة ومطلعاها:

لهجت بذكر ذي التقى والفضائل أمين ولي الله نور المحافل
شمس الضحى القصبي مفتي النوازل حليف الهدى والبر باقي الأوائل
فموت أبي حفص كمسلم وجابر

ثم يقول في المقطع السابع:

سلوا مسجد لاكين إن كنتم تسألوا ولكن كلكم عن السؤال غفل
مجالسكم كانت به والنوازل ومسجد أبي كثير للعلم محفل
وأحكامهم بالعدل وقف الأوامر

ويسمى أيضا جامع تلاكين يوجد بحومة غيزن. كان مقرا لمجلس العزابة ومدرسة بارزة مدة قرون.

يذكر الشيخ سالم بن يعقوب أن تاريخ التأسيس سبق القرن السابع هجري وان حومة غيزن كانت تسمى حومة بني لاكين نسبة لمؤسس الجامع وهو اسم الشخص الذي سكن هذه المنطقة منذ القرن الرابع الهجري/10م وبنى بها مسجده. أما في أول القرن السابع الهجري سنة 601هـ/1205م فقد زيد فيه من طرف أولاد بني أبي زيد لما ضاق الجامع على المصلين.

الشيخ عبدالله بن سعيد السدويكشي

هو الشيخ أبو محمد عبدالله بن سعيد بن أحمد بن عبدالملك السدويكشي. عاش السدويكشي في النصف الثاني من القرن الحادي عشر هجري حفظ القرآن في كتاب قريته ثم انتقل إلى مدرسة جامع وادي الزبيب فدرس أولا عن الشيخ عبدالرحمان الحيلاتي ثم درس عن الشيخ محمد ابن سعيد التغزويسني العلوم الفقهية واللغوية والأصول والسيرة فاجتهد في تحصيل العلوم من خيرة علماء عصره فتح الله عليه آفاق المعرفة ورزقه قوة البيان وفصاحة اللسان وبراعة البيان ما مكنه من خدمة العلم

والدين بقلمه ولسانه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى سبيل الله على بصيرة من أمره. كان الشيخ عبدالله يسجل جميع دروسه وملاحظاته على الكتب التي يدرسها حتى ترك لنا ثروة علمية قيمة تدل على غزارة علمه واتساع إطلاعه على كتب اللغة والفقه كان يتنقل داخل الجزيرة ويلقي دروسا في عدة مساجد لتوعية الجماهير ويحضر دروسه الطلبة باستمرار ويتنقلون معه حيثما حل.

من أبرز تلاميذه العلامة الشيخ محمد بن عمر بن أبي ستة السدويكشي([214]) الذي ورث علمه وكفاحه وسيرته يجتمع على الشيخ عبدالله غالب فقهاء الجزيرة في جامع تلاكين وفي هذا المسجد ينعقد مجلس العزابة برئاسته فتعرض عليه جميع القضايا فيحكم بين المتخاصمين بكتاب الله وسنة رسوله وكان مقامه فيهم مقام الإمام وإليه انتهت رئاسة العزابة بجربة هذه السلطة الأدبية اكتسبها من الشعب الذي أحبه وعرف فضله وعلمه وصلاحه وصحة نظرته إلى الأمور وقدرته على حل المشاكل كان العلماء يحضرون دروسه ومجالسه. وكان شيخ الحكم بالجزيرة سعيد بن عمر بن جلود المتوفى سنة 1016هـ/1650-1651م) الذي وصل إلى الحكم عن طريق الرشوة فولوه الحكم كان يجلس في إدارة عمله ينتظر المتخاصمين ولم يأته أحد فاستفسر أتباعه المقربين إليه أليس في البلاد مشاكل ؟ أجابه أحد الحاضرين إن جميع سكان الجزيرة يرفعون قضاياهم إلى مجلس العزابة فغضب بن جلود وظن أن التفاف الناس حول الشيخ عبدالله يعد استخفافا بمنصبه فدعى الشيخ السدويكشي إلى مجلسه وسمع منه العلم والحكمة وأظهر له من الاحترام ما يليق بمثله ولكن الوشاة لا يخلو منهم زمان ولا مكان والحسد يملأ قلوبهم فقالوا لابن جلود لقد رفعته فوق مكانه وأصبح هو الوالي ولو شاء أن يدعو الناس إلى عزلك أو قتلك لاستجابوا له عملت الوشاية في صدره فدعاه مرة ثانية وأمره أن ينزع العمامة وان يلبس على رأسه إلا طاقية بيضاء من القماش مثل الأطفال تحقيرا له وتشهيرا له وشاءت إرادة الله أن تكون هذه العقوبة من حاكم جربة سبب تكريم لهذا النوع من اللباس فصار لباس الطاقية البيضاء شعار العزابة وجميع طلبة المعاهد وانتقلت هذه الفكرة من الجزيرة إلى طرابلس ووادي ميزاب فأصبحت الطاقية زيهم الرسمي الموحد([215]). كان الشيخ عبدالله لا يعرف الراحة ولا يتوقف عن العمل يدرس ويعقد المجالس ويفض المشاكل ويزور الأسواق يأمر وينهى ويبين الحلال و الحرام للناس كان يقسّم أوقاته إلى ثلاثة في الصباح للدرس وفي المساء لحل المشاكل والإرشاد وبقية وقته يقضيه في العبادة والمطالعة والتأليف وقد أثمر هذا العمل ثمارا طيبة فتخرج على يده عدد من العلماء.

ترك السدويكشي ثروة علمية هامة اهتم بكتب الأصحاب فوضع عليها حواشي وشروح مسهبة تارة يحررها بنفسه ومرة يمليها على تلاميذه فكان تلميذه الشيخ محمد بن عمر بن أبي ستة المشهور بالمحشي يعتمد عليه في أكثر حواشيه ويقول أبو ستة قال شيخنا عبدالله السدويكشي، ومرة يقول نقلت من خط شيخنا. قال الشيخ سعيد بن تعاريت:"لا تمر به

---

[214])- هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم أبو ستة القصبي السدويكشي المشهور بالمحشي والقصبي نسبة لحومة القصبيين بقلالة ولهم مسجد بقلالة كان ينعقد فيه مجلس الحكم في القرن العاشر هجري

[215])- قمت برحلة إلى وادي ميزاب للبحث عن مخطوطات في شهر شوال 1390هـ الموافق لـ25 ديسمبر سنة 1970 وشاهدت طلبة معهد الحياة بمدينة القرارة والمعهد الجابري يرتدون هذا الزي وأيضا سكان جبل نفوسة عند زيارتي لهم في 1969 للإطلاع على بعض المخطوطات بمكتبة الشيخ عبد الله الباروني بمدينة كباو ومدينة طرابلس

مسألة إلا حل مشكلها. كان أية من آيات الله تعالى في حل كلام الفحول ومن اطلع على مصنفاته يشهد له بطول الباع وبدقة النظر.

له مؤلفاته عديدة منها:

1- حاشية على كتاب الإيضاح جزء الصلاة، مطبوع للمرة الثانية ببيروت

2- حاشية على كتاب الديانات للشيخ عامر الشماخي ولم يكمله وأتمه الشيخ يوسف المصعبي

3- حاشية على كتاب القطر في النحو لابن هشام.

4- رسالة في صلاة الجمعة وحكمها وشروطها رد بها على علماء تونس([216])

5- له أجوبة في الأحكام والنوازل عديدة في جميع الفنون خصوصا في علم الكلام طبعت بالمطبعة البارونية 1315هـ بمصر.

كان الشيخ عبدالله السدويكشي من أولائك الأعلام الذين أحيوا النهضة العلمية في هذه الجزيرة فأحيى الأمة بعلمه، ترك لنا تلاميذ نجباء واصلوا السيرة من بعده وختم أعماله المجيدة بزيارة بيت الله الحرام وقبر سيدي الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ثم قام السدويكشي برحلة إلى سلطنة عمان وأقام فيها مكرما مدة ثم رجع إلى مكة المكرمة فوفاه الأجل هناك سنة 1068هـ/1657-1658م وعمره خمسة وستون عاما.

الشيخ محمد بن عمر بن أحمد بن أبي ستة المشهور بالمحشّي

ولد الشيخ محمد بوستة بحومة ورسيغن منطقة سدويكش سنة 1022هـ/1613-1614م بجزيرة جربة من أسرة عريقة في العلم والصلاح تأثر بهذا الوسط العلمي. حفظ القرآن في كتاب مسجدهم ثم حضر دروس والده في العلوم والفقه والعقائد واللغة والسيرة ثم انتقل إلى مدرسة عبدالله السدويكشي بمسجد لاكين أقام في المدرسة مدة فلما لاحظ أستاذه ذكاءه ونجابته نصحه بأن يسافر إلى مصر لتكتمل ثقافته في جامع الأزهر وفي مدرسة الإباضية بحي ابن طولون لأن الشيخ عبدالله مشغول بمشاكل المجتمع من حين لآخر تتوقف الدروس. استعد هذا الشاب الطموح لهذه الرحلة الشيقة في طلب العلم وكان سنه عشرين سنة ودّع أستاذه وعشيرته وزملاءه وأهله وطلب منهم الدعاء الصالح فنصحوه بملازمة التقوى والتفرغ لطلب العلم مع الاجتهاد ودعوا له بالتوفيق والنجاح فركب الشيخ محمد سفينة شراعية من جربة إلى مدينة الإسكندرية فاستقبله التجار الجربيون بحفاوة ثم انتقل إلى مدينة القاهرة وفي العهود القديمة كانت هناك حركة تجارية ناشطة بين جربة وطرابلس وبنغازي والإسكندرية وكانت عدة أسر تتعاطى التجارة الصوفية بمصر بحي بولاق والفحامين وحي ابن طولون هذه الأحياء أكثر تجارها من أبناء جربة وأكثر تلك العقارات من أملاكهم يسكنونها مع عائلاتهم ويتزوجون بنات بعضهم ومن الجواري الآتي كن يبعن في سوق الرقيق وكان التجار الجربيون يصلون في جامع ابن طولون لأن دكاكينهم التجارية دائرة بهذا المسجد وله بيوت خاصة بسكنى الطلبة الوافدين من جربة([217]) دخل الشيخ محمد هذا الوسط الجديد سنة 1040هـ/1630-1631م وكان يسكن في مدرسة الإباضية وبقي ثمانية

---

[216])- توجد هذه الرسالة في المكتبة البارونية ذكرها ابن تعاريت في رسالته ص87.

[217])- حدثني الشيخ سالم بن يعقوب عن حي ابن طولون وعن التفاف الجربيين حول بعضهم بعضا لأنه عاش فيه خمسة سنوات بمصر عندما كان طالبا بجامع الأزهر وفي مدرسة الإباضية درس الفقه والعقائد والسير على الشيخ إبراهيم طفيش نزيل القاهرة المنفي من طرف فرنسا. نفته إلى تونس ثم أبعدته إلى مصر لأنه كان من المناضلين في الجزائر ثم في الحزب الدستوري في عهد عبد العزيز الثعالبي

وعشرين سنة بمصر يدرس العلوم العقلية والنقلية مجتهدا فاشتهر بين علماء مصر بلقب البدر وكانت له دروس في الأزهر وفي مدرسة الإباضية بحي طولون وكان لا ينفك عن إلقاء المحاضرات وعقد الندوات الفكرية وكان يحضر دروسه جمع من الطلبة والتجار المقيمين بمصر ويشرف بنفسه على المدرسة وعلى التلاميذ ويرشد الطلبة الجدد إلى الاستفادة من كنوزها. عاد المحشي إلى جربة بعد غياب طويل يدعو الناس إلى التمسك بالدين والمحافظة عليه وكان يخصص دروسا في التفسير والحديث والأصول في مسجد بني لاكين بغيزن من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر يحضره كبار العلماء وطلاب العلم ويخصص يوما لفض المشاكل التي ترفع إلى مجلسه فيخرج الناس راضين بحكمه. يقول بن تعاريت : كان يجلس في مقصورة بجانب المسجد فيدخل الخصوم ولا يخرج منها المحكوم عليه حتى يذعن للحق. وقد وجدت دفترا مقيدا به جميع أحكام المجلس وهي كثيرة جدا كلها فوئد علمية وأحكام شرعية ونوازل فقهية.

إن شهادة بن تعاريت وحدها كافية على قيمة هذا الرجل ومنزلته العلمية ورغم انشغاله بالتدريس وقيامه بالأمر بالمعروف وتحمله على حل مشاكل الناس فقد خصص وقتا للتأليف وقد أنتج لنا اثني عشر كتابا استفاد بها المدرسون والدارسون بشرح وتوضيح وتحقيق ما كتبه الأولون فكان يضع الشروح على كل كتاب يدرسه وهذه شهادة تلميذه الشيخ علي بن سالم بن بيان الجربي يقول: هذه حاشية شيخنا العلامة المحقق فخر أهل زمانه([218]) وكان الشيخ المحشي من أولائك المؤمنين الذين أخلصوا لدينهم لا يفتر على الجهاد في سبيل الله ويقول علي بن بيان في آخر حاشيته على كتاب الجامع الصحيح مسند الربيع ابن حبيب: عاد المحشي إلى جربة في شهر رجب سنة 1068هـ/1657-1658م فقد أدرك شيخه عبدالله السدويكشي في آخر عمره ولما توفي الشيخ عبدالله اجتمع أهل الذكر والعلم من سكان الجزيرة يتشاورون في من تسند إليه رئاسة مجلس العزابة فانتخبه علماء جربة بالإجماع وأسندت إليه رئاسة الحلقة فكانت له ثلاثة مجالس علمية هامة بمسجده بسدويكش وبمسجد القصابين بقلالة وبمسجد بن لاكين بغيزن يحضره أغلب فقهاء الجزيرة وهو أهمها.

مؤلفاته([219])

له تأليف عديدة أشهرها حواش على مصادر الإباضية ولذلك اشتهر بالمحشي وقل أن يطالع كتابا دون أن يعلق عليه وعدد حواشيه حوالي العشرين منها:

1- له حاشية على كتاب الموجز لأبي عمار عبدالكافي التناوتي الورجلاني من علماء القرن السادس الهجري 12 مسيحي وهو في جزأين نفيس جدا قام بتحقيقه الدكتور عمار الطالبي مطبوع بالجزائر

2- حاشية على كتاب قواعد الإسلام للجيطالي في التوحيد والعبادات والحقوق ق8هـ/14م وهو كتاب جامع لأقوال علماء الإسلام وأيمة المذاهب الإسلامية وقد ألفه في مصر وأعيد طبعه في الجزائر.

3- حاشية على كتاب الإيضاح للشماخي (الجزء الثاني والثالث والرابع)

4- حاشية على كتاب الجهلات للشيخ تبغورين بن عيسى الملشوطائي من علماء القرن السادس الهجري/12م([220]) بمنطقة الجريد

---

[218])- حاشية على كتاب القواعد للشيخ إسماعيل الجيطالي

[219])- شرح الشيخ المحشي كتاب الأصحاب واستخرج المسائل من أمهات الكتب كالقاموس والجوهر والعضد وكتاب المواهب والزمخشري

[220])- متن الجهلات توجد نسخة مخطوطة بالمكتبة البارونية

5- حاشية كبيرة على قصيدة النونية في فن التوحيد على شرح الجيطالي.
6- حاشية على كتاب الوضع المنسوب للشيخ الجناوني من علماء القرن الخامس الهجري/الحادي عشرميلادي.
7- حاشية عظيمة على كتاب مختصر كتاب العدل والإنصاف للشيخ أحمد الشماخي في أصول الفقه المتوفى سنة 928هـ/1552م.
8- حاشية على شرح الشيخ أحمد الشماخي على مقدمة التوحيد
9- حاشية على كتاب النكاح المنسوب للشيخ يحي الجناوني صاحب كتاب الوضع
10- حاشية على كتاب الأحكام المنسوب للشيخ يحي الجناوني(ق 5هـ/11م)
11- حاشية على كتاب تبيين أفعال العباد المنسوب للشيخ أحمد بن محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي المتوفى سنة 504هـ /1110م من علماء وادي أريغ في أصول الدين([221]).
12- حاشية على كتاب الفرائض للجيطالي من علماء القرن الثامن الهجري/14م
13- حاشية على كتاب السؤالات المنسوب للشيخ أبي عمرو عثمان بن خليفة المرغني السوفي من علماء القرن السادس هـ/12م وهو كتاب مفيد يشتمل على علم الكلام والفقه والتاريخ واللغة.
14- حاشية على تفسير القرآن المنسوب للشيخ هود بن محكم الهواري قاضي الإمام أفلح بن عبدالوهاب الرستمي وهو الأخير في حواشيه ولم يتمها وصل فيه إلى قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فحالت المنية قبل إتمامه.
15- حاشية عظيمة على الجامع الصحيح([222]) في الحديث في أربعة أجزاء قال المحشي هذا آخر ما تيسر جمعه نفع به الله المسلمين وجعله خالصا لوجهه الكريم وموجبا للفوز بما لديه أنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير والحمد لله رب العالمين وكان الفراغ من تبييضها يوم الجمعة 12 جمادى الأخير سنة 1082هـ.
16- مجموعة من الفتاوى مطبوعة طبعة حجرية بالمطبعة البارونية 1315هـ.
توفي الشيخ المحشي بجربة في ربيع الثاني سنة 1088هـ/1678-1679م وعمره خمسة وستون سنة وقبره معروف بالمحشي بورسيغن من حومة سدويكش. ترك فراغا عظيما وحزن لموته البعيد والقريب من أهل العلم ورثاه جماعة من الشعراء منهم تلميذه الأديب علي بن سالم بن بيان يقول :

إلى الله أشكو لوعتي وشجوني لفقد فريد الدهر بالفضل مكتسى
كريم السجايا طيب الأصل ماجد صبور على الخيرات عدل تقدسى
ألا فاسألوا الرحمان ذي العرش كلكم يفرج عنه الضيق والضر والأسى
ولو أن لي بالشعر والفن خبرة للازمت فكري للمديح محسبى
ولكن ضعف الفكر خان عزيمتي دليل كان النظر بالزحف مكتسى

وهذا تقريض للشاعر الشيخ ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني على حاشية المحشي يقول:

أمحمد مهدت شرع محمد نعم المهاد لنا ونعم الماهد
بسطت حاشية ملأت وطابها درر ذاك الدر كنز خالد
ولقد توفرت السعادة وانجلى الإقبال وانكمش العدو الحاسد

---

[221])- كشف الغمّة ص384. الإباضية بالجريد صالح باجية ص222

[222])- الربيع بن حبيب وهو ممن دون الحديث الشريف في القرن الثاني هجري وقد طبعت هذه الحاشية في سلطنة عمان والطبعة القديمة في زنجبار سنة 308هـ وقد وضع الشيخ الناصر بن سالم الرواحي العماني تقريضا للحاشية

وتألقت غرر البشائر حيثما انتظمت بجوهرها الثمين قلائد
بكمالها طبعا وكون كمالها فيه لغايات الكمال مقاصد

والفضل لتلميذه الشيخ علي بن بيان هو الذي جمع تراثه وقام بتنظيم حواشي شيخه ورتبها وطابق بينها وبين الأصل ولولاه لضاع هذا التراث الثمين كما ضاعت كثير من الكتب.

الشيخ أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي

ولد الشيخ التلاتي بحومة تلات من منطقة قلالة في أول القرن العاشر الهجري/القرن السادس عشر مسيحي. حفظ القرآن مبكرا أرسله والده إلى مدرسة الشيخ أبي زكرياء بن عيسى الباروني بجبل نفوسة فدرس عليه العلوم ثم انتقل إلى مدرسة الشيخ يعقوب بن صالح التندميرتي ببلدة جناون ويحدثنا التلاتي عن رحلته العلمية ويقول درست أكثر العلوم على شيخي يعقوب التندميرتي ثم عاد إلى مسقط رأسه فاستشار والده في السفر إلى وادي ميزاب ليواصل دراسته العالية على الشيخ أبي مهدى بن عيسى بن إسماعيل المليكي. يقول أخذت عنه فوائد جمة في أصول الدين وغيره. بعد أن أخذ حظه من العلم عاد إلى الجزيرة والتحق بمدرسة الشيخ قاسم بن يونس السدويكشي. كان الشيخ داود ينتقل من مدرسة إلى أخرى ينهل من العلوم والآداب من شيوخ عدة ثم التحق بمدرسة الشيخ أبي زكرياء بن إبراهيم الهواري بجربة هذا ما حكاه عن نفسه وسجله عنه أكبر تلاميذه الشيخ أمحمد بن زكرياء الباروني المتوفى شهيدا بجبل يفرن في غارة من عرب البادية على جبل نفوسة سنة 997هـ/1589م ذكرها في رسالته التي وضع فيها نسبة الدين([223]) أثبت في هذه الرسالة عن من أخذ علمه وقد عرضها على أستاذه قبل موته والذي بين فيها مشائخ شيخه يقول محمد بن زكرياء الباروني أخذت أنا وأكثر الطلبة زماننا عن شيخنا سليمان داود التلاتي الجربي بعد أن أتم دراسته ورسخت قدمه في العلم عاد إلى جربة بحزم ونشاط لخدمة بلاده ودينه ووطنه جلس في مدرسة جامع القصبيين بحومة قلالة ينشر علمه في نفوس الشباب ويغرس فيهم قوة الإيمان وروح التضحية والصبر عن المكاره والصبر على طلب العلم وسهر الليالي ومدارسة الكتب المفيدة فتخرج من مدرسته عدد كبير من المشائخ ومن أبرزهم محمد بن زكرياء الباروني الذي نقل عنه نسبة الدين. أسند إليه علماء الجزيرة رئاسة مجلس العزابة بعد وفاة الشيخ زايد بن عمر اللوغ سنة 950 هـ ويقول بن تعاريت ساد الشيخ التلاتي بجربة وتولى مجلس العزابة وإليه يرجع الأمر في زمانه([224]).

كان الشيخ التلاتي يشرف على شؤون البلاد دينيا واجتماعيا وسياسيا ويفض المشاكل بين المتنازعين وكان المجلس يراقب المساجد على السواحل ويسهر على سير التعليم في جميع مدارس الجزيرة وينظم أوقات التعليم والراحة الأسبوعية ويراقب الأيمة والمربين ويوزع الأوقات على الطلبة في كل شهر وينظر في أحوال الأيتام والأرامل والعاجزين عن الكسب فيوزع عليهم الصدقات. قام التلاتي بهذه الوظيفة على أحسن حال وكان يتمتع بقدرة فائقة على حل المشاكل ويثبت الحقوق لأصحابها ويقرب بين القلوب المتنافرة وينزع منها الشحناء والبغضاء بالحكمة والموعظة الحسنة وحل محلها التحابب والتراحم والتعاطف حتى صاروا إخوانا على البر واختار

---

[223])- درس التلاتي على الشيخ إبراهيم بن أحمد من ذرية أبي منصور إلياس التندميرتي النفوسي بقرية بقالة بجبل نفوسة علم البيان والمنطق (سير الشماخي ص 580)

[224])- رسالة التعاريتي ص43

مرشدين لكل مسجد يرشدون الناس في أمور دينهم إثر صلاة المغرب لكل يوم. رغب الناس في حضور هذه الدروس ولما ذاقوا حلاوة العلم وعرفوا مرارة الجهل وأكبروا جهود العلماء ورجال الإصلاح فعرفوا فضلهم على المجتمع. أفنى عمره في خدمة العلم ونشر الثقافة الإسلامية في الناشئة وكان متضلعا في العلوم مخلصا صادقا نزيها يقوم بجميع هذه الأعمال احتسابا لوجه الله الكريم ولا يتقاضى أجرة على هذا العمل كان التلاتي مجاهدا يقاوم الانحراف والظلم ويقف في وجوه الظلمة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان بمنزلة الإمام العادل في تنفيذ الأحكام([225]) والسهر على أمن البلاد وراحتها ولما احتل درغوث بن علي التركي جربة بلغ الشر من أولائك الولاة أشده ثار المجتمع الجربي بإشارة الشيخ في وجه الطغاة دفاعا عن الكرامة والدين لأن درغوث هجم على الجزيرة بجنوده لإخماد هذه الثورة بالقوة كانت نهايتها قتل هذا العالم الجليل فاستشهد بعد أن أخذ خديعة وسجن شهرا ثم قتل في أوائل جمادى الأول سنة 967هـ/1559-1560م ولما رأى فيه من التمسك بالحق جرى حوار بين الشيخ التلاتي والقائد درغوث وأراد درغوث أن يحمّل التلاتي كتابة الرسائل إلى تونس وقال له أنا بعيد عما جرى من فساد في البلاد بل الفساد من قبلك لتقديم الأسافل على الأفاضل([226]) كانت وفاته خسارة عظيمة لجربة لأنه مات حديث السن دون أن يفيد كثيرا من العلم الذي حمله في شبابه فخمس سنوات ليست كافية لتكوين جيل ودفن بمسجد أبي داود بحومة بركوك بالجزيرة.

مؤلفات الشيخ داود التلاتي

لأبي سليمان دواد التلاتي مصنفات نفع الله بها كثيرا من عباده المؤمنين منها:

1- شرح على كتاب الأجرومية في النحو
2- شرح على مقدمة التوحيد مطبوع بمصر وبليبيا كتاب نفيس عليه عدة شروح
3- وله أجوبة وتعاليق مشهورة ورسائل عديدة بعث بها إلى شيخه أبي مهدي في مدينة مليكة يقول بن تعاريت رأيت له قصائد رثى بها بعض أشياخه ورثى شيخه زايد اللوغ شيخ العزابة في عصره
4- شرح على متن ايساغوجي في المنطق كان مقررا بالجامع الأعظم الزيتونة بتونس

عاش التلاتي في عهد كثرت فيه القرصنة البحرية في البحر الأبيض المتوسط من طرف الأسبان وفرسان القديس يوحنا وتعرضت الجزيرة إلى أنواع من الظلم والاستبداد في هذه الهجومات المتكررة وكان النهب والقتل من طرف الأسبان ومرة من طرف درغوث لإخضاع الجزيرة بالقوة. حيث ترك جنوده في الجزيرة بعد أن افتكها من الأسبان فابتزوا أموال الناس ظلما([227]).
وهذه رواية مقتل الشيخ داود التي يرويها تلميذه محمد زكرياء الباروني في رسالته "نسبة الدين " وثالث يوم من الهزيمة أتى موسى بن عمر بن أبي جلود إلى الشيخ أبي سليمان مع جمع من الجند فقال له لو سرت معنا إلى درغوث لنتكلم على الضعفاء فقال له الشيخ "نعم" فسار معه راكبا على بغل حتى أتى إلى درغوث فكلمه درغوث في مخالفة جربة وما كان من أهلها.

---

[225])- رسالة التعاريتي ص49. نسبة الدين للباروني ص583 ملحق السير
[226])- مقدمة التوحيد للشيخ عمر بن جميع شرح وتعليق الشيخ إبراهيم طفيش. نسبة الدين ص583
[227]) انظر الحملات الصليبية على الجزيرة في الحلقة الأولى من هذا الكتاب

فقال له الشيخ : نحن جماعة العزابة ليس بأيدينا ولا إلينا تولية الأمراء ولا عزلهم في هذا الزمان" فقال له "بل أنتم أزحتم المسعود وأفسدتم البلاد وفعلتم وفعلتم" فقال له الشيخ "ما فعلنا شيئا إلا الخير ولسنا إن شاء الله من أهل الشر في شيء بل الفساد من قبلك لتقديمك الأسافل وغير ذلك". فأخذ الشيخ وسجنه نحو شهر أو أقل ثم قتله لكثرة الطعن فيه من الحسدة والكفار.

كان أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي من العمالقة العظام الذين انتهت إليهم رئاسة المجلس وقيادة الأمة ومحاربة الطغيان حتى ختم له بالشهادة فرحمه الله رحمة واسعة وقبره معروف الى الأن في مسجد بركوك على الطريق الرابطة بين حومة السوق والرياض..

مدرسة جامع ليمس بحومة آجيم([228])

هذا المسجد كان قبل الإسلام كنيسة فلما اعتنق سكان جربة الإسلام تحول هذا المعلم إلى مسجد للعبادة ومدرسة وقد زرته قبل ترميمه الجديد في عهد الشيخ يونس المثني سنة 1953م فوجدت فيه مجموعة من الطلبة من جبل نفوسة ومن داخل الجزيرة وخارجها يحضرون الدروس في النحو والفقه والبلاغة والأصول والحساب يؤهلهم إلى الدخول إلى جامع الزيتونة ويطوون مراحل الدراسة بسنتين أو ثلاثة. شاهدت الصومعة المنتصبة على باب المسجد من الجهة الشرقية على شكل هندسة الكنائس القديمة مستطيلة الشكل وهناك مكان آثار الصنم في أعلى الصومعة أزاله المسلمون عند ترميمه اشتهر هذا المسجد في القرن الحادي عشر هجريا/السابع عشر مسيحيا بنشاط الحركة العلمية في هذه الجهة وقد ذكره الشيخ سعيد بن أيوب الباروني في قصيدة منظومة حوالي نصف القرن 11هـ/17م ذكر فيها العائلات العلمية والمساجد يقول:

---

[228])- ليمس اسم قبيلة بربرية سكنت الجزيرة قبل مجيء الإسلام فبنت هذا المعبد متأثرة بالحضارة الرومانية

سلوا ليمسا عن جادوي سعيدها ونجله عبدالله ويحى فريدها
سليمان والشماخي كانا عميدها ومنازلهم للبوم أضحى غريدها

كان هذا المسجد مقر مجلس العزابة في القرن الثاني عشر هجريا زمن الشيخ سعيد بن يحي الجادوي.

الشيخ سعيد بن يحي الجادوي

ولد الشيخ سعيد بن يحي الجادوي في قرية آجيم في النصف الثاني من القرن الحادي عشر هجريا والنصف الأول من القرن الثامن عشر مسيحي حسب وثيقة كتبها صديقه الشيخ علي بن بيان([229]) درس العلوم على شيوخ جربة حضر دروس الشيخ أبي الربيع سليمان بن أحمد بن أبي ستة وحضر دروس الفقه واللغة والأصول والتاريخ والعقائد على الشيخ أحمد بن سليمان الحيلاتي سنة 1099هـ في مدرسة وادي الزبيب وأصل عائلة الجادوي من مدينة جادو بجبل نفوسة عظم شأن هذه المدينة في بداية الفتح الإسلامي لا سيما في عهد أيمة بني رستم بتاهرت حتى قيل اجتمع فيها نحو أربعمائة عالم في عصر واحد حسبما ذكره الشماخي في طبقاته نقلا عن تاريخ نفوسة الكبير أما عن الاستقرار والأمن والعمران يشير معجم البقوت إلى ذلك وأيضا في تاريخ ابن الصغير المالكي وقد تفرّع عن هذه الأسرة عدد من العلماء ذكر التاريخ أسماءهم وفتاويهم وقد اشتهرت أسرة الجادوي بالعلم والتقوى قديما وحديثا وقد ترك لنا الشيخ سعيد أبناء بررة اشتهروا بالعلم والصلاح منهم ابنه الشيخ عبدالله الجادوي وحفيده سعيد بن عبدالله الجادوي.

سعيد بن عبدالله الجادوي([230])

تخرج من مدرسته عديد العلماء منهم ابنه الشيخ عبدالله وتلميذه الشيخ مسعود بن جديد الخيري والشيخ يوسف المصعبي وهذا الشيخ الحيلاتي يصفه في رسالته فيقول والشيخ سعيد الجادوي الفائق في العلوم المعقولة والمنقولة" ويتحدث عنه الشيخ سعيد بن عيسى الباروني يقول كان سعيد الجادوي شاعرا مجيدا رأيت له قصائد كثيرة في الأحكام والعبادات والوعظ والمراثي لو جمعت كلها لكانت ديوانا كان الجادوي أحد أعضاء مجلس العزابة الذي أصدر الفتوى بإهدار دم الطاعن في دين الله([231]) وقد أشرت إلى هذه الحادثة في ترجمة الشيخ يوسف المصعبي

آثاره العلمية

رأيت له فتاوى عديدة في كتاب مخطوط به مجموعة من الفتاوى لأصحابنا([232]) لو جمعت كلها لكانت ديوانا تدل على غزارة علمه وإطلاعه الواسع في المسائل الفقهية. قال الشيخ سعيد لما مرض يتضرع فيها إلى الله :

---

[229])- رسالة بن تعاريت ص86-90

[230])- من تلاميذ الشيخ سليمان بن محمد الباروني الوالغي والشيخ عمر بن رمضان التلاتي

[231])- هو عبد الرحمان اليونسي الذي أراد أن يحدث فتنة بين الناس لتجسسه لفائدة حاكم الجزيرة وهذا تحليل الواقعة: لما بلغ شيوخ العزابة أن عبد الرحمان اليونسي من حومة قشعيين يطعن في الدين ويتجسس عليهم اجتمعوا للنظر في هذا الأمر ولما ثبت عندهم ذلك أفتى في إهدار دمه الشيخ يوسف المصعبي والشيخ سعيد بن يحي الجادوي (رسالة ابن تعاريت ص100)

[232])- مجموعة فتاوى بالمكتبة البارونية تحت رقم 573/12

سألتك يا رحمان عفوا معجل وهب لي شفاء من لدنك تفضلا
فانك مرجو لدى الضر والأذى وأنت رحيم بالمصاب المعللا
فإني ضعيف بالذي قد أصابني جعلت له حسبي مقرا ومعقلا
فأطلب منك العفو يا بادي الورى وكشف الذي بالجسم يأمن له العلا
رفعت أذاي والذي قد أضرني إليك بمحو الكل بالعفو مقبلا
فانك ذو فضل يكشف ما أضر عليلا وأهوى الجسم مبتلا
رضيت بما أحللت بي من مضرة وألهمتني حمدا عليها مكملا
صبرت على البلوى كما قد أمرتني وواعدت ذا صبر ثوابا فردا جزلا
حمدتك حيث لم تكن غير ممد يقل لها صبري وأحرم معزلا
ولكنك المرجو للعفو والشفاء وكشف الكروب والمصائب والبلاء

وله قصيدة في الوعظ بها مائة وأربعون بيتا يقول :

يا من بالدنيا مشتغل وغره طول الأمل
والموت تأتي بغتة والقبر صندوق العمل
يا من تمتع في الأمل ومن يعاصي في العمل
يا من تجاهل في الأجل إن كنت ذا جهل فسل

وهذه بعض الأبيات يرثي بها شيخه أبا الربيع سليمان بن أحمد بن أبي ستة (البحر الطويل)

هاجرني صبري وذاقت مذاهبي وأورثني حزنا خسوف الكوامل
بكته العلوم الراسخات كما بكت في سالف صدق من شيوخ القبائل
بكته المعاني والقوافي جملة عروض ونحو مشكلات المسائل
ويبكيه دين الله ما دام نوره يضيء لأهل الحق غير مبادل

قال هذه القصيدة وهو مريض بالحمى([233])

فيا ربي فاعف وأرحم ضعفي وخلقتي وهب لي صلاح الجسم حتى المنية
صبرت على البلوى إيمانا وحسبة ثوابا جزيلا في الميعاد المؤقت
فانك يا رحمان بالصبر أمر واني صبور عند وقت البلية
رجوت ثوبا في الميعاد وستره وصحة جسم في أيام الدنية
لقد طال ضعفي يا اله وإنني فقير إلى عفو ومحو الخطيئة
شكوت إليك يا سميع دعاء من دعاك لدفع الضر من كل علة

وهذا الشيخ مسعود بن جديد الخيري الأجيمي يرثي شيخه سعيد الجادوي فيقول

شجوت لأمر فادح بما نزل فضيح شنيع ماثل أي ماثل
قد أبعد عن عيني الكرى ولذيذها وأسجل خدى للدموع الهواطل

يقول ابن تعاريت: رأيت مرثية الشيخ عمرو التلاتي رثى بها شيخه سعيد الجادوي ورثاه الشيخ سليمان الباروني وذكر فيها أجداده.

وهذه بعض الفتاوى للشيخ الجادوي: الحمد لله وبه نستعين فان كان الأمر كما ذكر فالبيع فاسد لا يحكم به حيث كان المشتري عالما بميراث عين البائع في الأرض المبيعة لأن وارث ذلك الميراث شريك البائع والفسخ قد صرح بانفساخه في النازلة المذكورة. قال الشيخان أبو زكرياء يحي الجناوي والشيخ عامر الشماخي وإذا علم البائعان أو أحدهما بالشريك فالبيع منفسخ ويقول الشيخ سعيد بن الحاج علي بن حمزة بن تعاريت يقول شيخنا سعيد بن عيسى الباروني في الجادوي: "هو الشيخ الفائق في العلوم المنقولة والمعقولة ويقول كان شاعرا مجيدا رأيت له قصائد كثيرة في الأحكام والعبادات والوعظ والرثاء لو جمعت لكانت ديوانا، مدفون في روضتهم بحومة

---

[233])- من ديوان شعر للشيخ سعيد الجادوي بمكتبة الشيخ سالم بن يعقوب بغيزن جربة.

آجيم على الجادة المارة من مسجد ليمس إلى المرسى وبني على قبره محراب.

الشيخ عبدالله بن سعيد بن يحي الجادوي

عاش الشيخ عبدالله في النصف الأول من القرن الثاني عشر هجري في قرية آجيم أخذ العلم على والده الشيخ سعيد الجادوي في مدرسة جامع ليمس وعلى غيره من علماء جربة كان الشيخ عبدالله ذكيا مجتهدا محبا للمطالعة يطالع كل كتاب وصلت إليه يده فلم تمض فترة من الزمن حتى استكمل دراسته وفاز على أقرانه وجلس يعلم الأطفال الصغار مع والده في مدرسة ليمس فاقبل عليه الطلبة من جميع جهات الجزيرة يدرسون عليه العلوم اللغوية والفقهية وغيرها([234]) كان عبدالله الجادوي علامة زمانه وله براعة في علم الأحكام وله أشعار حسنة وأجوبة وفتاوى. وقد زاره في داره الأمير يونس بن علي باشا باي تونس لما جاء إلى جربة، والشيخ عبدالله لم يرحب به ولا قام لتعظيمه بل الأمير يونس هو الذي أتاه إلى داره وقبل رأسه تعظيما للشيخ وهو جالس. وطلب من الشيخ الفاتحة، كما هو مقيد في أمر الباي له في الإمامة وإعفاء جميع الضرائب عنه وعن سائر عائلته"([235]). ويصفه مرة ثانية يقول الشيخ الجادوي ممتاز في الفقه والأحكام والفرائض والفلك وأصول الدين وله معرفة بعلم الكيمياء.

مؤلفاته

له حاشية على كتاب السؤلات عظيمة لم يكملها لأمر عرض له وقد سئل عن المهدى المنتظر وعن نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وحكمه بشريعة نبينا محمد صل الله عليه وسلم([236]) وهل يجتهد ؟ وهل للمذاهب من أثر في ذلك الزمان ؟ فأجاب رحمه الله بعد كلام مسهب اقتضاه محيطا لسؤال نأخذ منه محل الحاجة يقول : أن من ظن عدم صلوحية حكم من أحكام القرآن لأهل كل زمان ومكان حتى قيام الساعة فهو كافر. له عدة أجوبة أجاب بها علماء عصره ولم نقف على تاريخ وفاته.

سعيد بن عبدالله بن سعيد بن يحي الجادوي

عاش الشيخ سعيد بن عبدالله الجادوي في آخر القرن الأول من النصف الثاني عشر هجريا بقرية آجيم تعلم القراءة والكتابة في مدرسة ليمس حفظ القرآن ثم تعلم على والده العلوم الدينية واللغوية ولما لاحظ والده شغف ابنه بمزيد التعلم أرسله إلى مصر لمواصلة دراسته العلمية بالجامع الأزهر ومدرسة الإباضية([237]) بمصر كان يتنقل من شيخ إلى أخر يتخير الأساتذة البارزين في العلوم المنقولة والمعقولة بقي في مصر ثلاثين سنة يتعلم ويعلم تلاميذ مدرسة حي ابن طولون جميع العلوم. بعد هذه الرحلة العلمية التي دامت جيلا كاملا شعر بحنين إلى وطنه ومسقط رأسه جمع كتبه ثم ودع أصدقاءه وشيوخه وتلاميذه وعاد إلى جربة في سفينة تجارية وكان يوم عودته إلى الجزيرة من أعظم الأيام احتفلت البلاد بقدوم هذا العالم الجليل الذي يحمل معه علم المعقول والمنقول من مصر تسامع طلبة العلم بجبل نفوسة وجزيرة جربة بانتظام دروسه في مدرسة جامع ليمس بقرية آجيم أقبل التلاميذ من جميع الجهات ينهلون من منبعه العذب تكونت

---

[234])- رسالة الحيلاتي ص91

[235])- راجع: ابن تعاريت، رسالة ص66 و97 في نسخة الشيخ سالم بن يعقوب

[236])- من كتاب الفوائد الجمة في منتخب مرشد الأمة ص699 و778 للشيخ سليمان الجادوي

[237])- من شيوخه الإمام السيوطي. الفوائد الجمة ص778 للشيخ سليمان الجادوي

على يديه نخبة من العلماء حملوا رسالته العلمية إلى أوطانهم كان الشيخ سعيد بن عبدالله الجادوي محل إكبار وإجلال من طرف الدولة المرادية تقلدت أسرة الجادوي خطة علمية سامية ولم تفقد هذه العائلة الماجدة حضوتها بانقراض الدولة المرادية بل كانت محل عناية من العائلة الحسينية ولها أوامر عديدة ومكاتيب يوصون بها الخاص والعام باحترامهم وإعفائهم من الضرائب([238]) اشتهر الشيخ سعيد بن عبدالله الجادوي بالعلم والفضل والتقوى والصلاح وقد أنجبت هذه العائلة أعلاما سادوا في زمانهم وقد ترك الشيخ سعيد فتاوى فقهية عديدة في فقه المعاملات والعبادات وهذا سؤال على سبيل المثال لا الحصر طرحه السائل على الشيخ سعيد بن عبدالله الجادوي: الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على المصطفى وعلى آله وصحبه الطاهرين أهل الوفاء سادتنا العلماء رضي الله عنكم وأطال في عز حياتكم ومتعكم في الجنة بعد وفاتكم ونفعنا والمسلمين ببركة علومكم ما قولكم في مسألة رجل وكل رجلا على جميع أملاكه بشهادة عدلين وألزم نفسه بتوكيل أن لا ينزع ذلك من يده مدة عشرين سنة في المستقبل بشرط ملزم عليه ثم أنه أراد أن يبدل الوكالة إلى غيره هل رضي الله عنكم يلزمه ذلك بمقتضى لفظه أم هو باطل ممنوع لقوله عليه الصلاة والسلام: لا يحل مال امرئ مسلم إلا بالشروط المعلومة. جوابكم لنا شافيا ولازلتم أهلا للقاصدين ومنهلا للواردين ولطريق السعادة والصلاح سالكين والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. الجواب: إذا كان الأمر كما ذكر والشأن ما بالسؤال سطّر أن من ألزم نفسه بالاستجار عشرين سنة يجب عليه الوفاء به لقوله عليه الصلاة والسلام: المؤمنون على شروطهم إلا شرط أحل حراما أو حرم حلالا إلا إذا خالف ما اتفق عليه من التقصير في الخدمة أو ظهرت عليه الخيانة أو نحو ذلك على ما تقتضيه القواعد الشرعية والله أعلم كتبه الفقير إلى ربه سعيد بن عبدالله بن سعيد الجادوي وفقه الله.

الشيخ سليمان الجادوي

ولد الشيخ سليمان الجادوي في آخر القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر مسيحي (1287هـ/1871م) تعلم مبادئ العلوم على أجداده ثم سافر إلى تونس لمواصلة دراسته في جامع الزيتونة تتلمذ على خيرة المشائخ منهم الشيخ محمد النجار المفتي المالكي والشيخ أحمد بيرم شيخ الإسلام والشيخ محمد بن يوسف المفتي الحنفي والشيخ عثمان ابن

[238])- منتخب مرشد الأمة لسليمان الجادوي ص77

المكي والشيخ مصطفى رضوان وغيرهم اجتهد الجادوي في تحصيل العلوم فدرس العلوم الفقهية والأدبية والتاريخية وغيرها على علماء الزيتونة ثم شعر بحاجة إلى المزيد في الفقه الإباضي وأصوله وتاريخه فسافر إلى طرابلس ليدرس على الشيخ عبدالله الباروني في مدرسته بمدينة يفرن وصاحبه في هذه الرحلة زميله الشيخ سعيد بن تعاريت سنة 1314هـ/1896م فلزم دروس الشيخ عبدالله بن يحي بن أحمد الباروني بمدرسته بالبخابخة وخاصة في الفقه الإباضي والأصولي والعقائدي ودرس عليه كتب السيرة وغيرها ولما استكمل ثقافته عاد إلى تونس واشتغل بالتجارة وفتح له دكانا بسوق اللفة بالعاصمة فخالف طريقة أجداده ومنهج علماء الإباضية حيث كانوا لا يفضلون أي عمل على نشر العلم في الأوساط الجاهلة وغرس روح الدين في الأمة والمحافظة على سلامة المجتمع من الإنحلال الخلقي.

الجادوي لم تشغله التجارة عن خدمة وطنه بقلمه فأنشأ جريدة المرشد سنة 1324هـ/1906م يعالج قضايا الأمة وينير السبل للرأي العام وقد سعت الحكومة الفرنسية لتوقيفها وتعطلت نهائيا في 1908م ثم أنشأ بعدها جريدة مرشد الأمة سنة 1326هـ/1909م وسخر الجادوي قلمه لخدمة الصالح العام يدافع عن المظلومين والمضطهدين عن طريق جريدته وقد قاوم الإستغلال والاستعمار وكان وطنيا صادقا قد أحرز الجادوي على ثقة الشعب بإخلاصه وصراحته النادرة ومقارعة الظلم حتى تعرض إلى غضب المستعمر فحوكم([239]) وعطلت جريدة مرشد الأمة في 1911م ثم استانفت الصدور في 1920م وتعطلت مرة اخرى في 1925م ثم عادت الى الصدور سنة 1936م لتتعطل في 1948م واخيرا غابت نهائيا في 1950م بعد العدد 243 وكان الجادوي صحافيا ممتازا سمى بفن المقال السياسي فكان يمثل طبقة الكهول يقول الفاضل بن عاشور في روح كتابة الجادوي روح حماسية إسلامية وطنية ينهج في تحريره نهج التذمر والاحتجاج ويحتد في مهاجمته ويتذمر ويستقصي الحجج لموضوعه من كل وجهة ولو كان على غير مبدئه([240]) ويبدو في طريقته الثبات على المبدأ إلى حد التطرف واليقين المطلق في النظرية التي يدافع عنها وأكثر مقالاته نقد لمواقف رجال الحكم وتصرفاتهم بمقياس الخلق الديني والمبدأ الوطني وأسلوبه البياني عربي متين يستمد من الثقافة الدينية ويبالغ في تشنيع الصور ولا يقصد في كشف الحقيقة على ما يتصور فيها من شر ولو لا ما في تحريره من قلة الانسجام واضطراب التسلسل المنطقي وما يفرق فيه من الاستطراد والبيانات اللغوية ومسائل العلوم التي ينبئ عنها ذوقه التحريري الصحافي وما يعتري جمله أحيانا من لحن وسقم في التركيب لكان الشيخ الجادوي مدرسة المقال السياسي بحق وان كان ذلك لا ينزع عنه ما برز له لنظر التاريخ من أنه فارس الدفاع في سبيل الفكرة الدستورية التي لا يتراجع عنها ولا يلين وأصدر جريدة أبة نواس سنة 1327هـ/1909م.

اهتم الجادوي بجمع منتخباته في كتاب سماه "الفوائد الجمة في منتخبات مرشد الأمة" طبع سنة 1343هـ/1925م وهو كتاب متوسط الحجم يضم 789 صفحة جمع فيه الجادوي في جزئه الأول منتخبات من جريدته المرشد وفي جزئه الثاني منتخبات من مرشد الأمة ،نشر فيه 190 مقالا معظمها بقلمه وقليلها بأقلام غيره من كتاب وأدباء وصحافيين. إنها مجموعة من المقالات حافلة بالنفائس التاريخية والاجتماعية والسياسية والأدبية، عاش الشيخ الجادوي أحداثها فحررها بقلمه السيال وهي فترة هامة تزيد

---

[239])- حوكم في المرة الثانية أمام "الدريبة" محكمة إدارية بدعوى إدارية عدد35 لسنة 1907م في 20 ذي الحجة 1325هـ حيث اتهم بإثارة حماس الناس ومهاجمة وفضح سلوك المستعمر بحق التونسيين

[240])- الفاضل بن عاشور. الحركة الأدبية والفكرية في تونس ض146

عن عشرين سنة وهي الفترة التي سيكتب عنها التاريخ المعاصر وقد أثنى عليه الأدباء بقصائد. وإليك قصيدة الشيخ الهادي المدني حيث يقول فيها:

يا من يطالع هذا الكتاب	بشراك بشرى
رأيت دهرا عليه الزمان	أسدل سترا
كيف انقضى وأتت بعده	الحوادث تطرى
رأيت ما قد أتاه الطغاة	ظلما وقهرا
وكيف أودعوا الحق	والمساواة قبرا
وكيف كان جهاد الكتاب	إذ ذاك وعرا
وكم تحمل منهم	ذوو العزيمة إصرا
فلم يزدهم إلا	عزما وجدا وصبرا
فأنت تنظر تلك الأمور	عصرا فعصرا
وتتبع السر في الحادثات	شبرا فشبرا

لم يشتغل الشيخ سليمان الجادوي بالتدريس كعادة أسلافه ولكنه تفرغ لخدمة بلاده ووطنه بقلمه وأفكاره يرشد الأمة وهذا أمير الشعراء الشاذلي خزندار ينوه بكتابته يقول فيه:

لئن جاد شعرك فالجادوي	مثال الإجادة فيه بدا
إليك "الفوائد" منه التي	فتحنا القلوب لها واليدا
وحسبك بالصحفي قيمة	إذا كان للأمة المرشدا

اختار الجادوي مجموعة كبيرة من المقالات الهامة التي نشرت في جريدة "مرشد الأمة" وأصدرها في كتاب ضخم يشتمل على 784 صفحة سماه "الفوائد الجمة في منتخبات مرشد الأمة" نشره على نفقته الخاصة سنة 1925م وحلاه بصورته كتب تحتها:

لما استحال بأن أكون	مع الجميع مدى الزمان
أبقيت من ذاتي مثالا	قائلا هذا فلان
خدم الصحافة مرشدا	وكفى العيان عن البيان

يقول الجادوي: "هذا ما تم جمعه بعون الله وتدوينه من منتخبات مرشد الأمة فكان هذا الكتاب سفرا قيما حافظ على كفاح أمة قاومت الاستعمار وجمع شوارد الفصول لتستفيد منه الأجيال الصاعدة وهي جهود إفهام بلا رماح وكفاح الأقلام بلا سلاح وهنا نجد الجادوي يتضجر من ظلم الزمان وجور السلطان ويصف العهد الذي عاش فيه يقول: صوت الحق مصحوب بالتأوه من تصرف عاطل واستبداد قاتل وإدارة تقابل بوجهين وخزينة تعطي بمكيالين وشورى لا استشارة وهيئة قضائية تصدر أحكامها الإدارية وتشريع إداري وتجبر استعماري ومجلس كبير في الاسم لكنه صغير باعتبار القول والرسم([241]) ومسألة تونسية وأحزاب شعبية وتأييد وهدم ووصال وصرم وتنابز وتخالف وتشاحن وتجازف وتجنيس وفقر قد فغر فاه ليفرنس البلاد وكشر عن أنيابه ليبتلع الذاتية والمجد والسداد.حيث جعله مناط التساوي وموجب إجراء العدالة والتخاوي قياسا على ما كان جاريا في العصر الصليبي من كون الدين فاصلا في الحقوق بين الرعية مؤذنا بإلحاق المخالف في الرعية ويقول: "كل ذلك قد طواه الزمان وارتحل وأصبحنا نستقبل عصرا لم يزل غير باسم مجدئا على أن نجد ونعمل ولذا فإن طال بنا المدى وأمهلنا الردى وكان في العمر مجال ولم يغمر الجسم باعتلال فسيكون المستقبل أوفر فائدة مما مضى وأكثر مجدا مما انقضى إلى أن نصل إلى نيل الدستور وتسود الحرية الحقة في أرجاء هذه المعمورة".

---

[241])- كان الشيخ سليمان عضوا في المجلس الكبير نائبا عن جربة وعضوا في اللجنة التنفيذية عند تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920 وكان في مقدمة وفد الأربعين إلى الملك محمد الناصر باي لطلب إعلان الدستور.

ويتحدث الجادوي عن أحزاب البلاد فيقول: نسجل بامتنان وارتياح واستحسان اتجاه أحزاب البلاد على العمل جنبا لجنب لصالح البلاد وإن تأخر وقته واستفحل ضرره ومقته فان ساعة الخطر كساعة الإجابة وان الابتلاء كالمواعظ في العقيدة المستراباة ذلك الاتفاق الذي أنسى الماضي وأسدل عليه حجابا كثيفا بعد أن انذر بتعجيله وإلا كان المثال مخيفا ثم ما علينا إلا أن نعمل ونثابر بإخلاص وتفان فإن الثبات الصالحات التي نحن في أولها الآن منذرة بالجفاف والله سبحانه ولي التوفيق". هذه كلمة قصيرة عن حياة هذا الكاتب الصحفي اللامع الشيخ سليمان الجادوي توفاه الأجل بمنزله في مدينة حمام الأنف بتونس ليلة الاثنين 19 نوفمبر سنة 1951 وقد حضرت تشييع جنازته إلى مقبرة حمام الأنف رحمه الله إذ ذاك كنت تلميذا بالجامعة الزيتونية جلست إليه مرارا وكان يحدثني عن أجدادي ويرشدني إلى مواصلة الجهد في تحصيل العلوم وكان محله التجاري بسوق اللفة بتونس ناديا للعلماء والأدباء يتجاذب فيه أطراف الحديث في شتى المجالات العلمية والأدبية والسياسية. رحم الله الشيخ سليمان الجادوي وأسكنه فراديس جنانه.

سليمان الفراتي الخيري الآجيمي

ولد الشيخ الفراتي في قرية أجيم جربة في أول القرن الثاني عشر هجري/الثامن عشر مسيحي حفظ القرآن الكريم في مدرسة جامع ليمس ثم سافر إلى مصر فتتلمذ على خيرة علماء القاهرة فدرس عليهم علم المعقول والمنقول وكان يحضر دروس العلامة الشيخ عمر التلاتي الجربي فكانت له دروس في الأزهر وفي مدرسة الإباضية. لما استكمل دراسته رجع إلى جربة ينشر المعرفة على طلاب العلم في مدرسة جامع ليمس فتخرج عليه عدد من العلماء واصلوا رسالته العلمية وفي آخر عمره عجز عن الذهاب إلى المسجد فاتخذ بيته مدرسة يأتي إليه الطلبة يحضرون دروسه ويأتيه الفضلاء ويزوره العلماء يتحاورون معه في مسائل دينية واجتماعية. كان الفراتي جيد الرأي قوي الفراسة تقيا زاهدا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلى أن وفاه الأجل رحمه الله.

الشيخ رمضان بن يحي اللييني

هو العلامة أبو البركات رمضان بن يحي بن سعيد اللييني ولد في قرية أجيم سنة 1279هـ/1862م بعد حفظه للقرآن، سافر إلى تونس لمواصلة تعليمه بجامع الزيتونة وبقي هناك ثلاث سنوات ثم سافر إلى مصر للدراسة في جامع الأزهر قضى سبعة سنوات يدرس العلوم النقلية والعقلية على خيرة علماء الأزهر. كان الشيخ اللييني قوي الذاكرة جيّد الفهم ذكيا يقضي كامل أوقاته في الدراسة والمطالعة المفيدة في كتب الشريعة والتاريخ والأدب. بعد أن استكمل ثقافته عاد إلى جربة لزيارة الأهل والعشيرة فلم تطل به الإقامة حتى استعد إلى رحلة شاقة لمواصلة دراسته على الشيخ أمحمد طفيش في مدينة بني يزقن في الجنوب الجزائري إحدى العواصم العلمية في ميزاب ليتخصص في الفقه الإباضي. حضر عليه دروس الفقه والعقائد والحديث والتفسير وغيرها ولما أتم دراسته عاد إلى جربة يحمل معه العلم والصلاح فأول عمل قام به فتح مدرسة جامع ليمس فاقبل عليه الطلبة من جميع الجهات يحضرون دروسه في الفقه والعقائد واللغة والأصول ويخصص درسا في الليل في تفسير القرآن ودراسة الحديث ويلقي دروس الوعظ على المصلين.

تلاميذه

درس عليه الشيخ علي يحي معمر مؤلف كتاب الإباضية في موكب التاريخ والشيخ سليمان العونلي وهما من مدينة نالوت بجبل نفوسة أما تلاميذه بجربة فهم الشيخ قاسم بن حريز والشيخ مسعود قاري والشيخ عمر العوام والحاج يحي المثني وأحمد اللبان والشيخ يونس المثني الذي تولى التدريس بجامع ليمس.

رحل الشيخ الليني إلى جبل نفوسة واستقر به المقام في مدينة نالوت يعلم الطلبة في مسجدها الكبير فأقام ثلاثة سنوات ينشر علمه([242]) قام الشيخ الليني بتحقيق كتاب الطهارات وكتاب الصلاة من كتاب ديوان الأشياخ وطبع كتاب شرح الحائية للشيخ محمد المصعبي([243]) كان الشيخ الليني فقيها ترجع إليه الفتوى في المسائل الدينية قضى حياته يتعلم ويعلم إلى أن وفاه الأجل رحمه الله في 1 جمادى الأولى سنة 1366هـ/أواسط افريل 1947م عن عمر يناهز 87 عاما.

الشيخ أحمد بن سعيد بن عبدالواحد الشماخي

هو الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبدالواحد بن سعيد بن أبي الفضل قاسم بن سليمان بن محمد بن عمر بن يحي بن إبراهيم بن موسى بن عامر الشماخي. فهو من أسرة الإمام المحقق العلامة أبي ساكن عامر بن علي بن عامر الشماخي صاحب كتاب الإيضاح في الفقه حيث يلتقي معه في جده عامر الشماخي لذلك فإن العائلة الشماخية من أعرق العائلات حسبا ونسبا وعلما وصلاحا ذكر أن نسبهم يتصل بنبيّ الله هود عليه السلام وهي معروفة بالعلماء وعظماء الرجال. فهو ينتمي إلى عائلة عريقة ضاربة بجذور راسخة في العلم والفضل، وقد لقب الشيخ أحمد ببدر الدين فهو بدر الدين الشماخي. كان مولده في الأربعينات من القرن التاسع عشر الهجري. عاش الشيخ أحمد بمدينة يفرن بجبل نفوسة في النصف الثاني من القرن التاسع هجري ولكونه من أسرة العلم والفضل والصلاح، كان لابد له منذ صغره ونعومة أظافره من الالتحاق برحاب العلم والعلماء، فلازم أساتذة أجلاء وعلماء فضلاء لهم القدم الراسخ في العلم واليد الطولى في الفهم.

أخذ العلم عن الشيخ أبي عفيف صالح بن نوح التندميرتي من نفوسة بليبيا ثم انتقل إلى تونس وتلقى العلم على كل من:

1- الشيخ يونس بن محمد
2- العلامة الجليل البيدموري
3- الشيخ أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن موسى
4- الشيخ أبو زكرياء يحي بن عامر بن إبراهيم.

بلغ الشماخي منزلة عالية في العلم بجده واجتهاده. كان منارا يهتدي به إذا ألف وصنّف.وإذا ردت إليه مشكلة كان في حلها غاية وإذا حضر مجلسا من مجالس العلم كان فيه النهاية، كشف غوامض المشكلات وأزاح الشبهات يعلم ذلك من طالع كتبه ويعرف مقدار تضلعه وسعة معلوماته. له تأليف عديدة تعد من الأمهات خصوصا في أصول الفقه.

---

[242])- حدثني الشيخ سليمان العونلي أحد القضاة بطرابلس أنه درس الفقه والفرائض والأصول والحديث عن الشيخ الليني وذلك خلال زيارتي لطرابلس سنة 1969م

[243])- بمعية شريكه الحاج محمد بن عيسى اليسجني

مؤلفات الشماخي

للشيخ أحمد بن سعيد الشماخي مؤلفات عديدة كلها تعد من الامهات منها:

1- اختصر كتاب العدل والإنصاف لأبي يعقوب الورجلاني فكانت أجمل وأنسق متن في أصول الفقه وأجدر مادة لمن يريد حفظ قواعد الأصول وإني لأراها أحسن متونها شمولا وإيجازا وشرحا كان مختصرا جدا إلا أنه على جانب من النفاسة والتحقيق([244]).

2- كتاب السير جمع فيه تراجم الأيمة وتواريخهم وكثيرا من علماء الدين أضاءوا الشريعة بنور المعارف وكانوا خير قادة ومن خصائصه أنه جمع كثيرا من فتاويهم واستنباطاتهم فكتابه السير يحتوي على مادة تاريخية هامة لمن أراد الإطلاع على تاريخ العلم والعمران وازدهار الدين والإيمان. يقول في شأنه صاحب القول الجامع والقلم البارع أبي إسحاق طفيش رحمه الله تعالى "ومن مراجع تراجم الرجال وتاريخ أهل الحق والاستقامة كتاب السير، يظن الذين لا حظّ لهم من التاريخ ولا قدرة لهم على جوب مراحله ودخول ميادينه أنه كتاب غير مفيد، ولكنهم لا يعلمون أنه ثروة ومادة أخذت من كل ناحية بسبب واختصت بذكر أساطين العلم والدين.

أما الشيخ علي يحي معمر فيقول "إذا كانت الحركة المباركة آتت ثمارا طيبة، وتركت لنا ثراء مجيدا تفتخربه المكتبة الإسلامية فإن طريقة أبي العباس في كتابه القيم "السير" طريقة فريدة ليست لها مثيل فيما عرفناه من كتب التاريخ.

3- حاشية على مقدمة التوحيد تبدو لك غزارة علمه وتبحره في فنون الشريعة وعلوم العربية([245])

4- له شرح مرج البحرين للإمام الورجلاني في المنطق والفلسفة والحساب والهندسة.

5- له رسائل عديدة منها رسالته التي رد بها على صولة الغدامسي وله أجوبة لقاضي جربة الفقيه سلطين([246])

6- وله رسالة في حب المفقود والحامل

7- ورسالة في شرح أسماء الله.

8- شرح مختصر العدل والإنصاف ويعتبر من أهم وأروع كتب أصول الفقه، أودعه آراء في الأصول الفقهية لم يسبقه إليها سابق.

9- إعراب القرآن

10- إعراب مشكل الدعائم وكتاب الدعائم هو للعلامة أحمد بن النظر الناعبي السمائلي العماني من علماء القرن السادس هجري

11- شرح متن الديانات، وقد شرح فيه رسالة متن الديانات في التوحيد للإمام أبي ساكن عامر بن علي الشماخي

12- رسائل في علم الكلام والفقه.

تتلمذ عليه عدد كبير من العلماء نبغوا في العلوم فبلغوا الذروة العليا علما وعملا ويشار إليهم بالبنان وقد أنبتت هذه الأسرة عددا من العلماء بلغ عددهم ثلاث عشر عالما لهم فتاوى مدونة في بطون الكتب المخطوطة ونأمل من شبابنا مواصلة السيرة للتعريف بآثارهم العلمية وقد توفي الشيخ أحمد بن سعيد الشماخي في جربة سنة 928هـ جمادى الأول/مارس

---

[244])- توجد نسخة مخطوطة بالمكتبة البارونية مسجلة تحت عدد 149 منسوخة سنة 1178هـ تشتمل على 170 صفحة.

[245])- مطبوعة في مصر وليبيا

[246])- رسائل عديدة تتضمن جوابات الشيخ أحمد الشماخي على إبراهيم الغدامسي وجواب المحشي على صلاة الجمعة وجواب الشيخ عيسى بن أبي قاسم الباروني

1522م بعد حياة حافلة بالجد والنشاط في خدمة العلم والدين ودفن في مقربة مسجد تيواجن الذي يسمى مسجد الفقي بلقاسم وقبره معروف([247])

الشيخ قاسم بن سعيد الشماخي

أصيل قرية آجيم ولد في جربة سنة 1831م تعلم في مصر، جمع بين العلم والدين والدنيا والسياسة([248]) كان محل إكبار من علماء مصر ومن خديوي مصر توفيق باشا وكان من أشد العظماء على عرابي باشا فكان يحذره من أحداث فتنة في البلاد المصرية ويحذره من سوء العاقبة ويقف الشماخي أمام الجبابرة وينبه منهم الضال ويهابه الخاص والعام. لم يعترف باستيلاء فرنسا على تونس ولم يتخل لها عن تمثيل تونس إلى أن وافاه الأجل. كان قوي النظر بعيد الغور شديد العارضة قوي الإرادة.

كان الشيخ قاسم الشماخي كاتبا لامعا وعالما متضلعا واسع الإطلاع قوي الحجة فكتاباته تدل على غزارة علمه وقوة حافظته. له رسالة القول المتين في الرد على المخالفين([249]) وأنقل إليك رده على صاحب مجلة الإسلام يقول إن اختلاف الأيمة رحمة الله عليهم على فرض صحته لكن ليس بالمعنى الذي تقصده إنما الاختلاف المقصود يقع في التحصيلات لا في الشرعيات لأن مراد الرسول عليه الصلاة والسلام والله أعلم يقول (خير أمتي لأمتي أبو بكر ثم عمر وأصلبها في دين الله عمر وأمينها أبو عبيد بن الجراح وأقضاكم علي وأفرضكم زيد ابن ثابت وأقرؤكم أبي ابن كعب وأعلمكم بالحلال والحرام معاد ابن جبل وإن مع سليمان لعلما وعليكم بهدي عمار وبهدي ابن أم عبد أو كما قال عليه السلام لأن علوم الشريعة متعددة ومختلفة فثبت أن اختلاف الأيمة رحمهم الله من قبل هذه التحصيلات التي لا يمكن أن يحرزها واحد ولا يستقصيها واحد مهما بلغ في العلوم الغاية وأدرك من أقصاها الدراية وهذا الذي يدين به أهل الحق وأما اعتقادي الذي صرح به الشيخ أحمد علي الشاذلي الأزهري في مقاله ردا على المغرور إن الاختلافات إنما تقع على الفرق التي ابتدعت في دين الله ورأته دينا واعتقدته إنه من عند الله وقطعت عذر من خالفها وصارت بذلك من أهل النار إلا الفرقة المحقة لقوله عليه السلام (ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا واحدة ناجية) فقضى عليهم الرسول بالنار جميعا إلا فرقة أهل الحق([250]) وهذه قصيدة من نظم الشيخ قاسم الشماخي رثى بها الحاج سعيد ابن الحاج يحي الصدغياني يقول:

يصدق الظن أن كان في أملي ... إن الجواد طويل العمر في مهل
وخاب ظني به أن جاءني خبر ... إن المحب قضى نحبا على الأجل
خان اصطباري كما خان الزمان به ... وما حسبت بأن يقضى على عجل
وان نعتني نعاة الموت دب على ... جسمي سموم كما لو دب في الجبل
لذا يا أسفي ويا لهفي ويا حزني ... على الخليل الذي خلا عن الزلل
قد أحسن الله منه الخلق مع ... خلق سهل الطبيعة منقاد بلا وجل
لأنه حينما تلقاه مبتسما ... برق تقدم وقع الجود والبذل
برق السماء بماء العذب يمطرنا ... وبرقه بجزيل الفضل ذو بلل
ووجهه الورد فضاء يتلألأ به ... منور الوجه بهج الذات ذو حلل

---

[247])- زرت ضريحه صحبة الشيخ سالم بن يعقوب وبعض أعيان تيواجن في صائفة 1970م

[248])- كان الشيخ قاسم بن سعيد الشماخي نائب الدولة التونسية في القاهرة سنة 1262هـ في عهد المشير محمد الصادق باي صاحب المملكة التونسية

[249])- طبعت بمطبعة مجلة المنار الإسلامية بمصر سنة 1324هـ

[250])- رسالة القول المتين في الرد على المخالفين ص16

فخر الشمائل أذكى الفكر في أدب وفي المهابة كالضرغام في العطل([251])
قد قيس بالبحر في جود فقلبهم البحر يغرق ملكا أشحنت بحل
إن قيس بالبدر قلت فالبدر يطرقه وليس تنقصه الأسفار من كلل
ودأبه النصح للملهوف حيث أتى مشاورا خائفا ذو الكرب والخجل
ما خامر الهم قلبي منذ خالطني وقد كفاني شؤون الصعب والثقل
ما كنت أحسب أن البيت من مهواه غير ذوات الأعين النجل
ما كنت أحسب أن الدهر يمكر بي فكنت كالجمل المجرورة في الإبل
شهامة الرجال ولم أرى له مثلا في الحزم والعزم مع بعد عن الكسل
يتلو الكتاب كتاب الله مرتجيا جرا ووعدا بقلب خائف وجل
ما للمنية أحدثت لنا نغصا في العيش بل كربة في القلب تتصل
ما لي أرى شجر التفاح مفتحا ما لي أرى الورد لم يذبل ولم يحل
يا ويح نفسي ويا ويح الأحبة من يقيها من اعوجاج القول والعمل
فليس للعيش بعد فقده أبدا طيب ولا لذة الفور في المقل
ومن للمشائخ من للعلم يطلبه ومن يطالب حفظ الذكر ذي أمل
من للقناطر من للعدل من لهما من للقواعد والإيضاح ذى الحلل([252])

مدرسة تيواجن

الشيخ عمر بن جميع

عاش الشيخ عمر بن جميع في النصف الثاني من القرن السابع هجري الثالث عشر مسيحي. ولد الشيخ عمر وأخوه الشيخ عيسى بحومة والغ درس العلوم على الشيخ صالح المغراوي بمدرسة تجديت بقرية فاتو

---

[251])- العطل: مأوى الأسد

[252])- هذه القصيدة رثى بها صديقه المحسن الفقيه الحاج سعيد بن الحاج يحي يذكر ملازمته للدرس واعتكافه في المسجد مع جده واجتهاده في أعمال الدنيا والآخرة وملازمته بمسجد داوود نسختها من دفتر الشيخ سالم بن يعقوب

وتتلمذ على شيوخ بني يهراسن بجامع الكبير ثم ارتحل إلى منطقة الجريد([253]) لمواصلة دراسته على الشيخ أحمد الدرجيني لازم دروسه مجتهدا في طلب العلم فلما استكمل ثقافته عاد إلى جربة ينشر علمه ولم تذكر المصادر المساجد التي درّس فيها والراجح على الظن أنه درّس في مسجد تفروجين أو مسجد أبي كثير بمنطقة والغ لأنهما أقدم المساجد بالجهة اهتم بتثقيف الأمة أمر دينها وكان حريصا على تعليم الشباب اللغة العربية فقد نقل كتاب العقيدة من لسان البربرية إلى لسان العربية وهذا الكتاب يتحدث في موضوع العقيدة وهو متن من متون أصول الدين كان عمدة أهل الجزيرة يشتمل هذا الكتاب على ما لا يسع الناس جهله من مسائل التوحيد من الجمل الثلاثة وتفسيرها على منهج السلف وهذه الرسالة لم تتأثر بأساليب الفلسفة الكلامية وتتضمن معرفة صفاة الله ومسائل الولاية والبراءة ومعرفة المعصومين من الأنبياء وهم الذين أثنى الله عليهم في كتابه العزيز نصا وتلميحا وهم بذلك مقطوع بسعادتهم في الآخرة وبموتهم على دين الله المعبر عند أصحابنا بالعصمة.

كما احتوى هذا الكتاب على مسائل هي من قديم المسائل التاريخية فذكر الأنبياء الذين أرسلوا إلى الكافة وأولي العزم من الرسل والأنبياء ليكون المبتدئ على إلمام بما يتصل بالمسائل الدينية كما اهتمت هذه الرسالة ببيان حال المسلم في أطوار حياته الدينية وعلاقته بربه حتى يكون على بصيرة من أمر دينه ودنياه مهذب الأخلاق طيب السلوك كما تضمنت هذه الرسالة معرفة أحكام الملل وطاعة أولى الأمر من الأيمة العدول والتضحية في سبيل الحق لأجل الحق والتحلي بالكمالات الإسلامية ومعرفة الكبائر من الصغائر يقول البدر الشماخي في السير ص561: "كان أبو حفص عمر بن جميع إماما مشهورا وكان بين العلماء منظورا وإليه تنسب العقيدة التي كانت بالبربرية فأبدلها بلسان العربية وهي اعتماد أهل جربة وغيرهم. وهذه شهادة عظيمة تعرفنا بمرتبة المترجم ويمكن أن يقال أن هذه المقدمة هي آخر ما نقل عن البربرية إلى العربية من المؤلفات وهذا الطور طور التأليف بالبربرية من أهم أطوار التاريخ الإسلامي في شمال إفريقيا يدل على ما بذله أسلافنا من جهود كبيرة في هداية البربر إلى الإسلام وتمكينهم من فهم أسراره فجازهم الله عن الإسلام أحسن الجزاء ولم أقف على تاريخ وفاته والذي نعرفه توفي بجربة ودفن في مقبرة جامع بن جميع بوالغ الشمالية. أما الشيخ إبراهيم طفيش الذي ترجم لعمر بن جميع في مقدمة الكتاب المنسوب إليه "مقدمة التوحيد" يقول أنه أدرك بداية القرن الثامن وقد حدد بعضهم هذا سنة 737هـ.

الشيخ عبدالله بن سعيد الصدغياني

عاش عبدالله الصدغياني في النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر مسيحيا أخذ العلوم على شيوخ أبي مسور في الجامع الكبير ودرس العلوم الشرعية واللغوية على الشيخ أبي يحي فصيل بن أبي مسعود اليهراسني وعلى الشيخ زكرياء بن صالح اليهراسني تفرغ الشيخ عبد الله لنشر العلم والفتوى فتخرج من مدرسته نخبة منهم الشيخ سعيد بن أمغار والشيخ صالح بن نجم المغراوي والشيخ عبدالله بن سعيد الصدغياني. يقول الشيخ أمحمد بن زكرياء الباروني في طبقاته([254]) كان شيخ زمانه وهو

---

[253])- رسالة بن تعاريت ص54. منطقة الجريد: موطن أبي العباس أحمد الدرجيني المتوفى سنة 670هـ/1272م صاحب كتاب طبقات المشائخ بالمغرب

[254])- طبقات الباروني: محمد بن زكرياء (مخطوط بوادي ميزاب)

المقصود في حل المشكلات. وقال الشماخي : "كان شيخا فاضلا وهو مقصود في زمانه بجربة وله رسالة أرسلها إلى أهل ورجلان فيها الرد على المخالفين"([255]). يعرفهم فيها بحقيقة مذهبهم لأن أهل الخلاف في ذلك الزمان يحاجونهم فبعثوا يطلبون منه الجواب. رسالة طويلة اقتصرت على فقرة منها:"يقول رسول الله صل الله عليه وسلم (ما من نبي إلا وقد كذب عليه ألا وسيكذب علي من بعدي فما أتاكم من حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فهو عني وما خالفه فليس عني). وقال عليه السلام من كذب علي متعمدا فليتوء مقعده من النار"). وقال كيف أقول بخلافه وبه هدانا إليه وقال للسائل تعلم القرآن واعمل به قال الله عز وجل لنبيه (فاستمسك بالذي أوحي إليك) سورة الزخرف الآية 43. ونحن على ذلك ما أتانا من حديث وما بلغنا عرضناه على القرآن فما وافق كتاب الله أخذنا به ومن لم يكن في كتاب الله له معنى حملناه على حسن المذهب مثال ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن الله خلق آدم على صورته فتأولها المجسمة والمشبهة على هوى أنفسهم وقلنا نحن خلق الله آدم على صورته منذ كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينتقل من حال إلى حال.

نلاحظ في القرن السابع الهجري أن المشيخة تحولت من بني يهراسن إلى أسرة الصدغياني حيث تولى الشيخ عبدالله الصدغياني رئاسة مجلس العزابة فإليه يرجع الإشراف العام وكان زميله الشيخ صالح بن نجم المغراوي مهتما بالتدريس لإحياء ما اندرس من علوم الشريعة وبقي المغراوي أربعين سنة يدرس العلوم في مسجد تاجديت بفاتو تخرج عليه الشيخ يعيش بن موسى الزواغي حسب رواية الباروني في نسبة الدين كان الشيخ الصدغياني يشرف على نظام العزابة وعلى الأمور العامة للبلاد يتفقد المدارس العلمية ويراقب أوقاف المساجد ويحارب البدع وينشر الفضيلة ويقاوم الفساد ويتعهد المساجد وإصلاحها ويعين القائمين عليها ولم نقف على تاريخ وفاته رحمه الله.

الشيخ زكرياء بن أفلح الصدغياني

عاش زكرياء بن يفلح الصدغياني في القرن التاسع هجري الخامس عشر مسيحي ولد في حومة صدغيان درس العلوم على الشيخ عبدالله بن قاسم البرادي بمسجد وادي الزبيب وتتلمذ على أبي عمران موسى بن أيوب يعيش الجربي الزواغي في نفس المدرسة اجتهد الصدغياني في طلب العلم حتى بلغ درجة عليا جلس للتدريس في جامع لاكين تتلمذ عليه الشيخ يونس بن تعاريت وكان يلقي دروسه في العديد من مساجد الجزيرة وكان يهتم بإصلاح المجتمع يقاوم الفساد والانحراف ويصلح بين المتخاصمين ويقسو على الظالمين وكان مجلس العزابة ينعقد برئاسته بمسجد لاكين وقد وسعه أحد أجداده سنة 746هـ/1345م حسب ما نقش على رخامة به. له نظم في الفرائض عدد أبياتها أربعة وثمانون بيتا وقافيتها غير موحدة مطلعها:

الحمد لله العلي الباقي	سبحانه الواحد الخلاق
مصليا على النبي الأفضل	محمد والأنبياء والرسل
ثم الرضا عن الصحبة الأبرار	وعن مشائخ الهدى الأخيار
وبعد فالعلم أتى في فضله	ما لم يحط هذا الورى بنقله
إذ لا ترى أشرف منه حيث	لا يلقي أمرؤ بمثله رب العلى
لاسيما أن كان عاملا به	وقصد به لوجه ربه

[255])- سير الشماخي ص576. توجد نسخة من الرسالة في 22 صفحة بالمكتبة البارونية تحت عدد 556. كتبت سنة 1226هـ.

فكيف لا والجهل ضده فهل يأتي امرؤ يوما ولم يذل
رزقنا العلم إلاله والعلم به كما يحبه عز وجل
وإنني فاعلم رأيت النظم قد يحفظه ذو كسل والمجتهد
كما من النثر نراه أحظا لكونه سهلا وأبقى حفظا
فرمت توجيز الفرائض التي تقرأها الأشياخ للطالبة
فقلت ناظما بعون الله غير مفاخر ولا مباه
إن الفرائض بغير بين بين الورى تجرى إلى قسمين
لسبب وهو نكاح وولا ونسب كالعاصبات أولا
ثم ذي السهام والأرحام وهؤلاء الخلق فيهم نأمر
لكونهم يدلون بالقرابة إليهما وقفت للإصابة
فالعصبان أفهم هما الآباء كذاك الأجداد والأبناء
ثم بنو جميعهم أيضا وان شئت اختصار قلت فيهم كل من
يورث كل المال أو ما فضلت ذو السهام بعد ما قد حصلت
السدس والثلث ثم ضعفه والنصف والربع ثم نصفه

وله أرجوزة نظما في جمل الأعراض لم نقف عليها. يقول الحيلاتي أبو يحي زكرياء بن يفلح الصدغياني شيخ قديم الهجرة عالم وهو المقصود في زمانه بجربة وإليه المرجع في الفتوى وكان الصدغياني معاصرا لأبي العباس الشماخي قد غفل عنه ولم يذكره في سيره كان مشائخ الجزيرة يجتمعون في بيته يتشاورون في الأمور الدينية والسياسية يحضر هذا الإجتماع الشيخ عبدالله البرادي وأخوه الشيخ محمد وإبنه أبو زكرياء يحي وابن أخيه الشيخ سليمان بن إبراهيم بن قاسم البرادي والشيخ قاسم بن القاضي اليديسي وكان الصدغياني أعلم الجماعة إذ تمر به سلسلة نسبة الدين. توفي زكرياء بن يفلح الصدغياني ودفن بمقبرة مسجد معزوزين من الناحية الجوفية وقبره مشهور ومعلوم عليه روضة([256])

أبو النماء زايد بن عمر اللوغ الصدغياني

ولد الشيخ زايد اللوغ في جربة سنة 870هـ/1466م في حومة مزراية واللوغ أسرة معروفة إلى الآن بصدغيان مازال أثر منزلهم القديم بحومة مزراية مما يثبت أن أصل العائلة من هناك. درس العلوم على الشيخ يحي بن يعقوب اليزمرتني في مدرسة جامع بن يعلى درس في مدرسة جامع مدراجن بحومة مزراية كان في زمانه شيخ الحلقة وإليه الفتوى ولا يخرج الرأي إلا من عنده تقديرا له واحتراما لمقامه وذلك في زمن توليه شيخ الحكم بالجزيرة صالح السمومني وكان من عادة الشيخ اللوغ زيارة جميع المساجد التي على شواطئ الجزيرة مرتين في كل شهرين لخفر السواحل ومراقبة المرابطين بها للحراسة ومساعدتهم ماديا وروحيا خشية أن يداهمهم العدو بغتة وكان يرافقه الشيخ إلياس الهواري والشيخ قاسم بن سعيد اليونسي تبدأ هذه الرحلة من مسجد عمنا زايد اللوغ من صدغيان حتى يصلا إلى مسجد جمور ثم يواصلان السير إلى أن يبلغا مسجد الحارة جنوب ورسيغن فيقرآن القرآن في كل مسجد حتى يصلا إلى مسجد ويغلان بحومة بدوين ومسجد قالوز حتى يبلغا مسجد سيدي زكري وتلك عادتهما حتى وافهما الأجل فأخذ عنهما الشيخ سليمان بن عبدالله من أولاد أبي زيد الصدغياني هذه العادة وانقطعت هذه الزيارة بعد موته.

بنيت هذه المساجد على سواحل الجزيرة لقصد إقامة المرابطين بها ليلا لأن العدو هاجمهم مرة ليلا فأصبحوا أمام أمر واقع وبلغ عدد هذه المساجد أكثر من خمسة وعشرين لتعليم القرآن نهارا وإقامة الصلوات

---

[256])- رسالة بن تعاريت ص35

الخمس ليلا، بنيت من أموال أهل البر لأبناء الجزيرة لحماية وطنهم من هجومات النصارى وكان سكان جربة جنودا متطوعين لحماية بلادهم وكان مجلس العزابة ينعقد برئاسته لا يخرج الرأي إلا من عنده. توفي الشيخ زايد اللوغ في أوائل القرن العاشر هجري/16م رثاه الشيخ سليمان داود التلاتي أحد أعضاء حلقة العزابة.

جامع بوليمان بصدغيان

يرجع تاريخ بنائه إلى القرن الحادي عشر هجريا/السابع عشر مسيحي بنته أسرة بوليمان بحومة جعبيرة ثم وقع تجديده وتوسيعه على يد المحسن الحاج يونس بن يونس أحد أغنياء صدغيان([257]) في آخر القرن الثاني عشر هجري ظهر هذا المسجد كدرة في جبين الدهر ازدانت به الجزيرة في الفن المعماري يقع هذا المسجد بحومة صدغيان الجديدة لأن صدغيان القديمة كانت في غابة حومة مزراية وغيزن ولا يفصل بينهما إلا الحدود المعروفة بين الأحياء وكانت مساجدهم مشتركة يجتمعون فيها للصلوات الخمسة والجمعة والأعياد الدينية وعندما يحدث أمر هام يستدعي التشاور يعقدون اجتماعاتهم في أحد المساجد القديمة. انتقل سكان صدغيان إلى الجهة الجنوبية يتبعون الماء العذب الصالح لأنواع الأشجار المثمرة لأن هذه الجهة تنتج البقول والخضر والثمار وسكان هذه الجهة مجدون في الميدان الفلاحي والتجاري فتحوا أراضي جديدة كانت بورا فتكونت أحياء جديدة حول مسجد بوليمان ومسجد القايد ومسجد سيدي سعيد بن صالح فحفروا الآبار الحلوة وصارت هذه الجهة بها حدائق غناء بفضل المياه العذبة فهي من أخصب الجهات في الجزيرة لجودة تربتها وعذوبة مياهها.

قال الحيلاتي كان الشيخ عمر المكناسي مدرسا في مدرسة بوليمان قبل تجديده وضريحه بمرابط بلقاسم بغابة صدغيان.

---

[257])- كان للحاج يونس بن يونس أسطول عظيم يغزو به سواحل البحر المتوسط أدخل الرعب في قلوب الإيطاليين والأسبان لأنهما من لصوص البحر وله بمالطه مسجد ومقبرة لقد غنم أموالا طائلة سخرها في بناء المساجد وإصلاحها والإنفاق على المدرسين والطلبة والفقراء. بهذا المسجد عشرة بيوت للتلاميذ الغرباء. المصدر الحيلاتي والتعريتي

الشيخ موسى بن الشيخ علي الباروني

عاش الشيخ موسى بن علي الباروني في النصف الثاني من القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر مسيحي في حومة والغ درس العلوم على الشيخ أمحمد بن يوسف المصعبي بمدرسة جامع الكبير ثم حضر دروس الشيخ سليمان الشماخي بعد وفاة المصعبي ثم رحل إلى تونس فتتلمذ على مشائخ الزيتونة ولما انتهى من دراسته عاد إلى جربة فتولى التدريس بجامع بوليمان أقبل عليه الطلبة من جميع الجهات يأخذون عنه علم الشريعة وعلم البيان وعلم الأصول مات الباروني في مقتبل العمر فكانت وفاته خسارة للجزيرة توفي سنة 1234هـ ودفن في روضة الحاج عمر المكناسي قبلى جامع بوليمان بصدغيان.

الشيخ سعيد بن تعاريت

ولد الشيخ سعيدبن الحاج علي بن سعيد بن علي بن حمزة بن سعيد بن يونس بن يحي بن سعيد بن تعاريت سنة 1289هـ/1872م بجربة حفظ القرآن بجامع بوليمان ثم سافر إلى تونس لمواصلة دراسته بجامع الزيتونة سنة1306هـ/1889م درس علوم اللغة والأصول والفقه والتاريخ والمنطق وغيرها من العلوم. كان الشيخ سعيد ذكيا مجتهدا كثير المطالعة جيّد الفهم فصيح اللسان قوي الحجة له شجاعة نادرة ومعلوماته حاضرة إذا ناظر العلماء أفحمهم لسعة إطلاعه وقوة شخصيته تهابه العلماء. تخرج من جامع الزيتونة سنة 1312هـ/1894م وفي سنة 1314هـ/1896م سافر إلى جبل يفرن فدرس العلوم الفقهية والعقائد على الشيخ عبدالله الباروني في مدرسته ثم سافر إلى ميزاب وأقام بها ثمانية أشهر فدرس التفسير والحديث على الشيخ أمحمد بن يوسف طفيش في مدينة بني يزقن وكان الشيخ سعيد يخصص دروسا في اللغة والبلاغة والصرف يحضرها تلاميذ القطب الصغار.

عاد بن تعاريت بعد هذه الرحلة إلى جربة سنة 1317هـ/1899م اشتغل بالإشهاد والتدريس في مسجد بوليمان وجامع القايد بصدغيان وجامع

الكاتب بالمحبوبين وجامع القصابين بقلالة وهو ممن ضربوا في ميدان السياسة بسهم فكان عضوا في الحزب الدستوري القديم الذي أسسه الثعالبي سنة 1920م وكان انخراطه سنة 1921م/1340هـ حسب بطاقة اشتراكه الحاملة لرقم 342 والصادرة عن مركز تونس بإمضاء أمين المال حمودة المستيري والكاتب العام أحمد الصافي.

كان الشيخ سعيد بن تعاريت محبا للمطالعة مدمنا عليها يطالع ما يمكن أن تصل إليه يداه من كتب ومجلات وصحف. فكان كثيرا التردد على المكتبات العمومية كمكتبة الخلدونية ومكتبة العبدلية ولا تقتصر مطالعته على العلوم الدينية والأدبية بل كانت تشمل كذلك العلوم الصحيحة كالعلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية وعلم الجيولوجيا والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد السياسي وعلم الأخلاق والتربية. ونتيجة لتنوع مصادر ثقافته وإطلاعه على معارف عصره وتأثره الكبير بالحركة الإصلاحية تبلورت لديه مجموعة من الأفكار تكون مبادئ أساسية لتحقيق نهضة الإسلام والمسلمين. ويظهر ذلك في كتابه "المسلك المحمود في معرفة الردود" ويمكن تلخيص الخطوط العريضة لفكره الإصلاحي في:

- دعوة المسلمين إلى الإتحاد ونبذ الشقاق
- تنقية الإسلام مما علق به من بدع وأوهام
- تحرير العقل من قيود التقليد والجمود والتعصب
- الإقبال على العلوم العصرية.

وكان يشارك في جميع السهرات الدينية والسياسية يلقي الدروس والمسامرات في الجماهير الشعبية لا يهاب المستعمر. عاش كريما عزيزا يرد بقلمه ولسانه على كل منحرف ألف كتابا سماه المسلك المحمود في معرفة الردود([258]) بعد مناظرات مع بعض علماء طرابلس وغريان بالزاوية السنوسية خاصة والمطالع لمؤلفاته يدرك سعة إطلاعه وقوة حجته لإقناع خصمه.حررت هذه الترجمة المختصرة إعتمادا على ما سمعته من والدي المرحوم الحاج أمحمد بن يوسف الباروني. توفي الشيخ سعيد بن تعاريت ليلة الخميس في 13 أوت سنة 1936م/1356هـ.

الشيخ أمحمد بن تعاريت

هو الشيخ امحمد بن الحاج يوسف بن سعيد بن تعاريت صاحب تراجم العلماء .ولد الشيخ أمحمد بمشيخة صدغيان بجربة حوالي سنة 1294هـ /1874مدرس العلوم الفقهية في جامع الزيتونة فتحصل على شهادة التطويع ثم سافر إلى ميزاب لمواصلة دراسته العالية على الشيخ أمحمد طفيش في مدرسته كان الشيخ أمحمد فقيها عالما يرجع إليه الناس في المسائل الدينية وخصص درسا في جامع بوليمان للطلبة وعوام الناس كان خطيبا في جامع الشيخ بحومة السوق بعد وفاة الشيخ يوسف بن علي بن سعيد الباروني سنة 1924م. اشتغل بالإشهاد كان موثقا ماهرا مهابا من الجماعة محافظا على سيرة السلف وعندما أسس الإباضية مدرسة جامع الباسي بوالغ كان الشيخ أمحمد هو الناظر الذي يشرف على سير التعليم ويجمع الأموال لنفقة المدرسة والطلبة ولكن هذه المدرسة لم تعمر طويلا لقلة المال وضعف همة الرجال وانقسام الجماعة لأن نصف الجزيرة يريد أن تكون المدرسة بجامع بن يعلا لأنه يتوسط الجزيرة. فشلت هذه الحركة الإصلاحية لاشتغال الناس بالأمور المادية وفقدان مصلح كبير يقود الجماعة ولقد أصيب

---

[258])- مطبوع طبعة حجرية سنة 1321هـ/1898م ويشتمل على 265ص من الحجم المتوسط رد فيه على مفتي طرابلس الذي نسب إلى الإباضية باطلا ما لا يقولون به.

الشيخ امحمد بمرض ارتفاع ضغط الدم منعة من مواصلة نشاطه العلمي ، توفي رحمه الله بجربة في شهر أفريل 1949م/1369هـ.

جامع الباسي بوالغ

يقع في مشيخة والغ في الجنوب الشرقي لمدينة حومة السوق على بعد 6كلم ذو شكل مربع غير متساوي الأضلاع، فالواجهة الجنوبية الغربية تبلغ 52م والشمالية 55م والشمالية الشرقية 29م والجنوبية الشرقية 42م. يتكون من صحن مكشوف وبيتين للصلاة ومدرسة وضريح ومكتبة وملحقات، له 3 مداخل.

يعد هذا الجامع من أهم المساجد التي شيدت في نهاية القرن 12هـ. بناه الإخوة الحاج محمد والحاج سالم والحاج عثمان([259]) أبناء المرحوم الحاج يحي الباسي وسجلوا في لوحة رخامية النص الدال على الغرض من إقامة هذا الجامع والوحة مستطيلة الشكل بها عشرة أشرطة خطية مكتوبة بالخط النسخي. وعند انتهاء البناء أقيم حفل عظيم في 27 رمضان سنة 1198هـ حضره علماء الجزيرة وقدموا التهاني لأسرة الباسي على إنجاز هذا العمل الجبار وكان هذا المسجد فريدا في الجزيرة من حيث هندسته التركية فكان هذا المسجد درة ازدانت بها الجزيرة في الفن المعماري الأصيل وتولى الحاج سالم الباسي الإشراف على هذه المدرسة وكان أول المدرسين بها أبو القاسم بن عمر بن صالح الباروني بعد قيامه بالتدريس بجامع تيفروجيت

[259])- الحاج سالم الباسي كان يشتغل بالطب وعلم الصيدلة وأخوه الحاج عثمان له كتاب في علم البيان حسبما حدثني به سالم الباسي

الذي أخذ فيه مكانه ابنه الشيخ عيسى الباروني وبهذه المدرسة قسم للمبيت به إحدى عشرة بيتا للطلبة

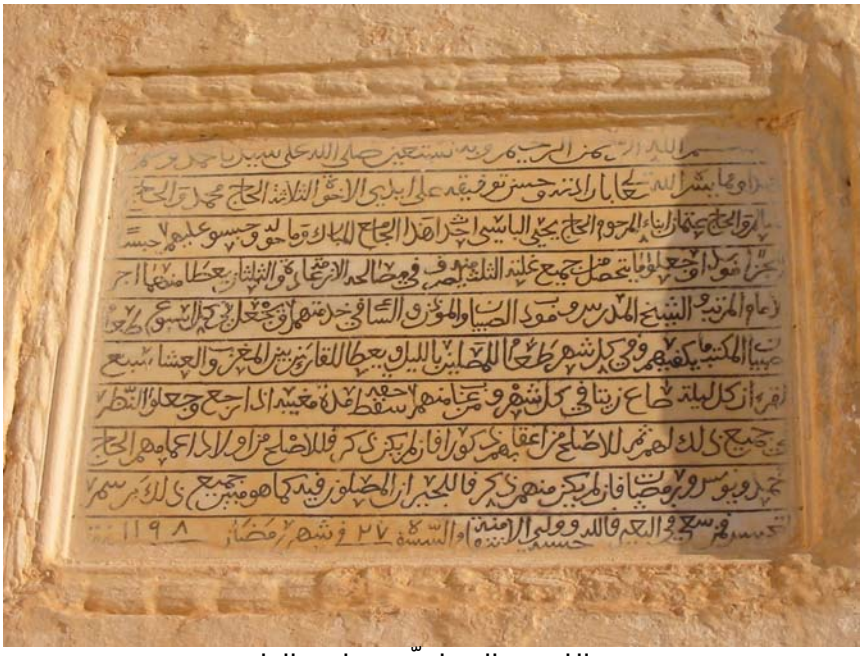

صورة اللوحة الرخاميّة بجامع الباسي

الشيخ عمر بن مرزوق

* صورة الشيخ عمر بن مرزوق بزيّ العزابة يتوسّط الشيخين أمحمّد بن يوسف الباروني (على يساره) و عليّ بن سعيد الباروني (على يمينه) في موكب إستقبال حمّام العرس بحومة صدغيّان سنة 1960.

ولد الشيخ عمر بن إبراهيم بن مرزوق في 10 أفريل 1892م بحومة والغ بجزيرة جربة. عاش يتيما فكفله أخوه حميدة وأدخله جامع الملاق فتعلم القراءة والكتابة وحفظ نصيبا من القرآن الكريم. ولما بلغ الثامنة من عمره سافر إلى مصر حيث يشتغل أخوه الأكبر حميدة وخاله حمودة بن قايد بالتجارة في قرية الفيوم فالتحق بهما وعمل معهما في التجارة وتعلم فنونها وفي يوم من أيام الصيف الحارة قصد صحبة أخيه حميدة النيل على متن بغلة للسباحة وما أن نزلا في الماء حتى جرفهما التيار صحبة البغلة وأشرفا على الغرق ولم ينقذهما إلا مصري صعيدي كان مارا فوق الجسر فلما أبصرهما

رمى بنفسه في النيل وانقذهما من موت محقق. ولما عادا إلى منزلهما أحس الشيخ عمر بألم شديد في عينيه فعرضه خاله حمودة على متطبب مشعوذ استعمل له أدوية أضرت به وفقد على إثرها بصره. أدخله خاله الكتاب بقرية الفيوم فحفظ القرآن عن طريق الملة في فترة وجيزة لما يتمتع به من ذكاء وقوة في الذاكرة وفصاحة في اللسان.

عاد الشيخ عمر إلى أرض الوطن ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس العاصمة. وعن عودته يروي الشيخ سالم بن يعقوب نقلا عن شيخه عمر بن مرزوق قوله :"لما أراد خالي أن يرسلني إلى تونس جاءني ليلة سفري وقال : قل لا إله إلا الله محمد رسول الله. قال:فقلتها. قال : كررها ثلاثا. ثم قال: قل بسم الله الرحمان الرحيم قال: فبسملت ثلاثا ثم طلب مني أن أمد يدي فمددتها، فبدأ يعد في يدي الدنانير حتى وصل العشرين جنيها مصريا وقال هذا من زكاة مالي. اللهم تقبلها مني."

دخل الشيخ عمر بن مرزوق جامع الزيتونة سنة 1913م فكد واجتهد في دراسته وتتلمذ على خيرة علماء الزيتونة فحفظ المتون بمساعدة بعض الطلبة وتلقى دروسا في الفقه والعقائد والأصول على الشيخ عمر العوام المتوفى سنة 1335هـ بمدرسة الإباضية بالهنتاتي بسوق اللفة.

روى الشيخ أبو الربيع سليمان الباروني([260]) متحدثا عن الشيخ عمر زميله في الدراسة عند زيارته إلى جربة سنة 1955م قال:"كان الشيخ عمر حاد الذكاء قوي الحافظة شغوفا بالدراسة حريصا على الاستفادة لا يترك الوقت يمر دون أن يستفيد منه. كنت أراجع له المسائل الفقهية واللغوية وأقرأ له المتون فيحفظها، لازمني مدة الدراسة لا يفارقني فكنت أساعده على مراجعة جميع الدروس."

لما أنهى دراسته بالزيتونة عاد إلى جربة وانتصب للتدريس والوعظ والإرشاد فنظم دروسا بمنطقة الرياض سنة 1342هـ حضرها عشرة من التلاميذ منهم الشيخ علي بن يعلى وفي أول محرم 1344هـ وبمناسبة الاحتفالات برأس السنة الهجرية انتظم حفل ديني ضم مشائخ منطقة آجيم وصدغيان تناول فيه الشيخ عمر بن مرزوق الكلمة فوعظ الناس وأرشدهم ثم حثهم على تعليم أبنائهم والتفكير في بعث مدرسة تكون وسطا يقصدها شباب الجزيرة كلهم لتعلم أوصول الدين والعقيدة. لقيت كلماته ترحابا من الحاضرين وتحمسوا للفكرة واقترح مشائخ منطقة بني ديس بعث هذه المدرسة بجامع بن يعلى بالرياض في حين اقترح مشائخ صدغيان ووالغ جامع الباسي بوالغ. واشتد الخلاف بينهما وأصرت كل جماعة على موقفها. وفي الأخير اتفق مشائخ آجيم ووالغ وصدغيان وقلالة على فتح مدرسة بجامع الباسي وتعيين الشيخ عمر بن مرزوق مدرسا بها وكلفوا الشيخ محمد بن تعاريت للسهر على إدارتها بجمع المال وترسيم التلاميذ في حين امتنع مشائخ منطقة بني ديس من إرسال أبنائهم ومد يد المساعدة لهذه المدرسة. وجمع الشيخ محمد بن تعاريت عشرة آلاف فرنك وخصصوا ثلاثة آلاف من الفرنكات في السنة للشيخ عمر بن مرزوق وأربعين فرنك لكل تلميذ.

انتظمت الدروس بمدرسة جامع الباسي في العقيدة والعلوم الفقهية واللغوية والتاريخ. حضرها جمع كبير من شبان الجزيرة نذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر الشيخ سالم بن يعقوب صاحب كتاب تاريخ جزيرة جربة من

---

[260])- أبو الربيع الباروني درس في جامع الزيتونة واشتغل بالقضاء في طرابلس له كتاب في التاريخ مختصر تاريخ الإباضية مطبوع بتونس أشرف على طبعه الشيخ محمد الثميني توجد نسخة منه في مكتبة الباروني

غيزن والشيخ يونس المثني والشيخ رمضان بن صالح المعدي وعمر بن رمضان بن جمعة من آجيم وعمر بن تازيري من سدويكش وعبدالسلام الدنقير وصالح بن احمد بن ميمون من والغ وينظم إليهم في العطلة الصيفية الشيخ عمر بن الحاج عمر من الماي وعمر بن تعاريت حيث كانا يدرسان بجامع الزيتونة بتونس أما الكتب المعتمدة في الدراسة فهي كتاب الوضع والمنظومة الجادوية في الفقه وشرح الشيخ خالد وكتاب القطر وغيره في النحو. أما عن نظام الدراسة فيروي الشيخ سالم بن يعقوب فيقول :"كنا نقيم بجامع الباسي خمسة أيام متتالية، تنطلق الدروس صباح يوم السبت وتنتهي مساء يوم الأربعاء بعد صلاة العصر نعود إثرها إلى منازلنا فنقضي يومي الخميس والجمعة. أما شيخنا عمر بن مرزوق فكان يأتي إلى المدرسة صباحا ويعود إلى منزله بعد العصر إلا ليلة الأربعاء فيبقى معنا للمذاكرة والمراجعة واستعراض ما حفظناه من أشعار وحكم واستدلالات تدريبا لنا على الوعظ والإرشاد. فكانت تلك الليلة من أنشط الليالي وأحبها لنفوس التلاميذ يستعدون لها استعدادا خاصا. وكان الفقيه أمحمد زكري مؤدب الصبيان بالجامع يشاركنا سهرتنا ويضفي عليها مسحة من المرح فينشط السهرة ويسدي إلينا النصيحة ويشجعنا على المثابرة والاجتهاد."

تواصلت الدروس بمدرسة جامع الباسي حتى أواخر سنة 1345هـ حيث انقطع بعض التلاميذ من أمثال الشيخ سالم بن يعقوب الذي سافر إلى بنزرت للتجارة صحبة شقيقه وتفرق الباقون وضعف النشاط وحل محله الخمول وشح أهل الخير بأموالهم على طلاب العلم.

أما الشيخ عمر بن مرزوق فكان يتنقل من مكان إلى مكان على عادة مشائخ الجزيرة يرشد الناس في المساجد والولائم والمآتم ويقاوم الفساد فقضى على ظاهرة الطبول والمزامير في الأفراح واستبدلها بسهرات دينية وعظية تتخللها مدائح وأذكار نبوية. يتمتع بأسلوب جذاب يشد إليه نفوس السامعين بإدخال النكت الطريفة وضرب الأمثال أثناء الدروس كما يتمتع بصوت جهوري جميل عند تلاوة القرآن الكريم وسرد قصة المولد النبوي الشريف واستقبال العريس بالقصائد عند الرجوع من الحمام وكثيرا ما يصحبه لهذه الأعراس ويردد معه القصائد والمدائح الشيخ أمحمد بن يوسف الباروني الذي تأثر كثيرا بالشيخ عمر بن مرزوق وحبب إليه هذا الفن الجميل وحمل عنه المشعل حتى وفاته سنة 1987م أما مترجمنا الشيخ عمر بن مرزوق فقد توفي في صبيحة يوم الثلاثاء 28 نوفمبر 1961م الموافق لـ20 جمادى الثانية 1381هـ ودفن بمقبرة أجداده بوالغ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فراديس جنانه إنه سميع مجيب.

الشيخ عمر العوام

ولد الشيخ عمر العوام بقرية آجيم جربة سنة 1860م حفظ القرآن مبكرا ولما رأى مؤدبه علامة الذكاء والنجابة نصح والده أن يرسله إلى مصر لمواصلة دراسته بجامع الأزهر نزل في مدرسة الإباضية في مصر قضى تسعة سنوات في دراسة العلوم النقلية والعقلية على علماء الأزهر ويحضر دروسا على شيخ المدرسة الإباضية فلما استوعب العلوم عاد إلى جربة فلم يطل به المقام لما سمع بدروس الشيخ أمحمد طفيش في ميزاب طلب من والده أن يواصل دراسته على هذا الإمام فرحل غير مبال بأتعاب الصحراء التونسية والجزائرية وما يلاقيه من أهوال الطريق قصد مدرسة القطب في بني يزقن لإتمام دراسته العالية في جميع العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه والأصول ودامت هذه الرحلة العلمية سبعة سنين ثم عاد إلى تونس واستقر في مدرسة الهنتاتي وقف الإباضية بتونس يدرس العلوم

لطلبة جربة وجبل نفوسة وميزاب الذين يدرسون بجامع الزيتونة غرس فيهم روح الإصلاح لأن نفسه الكبيرة كانت تحمل علما وصلاحا وزهدا وتقوى.

تلاميذه

من **ليبيا** الشيخ أبو الربيع سليمان الباروني وغيره ومن **ميزاب** الشيخ إبراهيم طفيش والشيخ محمد الثميني صاحب مكتبة الإستقامة بسوق العطارين والشيخ أبو اليقظان إبراهيم شيخ الصحافة الجزائرية والشيخ عمر بن مرزوق من **جربة** كان الشيخ العوام يسكن بنهج بوخريص زنقة كركوبة عدد5 وكان يخصص الطابق السفلي لاستقبال ضيوفه وإلقاء الدروس على التلاميذ وكان بيته ناديا للعلماء والأدباء والكتاب تخرجت على يديه نخبة من العلماء ورثوا علمه وصلاحه وإخلاصه. وفي فصل الصيف تتوقف دروس جامع الزيتونة ويعود التلاميذ إلى أوطانهم ويسافر الشيخ إلى مدينة غرادية بوادي ميزاب يلقي دروسا في مسجد المدينة يحضره عدد كبير من رجال الإصلاح وأهل الذكر ومرة يعود إلى مسقط رأسه فيجتمع حوله العلماء وطلاب العلم وأعيان البلاد حفاوة بمقدمه وإجلالا لعلمه يسألونه ويستفتونه كان له إطلاع واسع خاص بكتب الفقه مرة وقعت مشكلة في الرضاع فتوقف قاضي الجزيرة ولم يهتد إلى الحل فبعث إليه مجلس القضاء يستفتيه فأشار عليهم بالموضوع في كتاب كذا في الصفحة كذا وكان مصدر الفتوى في زمانه توفي رحمه الله سنة 1922م ودفن بمقبرة الجلاز بتونس العاصمة([261]).

مدرسة جامع القائد بصدغيان

[261])- أخذت هذه المعلومات من ابنه الحاج أحمد العوام التاجر بمدينة بنزرت سنة 1985.

أسس هذا المسجد في أواخر المائة الثانية بعد الألف هجري بناه القائد حميدة بن قاسم بن عياد هو مسجد عظيم به تسع بيوت كبيرة لإقامة الطلبة الغرباء.

الشيخ قاسم بن أحمد المثني

هو الشيخ أبو الفضل قاسم بن أحمد بن سعيد المثني ، ولد في قرية آجيم سنة 1170هـ اخذ العلم عن والده الشيخ أحمد بن سعيد المثني والشيخ صالح المثني ثم رحل الى مصر ولازم دروس الشيخ عمر بن رمضان التلاتي، درس العلوم بجامع الأزهر وفي مدرسة الإباضية بمصر وبعد أن أخذ حظه من العلوم اللغوية والفقهية عاد إلى جربة واشتغل بالتدريس في مسجد المثني في قرية آجيم ثم وقع تكليفه من طرف حميدة بن عياد مدرسا في جامع القائد بحومة صدغيان سنة 1205هـ. إجتمع عليه الطلبة يأخذون منه علم المنقول والمعقول له تقيدات في تاريخ أسرة بن عياد. لقد عاصر الشيخ قاسم عدة علماء منهم :الشيخ يوسف بن امحمد المصعبي المتوفي سنة1178هـ وابنه الشيخ امحمد بن يوسف المصعبي والشيخ أبو القاسم بن عمر الباروني وابنه عيسى وأخوه صالح بن عمر الباروني والشيخ محمد بن عبد الرحمان ماليو الفساطوي والشيخ سعيد بن يحي الشماخي.

مدرسة قلالة

الشيخ أحمد بن رمضان الغول

ولد الشيخ أحمد في آخر القرن الثاني عشر هجريا في قرية قلالة حفظ القرآن ودرس العلوم الفقهية على والده الشيخ رمضان في مسجد القرية ثم أرسله والده إلى مدرسة الجامع الكبير فحضر دروس الشيخ محمد بن يوسف المصعبي اجتهد الشيخ أحمد الغول في طلب العلم حتى صار عالما وتصدر للتدريس في قرية قلالة بمدرسة جامع القبليين وبعد وفاة الشيخ قاسم المثني دعاه حميدة بن عياد ليتولى التدريس بجامع القائد فتحمل هذه المسؤولية على أحسن الوجوه فنشط في نشر العلم وهداية الناس بلسانه وسلوكه فكان يحضر دروسه عدد كبير من الطلبة بقي مدرسا إلى أن وفاه الأجل سنة 1234 هجري اثناء أداء مناسك الحج . كان مرجع الفتوى في زمانه يقول في أحد فتاويه: تأملت سؤالك أعلاه كاملا شافيا وأمعنت النظر فيه فوجدت ما أفتى به الشيخ عيسى الباروني صحيحا في هذه النازلة لإقرار البائع على نفسه بما ذكر فإن إلزامه صحيح ما أخذ به كالإقرار بل هو إقرار قال عليه الصلاة والسلام (يؤخذ المرء بإقراره) وإقرار الرجل على نفسه بما أقر أعظم من الشهادة عليه كما ذكر في محله بحيث أن الإقالة المذكورة موقوفة على البائع المذكور دونه وعليه بما أفتى به فهو صحيح لموافقته القواعد الشرعية والسلام من كاتبه الفقير إلى ربه أحمد بن رمضان الغول.

الشيخ سعيد بن الحاج علي بن سعيد بن علي بن حمزة بن تعاريت

ولد الشيخ سعيد بن تعاريت سنة 1289هـ/1872م بصدغيان حفظ القرآن في جامع بوليمان أرسله والده إلى الجامع الكبير بالحشان فدرس العلوم الشرعية واللغوية على الشيخ سعيد بن عيسى الباروني ،أرسله والده الى جامع الزيتونة سنة 1306هـ/1889م وهو في السابعة عشر من عمره ،له اهتمام كبير بدراسة التاريخ فكتب رسالة في تاريخ علماء الجزيرة وذكر فيها أمراء أسرة السمومني وأسرة بن جلود بدأ رسالته بترجمة الشيخ

أحمد بن سعيد الشماخي ثم انتهى بترجمة مختصرة للشيخ إبراهيم بن صالح المصعبي الآجيمي وتحدث عن نظام العزابة من عهد الشيخ سعيد بن علي يامون إلى عهد شيخه سعيد الباروني ذكر لنا المجامع العلمية التي تعقد في مساجد الجزيرة وقد دأب المشائخ على عقد هذه المجالس إلى عصرنا هذا كان العلماء في العصور الماضية يعترفون للمتفوق علميا فيسندون إليه الرئاسة وكانوا يمتازون بغزارة العلم وحسن الخلق وسلامة الصدر ومحبة الإخوان ورعاية المصلحة العامة فيعترفون لأصحاب الفضل والسبق بفضلهم فلا يقع بينهم خلاف يقول بن تعاريت:"تجدهم مع غزارة علمهم وجلال قدرهم لا يستغنون عن بعضهم إذا نزل بهم أمر يجتمعون على أكبرهم سنا يوقرونه ويلتمسون منه الرأي" ويقول سلامة الجناوني وقع لعزابة جربة اجتماع عند شيخنا أبي النجاة يونس بن تعاريت سنة916هـ ليروا رأيهم بين يديه لما علموا من حسن الرأي الناجح على يديه" ويقول ابن تعاريت يجتمع أبو النجاة يونس هو وأكابر مشائخ عصره إذا نزلت بهم نازلة عند عمنا سعيد يامون لقدم هجرته أي أسبقهم في الدخول إلى مجلس العزابة وكثرة بركاته ويخرج الرأي من جميعهم. ويحدثنا بن تعاريت عن انتقال مجلس العزابة من أسرة الصدغياني إلى أسرة يامون إلى أسرة بن تعاريت بين ثلاثة مساجد الجامع الكبير وجامع لاكين وجامع وادي الزبيب لتقريب السلطة من المواطن ويقول بن تعاريت عند الحديث عن أبي عبدالله بن أبي حفص بن أبي ستة كان مجلسه في جامع لاكين بغيزن له مقصورة يجلس فيها الممتنع عن الحق حتى يذعن لحكم المجلس. وانتقل بك أيها القارئ إلى بعض الأحكام التي صدرت عن مجلس العزابة بجامع لاكين :

حكم في الطلاق

حضرت لدى المجلس بجامع لاكين المرأة سليمة بنت علي بن ميمون وذكرت أن زوجها عبدالرحمان بن محمد العويصي غاب عنها مدة تزيد عن سنتين وأثبتت ذلك بشهادة شيخنا أمحمد بن أحمد الباروني وعبدالرحمان شيوشيو وأشهدت بعد ذلك أنها أخذت بشرطها وطلقت نفسها بتاريخ جمادى الأولى سنة 1090هـ فأذن لها المجلس أن تطلق نفسها.

حكم في النفقة

حضرت المرأة تومانة ابنة زكرياء الصدغياني وطلبت فرض نفقتها على زوجها صالح بن محمد العايب وفرض لها مجلس العزابة المنعقد بجامع لاكين بغيزن في كل شهر إثني عشرة ثمنية حبا وثمن قمحا أو قصبا ونصف صاع زيت وأربعة نواصر لحما أو سمكا وعباءة وقميصا وما يكفيها من الغطاء والفراش وتوسيعة المواسم في كل سنة كتب بتاريخ 8 ذي القعدة 1104هـ. وهذه وثيقة قديمة بها بيان فرض النفقة بجربة الذي حكم به مجلس العزابة حسب الأعوام

1) إذا بلغ الطفل السنتين تكون نفقته ثمنيتان وربع صاع من الشعير وثمن ريال.
2) لمن له ثلاثة أعوام ثمنيتان ونصف ثمنية نواصر وثمن ونصف زيت.
3) لمن له أربعة أعوام ثلاث ثمنيات وثلاثة أثمان صاع زيتا وثلاثة خرارب من الريال.
4) ولمن له خمسة أعوام ثلاثة ثمنيات ونصف وثلاثة أنصاف ونصف زيت و11 ناصري.
5) ولمن له ستة أعوام أربع ثمنيات ونصف صاع شعير وربع ريال.

6) ولمن له سبعة أعوام أربع ثمنيات ونصف شعير ونصف صاع ونصف ثمنة زيتا وربع ريال وناصري ونصف.
7) ولمن له ثمانية أعوام خمس ثمنيات ونصف وخمسة أثمان ونصف زيت وخمسة خرارب.
8) ولمن له تسعة أعوام سبع ثمنيات وسبعة أثمان الصاع زيت وسبعة خرارب ريال.
9) ولمن له عشرة أعوام ثمانية ثمنيات كاملة وصاع زيت ونصف ريال.

الشيخ سليمان بن أمحمد الباروني

اشتهرت أسرة الباروني بحومة والغ برجال العلم تخرج منها أعلام سادوا في زمانهم. عاش الشيخ سليمان الباروني في أول القرن الثاني عشر هجري. حفظ القرآن ثم حضر دروس الشيخ أمحمد المصعبي بمدرسة الجامع الكبير فدرس عليه علوم العربية والإسلامية ثم سافر إلى مصر لمواصلة دراسته بجامع الأزهر وفي مدرسة الإباضية. فاجتهد في تحصيل العلوم العقلية والنقلية من خيرة علماء مصر ثم عاد إلى جربة ينشر علمه وصلاحه في عديد المساجد تخرج عليه عدد من العلماء منهم تلميذه الشيخ عمر التلاتي الذي رثاه بقصيدة وقد اشتهر بالعلم والصلاح والزهد تولى رئاسة مجلس العزابة وقد وجدت وثيقة من أحكامها "هذا ما حكم به الشيخ سليمان بن أمحمد الباروني رئيس مجلس العزابة المنعقد بجامع ليمس بقرية آجيم بموافقة الشيخ عمر بن قاسم الباروني وهذا نص الحكم:
" الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد فقد بلغ إلينا بالمجلس الشريف العقد المسطر بباطنه فتأمل فيه فقهاء المجلس المذكور تأملا شافيا على ما ذكر فيه فوجدته تاما صحيحا يقضى به ويحكم بمضمونه ولا يقدح في شيء منه وأذن بنقله والعمل به بتاريخ أواسط محرم سنة 1146هـ. هذا الحكم تصحيح لحكم صدر من هيئة علمية اجتمعت في مدينة نالوت بطرابلس فنظرت في إثبات الحقوق وعقود البيع والرهن وكان العمل في الماضي جاريا على قبول شهادة أمين واحد ومعه جماعة من العامة المجهولة عدالتهم فوقع اتفاق العلماء على عدم قبول الشهادات المجهولة عدالتهم والعمل بشهادة رجلين أمينين ولا يصح العمل بشهادة واحد أمين ومعه جماعة غير أمناء حضر الاجتماع بنالوت الشيخ سعيد بن يحي الجادوي والشيخ يوسف بن أمحمد المصعبي والشيخ علي بن سالم بن بيان والشيخ زكرياء الباروني والشيخ عمربن صالح الباروني والشيخ أمحمد بن يوسف الباروني وكثير من علماء جبل نفوسة وجملة من الأعيان والعدول بجربة. وله عدة أحكام مسجلة في كتاب مخطوط به مجموعة من المسائل التي أفتى بها الإمام عبدالوهاب منها على سبيل الذكر:
"الحمد لله سئلت عن مسألة رجل أذن رجلا أن يبيع من أصوله بقدر ما يقضي به الديون التي عليه بيع إقالة مطلقا فعمد المأذون له إلى الوصول وباع منها للمشتري منه بيع إقالة بشرط أن يستغل المشتري في المبيع ستين سنة أو يزيد فهل هذا الشرط باطل أم صحيح ؟ فأجبت بعون الله وقوته أن هذا الشرط باطل لا يصح لكونه ضررا على صاحب الأصل قصد المأذون إلى شيء لم يجعل له خصوصا حيث كانت هذه الأصول محبسة فلا يجري فيها هذا الشرط على كل واحد فليس للمأذون له مجاوزة وتعد والحالة هذه إلى هذا الشرط والسلام من كاتبه عبدالله بن سعيد الجادوي. الحمد لله فأجاب الشيخ أعلاه حفظه الله صحيح موافق للنص الصريح وبمثله أجيب وعلى الله

توكلت وإليه أنيب كتبه الفقير إلى ربه الغني سليمان بن أمحمد الباروني وفقه الله أمين."

الشيخ أمحمد بن سليمان الباروني

عاش الشيخ أمحمد الباروني في العقد الثاني من القرن الثاني عشر هجريا أخذ العلم على والده الشيخ سليمان الباروني ثم أرسله إلى مدرسة الجامع الكبير فتتلمذ على الشيخ سليمان الشماخي وكان مما أفاد الناس ولم نقف على آثاره وكان أقل علما من والده.

الشيخ علي بن أمحمد بن سليمان الباروني

عاش الشيخ علي الباروني في العقد الرابع من القرن الثاني عشر هجري في حومة والغ درس العلوم على جده الشيخ سليمان وعلى والده أمحمد الباروني وعلى الشيخ سليمان الشماخي بالجامع الكبير فاجتهد في التحصيل على العلوم العقلية والنقلية حتى صار علما. كان مدرسا بجامع الشيخ بحومة والغ ينسب هذا المسجد إلى الأمير سعيد بن موسى بن جلود حاكم الجزيرة وكان الشيخ علي خطيبا بجامع الشيخ بحومة السوق الذي بناه الشيخ صالح السمومني أمير جربة وكان الشيخ علي الباروني يتصف بالجد والصراحة والصرامة في الحق شديدا على العصاة لا تأخذه في الله لومة لائم ولم نقف على تاريخ وفاته.

علماء أسرة البغطوري

مقرين بن محمد البغطوري

اشتهرت هذه الأسرة بالعلم والصلاح فكان جدهم العلامة مقرين بن محمد البغطوري أحد الأشياخ الذين تمسكوا بالعلم واتبعوا الطريق المستقيم وهو ممن حفظ على المذهب وحافظ على السيرة وهو أحد المؤلفين لسيرة من قبله من أشياخ جبل نفوسة وألف في الفقه وقد أشار لترجمته الشيخ أحمد بن عبدالرحمان الشماخي في كتابه السير والشيخ مقرين بن محمد البغطوري من جبل نفوسة ومن علماء القرن السادس الهجري وقد فرغ من تأليف كتابه سيرة أشياخ نفوسة في أواخر شهر ربيع الثاني عام 599هـ 1202م والكتاب له صلة بالتاريخ العلمي لهذه المنطقة وهو على نمط ومنهاج كتاب المناقب وكتابه يعد من المراجع للباحثين ودراسته لون من ألوان العطاء الفكري. أخذ هذا العالم العلم عن الشيخ أبي يحي توفيق الجناوني وعن الشيخ أبي محمد عبدالله ابن محمد لأنه كثيرا ما يروي عنه السيرة والأخبار وله عدة فتاوى.

الشيخ أحمد بن عمر بن أحمد البغطوري

ولد الشيخ أحمد بن عمر البغطوري بحومة والغ سنة 1180هـ تقريبا حفظ القرآن بجامع الجديد قرب منزله. انتقل إلى مدرسة الجامع الكبير فدرس العلوم الشرعية واللغوية على الشيخ يوسف المصعبي حتى أصبح من أعلام الجزيرة اشتغل بالتدريس في عدة مساجد أولا في الجامع الجديد ثم بمسجد بوكثير بحومة تغديمس وجامع الكبير بالحشان ومسجد بني لاكين بغيزن. يخصص يوم الأحد لرئاسة مجلس العزابة وخلف شيخه في مجالسه العلمية فكان محل فتوى يفض المشاكل بين المتخاصمين ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وينصح الأمة وقد تخرج عليه عدد من العلماء قال بن تعاريت

: كان عالما أديبا حسن السيرة عمّر طويلا حتى عجز عن النشاط وضعف بصره فترك الدرس ولازم بيته إلى أن توفي سنة 1296هـ.

الشيخ عمر بن الشيخ أحمد البغطوري

عاش الشيخ عمر البغطوري في العقد الثالث من القرن الثالث عشر هجري درس العلوم على الشيخ سعيد بن عيسى الباروني بالجامع الكبير بالحشان بجربة ثم سافر إلى تونس فدرس على شيوخ الزيتونة ودرس كذلك على والده الشيخ أحمد البغطوري. تولى التدريس بالجامع الجديد بوالغ وجامع بوكثير بتغديمس كان معاصرا للشيخ أبي إسحاق الوالغي نفع البغطوري البلاد والعباد بعلمه وصلاحه فكان رجل الفتوى في زمانه توفي في أوائل القرن الرابع عشر هجري.

الشيخ يحي بن يعقوب اليزمرتني

يرجع نسبه إلى قبيلة يزمرتن بجبل نفوسة كان الشيخ يحي علامة زمانه متفننا في جميع العلوم وكان مدرسا بجامع مدراجن بمزراية وهذه قطعة من نظمه يقول:

ما لمساجدكم أموالها وضعت ... في غير موضعها من أهلها منعت
كلا لقرائها ومن يعمرها ... بعد مصالحها للذكر قد جعلت
لا تضعوا الشيء في غير موضعه ... فتظلموها ديار الظلم قد خربت
يا من سعى في خرابها دونكم ... خزي من الله في الدنيا فلا نعمت
أفي خصوص مساكن النساء أرى ... أهل المروءة أهل العلم قد حجبت

وكان الشيخ يحي مرجع الفتوى في زمانه. سأله الفقيه موسى بن عامر بن يحي التندميرتي فأجابه الشيخ يحي في رسالته: سيدي قد بلغني سؤالك عن مسائل ليس المسؤول عنها بأفقه من السائل وأحق الناس بأن يسأل عنها في هذا الزمان أقربهم إليك في ذلك المكان لأمانة العلوم فيها ودرايتي بطول الممارسة ولكن قد يطلب الغائب ويترك الحاضر وبذلك يقول الشاعر:

فموت نزيل الغيث والغيث خلقت ... وتطلب ما قد كان في اليد بالرجل
وذي علة يأتي الطبيب ليشفى به ... وهو جار للمسيح ابن مريم

أذكر ما لاح لذهن عقيم وسبق إلى فهم سقيم فأن أصبت فبتوفيق الله تعالى وهو المشكور وإن أخطأت فأنا استغفر الله وهو العزيز الغفور ولابد من تقييد ألفاظ السؤال أولا تقول: ما وقفت عليه من الفقه الذي ضمن المصنف بعضه البيت فإني تأملت في بعض الأبيات من كتاب الدعائم فوجدتها عويصة التقرير صعبة التقدير مشكلة التفسير حملت ثقلا لأجلها والأبيات المشار إليها هي هذه الأولى قوله: ويشهد بالإفادة مع يمين البيت الثاني قوله ليبرق شمته في عارض البيت الثالث قوله وفوضت العلوم فريضة البيت بيان الأشكال الأولي وذلك أن ظاهر البيت يعطى أن المظاهر من إمراته إذا كف عنها وأراد الإفادة فامتنعت عنه بوجه من وجوه الامتناع أن عليه أن يشهد شاهدين حسبما يقتضيه لفظ المعية وليس هذا المقصود إذا لم يقل به أحد وإنما المقصود أن يشهد شاهدان فإن عدم يلزمه حينئذ اليمين وبأن الإشكال في البيت الثاني أن الأهم فيه يؤول إلى تشبيه الشيء لنفسه وهو ممنوع جدا ثم قال في البيت الثاني أو كلمع البرق فشبهه بنفسه كما ترى في بيان الإشكال في البيت الثالث ظاهر وأشكالها معنى وإعرابا وتقديرا فالمطلوب منكم أن تتكلموا لنا عليه باعتبار تفسير غريب ثم باعتبار مفردها ثم باعتبار تقديرها على الجملة انتهى.

وأما الفقه فقد نقل صاحب كتاب الضياء في باب الإيلاء وذلك أن البيت في حكم الموالي لا في حكم المظاهر كما قيل في السؤال ما نصه :" وينبغي له إذا بدأ أن يجيء إلى زوجته ويطأها وان كان مريضا أو مسافرا أو في أمر لا يمكن أن يفيء إليها وقيل أنه يشهد قد فاء إلى زوجته ولم يمنعه من وطئها إلا ما هو فيه. أما المريض فقيل أنه يلمسها في فرجها بيده "(نقلت هذه الرسالة من ورقة متآكلة).

أسرة الويراني

اشتهرت أسرة بني ويران في القديم بالعلماء وهي أسرة كبيرة فرع منها يسكن قرية آجيم وفرع يسكن قرية سدويكش وقد تجاوز عدد علمائها العشرة وأكثرهم من قرية آجيم. أغزرهم علما الشيخ قاسم بن يحي الويراني الذي ولد في قرية آجيم في أول القرن الحادي عشر الهجري له شرح على النونية وغيره اشتغل بالتدريس في أحد مساجد القرية توفي سنة 1073هـ/1662-1663م بجبل غمراسن بمرض الوباء.

الشيخ عمر بن علي الويراني

ولد في قرية سدويكش في أول القرن الحادي عشر هجري كان علامة عصره له عدة كتب:

1- حاشية على كتاب البيوع من الإيضاح

2- حاشية على كتاب النكاح وله تقارير في علم المنطق أودعها في كتاب لم يقدر أحد على فكها ولا على فهم معانيها فهي كالألغاز عرضت على عالم مصري أتى زائرا إلى جربة فلم يفهم معانيها قال متعجبا ما أعلم صاحبها

3- رسالة في مناسك الحج قام بتحقيقها وطبعها الشيخ محمد خليفة مادي من جبل نفوسة

ولهذه الأسرة مسجد بحومة السوق يسمى باسمها وتغير الآن اسمه عندما نزل به المؤدب بوعكازين عنان فصار ينسب إليه. توفي الشيخ عمر الويراني سنة 1060هـ/1650-1651م ([262]).

الشيخ يونس المثني

[262])- تعليق للشيخ سالم بن يعقوب على رسالة الحيلاتي حيث ذكر هذا المسجد بحومة السوق بمنطقة الجوامع.

ولد الشيخ يونس بن قاسم المثني في قرية آجيم سنة 1909م حفظ القرآن في كتاب مسجد المثني المنسوب إلى أسرته ،أخذ العلم عن الشيخ رمضان الليني بمدرسة جامع ليمس ولما تجاوز سنه ستة عشر عاما أرسله والده إلى مدرسة جامع الباسي بحومة والغ سنة 1345هـ/1926م فحضر دروس الشيخ عمر بن مرزوق في اللغة والفقه والعقائد والسيرة ولما تعطلت الدروس أرسله والده إلى جامع الزيتونة سنة 1346هـ/1927م فدرس العلوم على خيرة علماء المعهد وحضر دروس الشيخ الطاهر بن عاشور والشيخ محمد الزغواني والشيخ الصادق النيفر والشيخ بن يوسف وغيرهم وكان يحضر دروس الشيخ إبراهيم طفيش والشيخ محمد الثميني والشيخ إبراهيم أبو اليقضان في دار البعثة الميزابية في باب الحجر وفي مدرسة الهنتاتي بتونس وفي هذه الفترة من عمره فقد الشيخ يونس بصره. اجتهد في طلب العلم معتمدا على زملائه من أبناء القرية في مذاكرته ومراجعته لجميع الكتب الدراسية والذي ساعده على تحصيل العلم ذاكرته القوية قضى سنوات يدرس العلوم العقلية والنقلية في جامع الزيتونة ويحضر دروسا ليلية على الشيخ الثميني صحبة زميله الشيخ سالم بن يعقوب وبعد أن أتم دراسته واستكمل ثقافته عاد إلى جربة فعين إماما في جامع أبي العباس بقرية آجيم فأخذ ينشر علمه على تلاميذ القرية وطلبة من جبل نفوسة وتلاميذ من دخلة ورغمة ثم انتقل الشيخ يونس إلى مسجدهم بجامع المثني فأقام به خمسة سنوات وطلب منه سكان آجيم الانتقال إلى جامع ليمس ومنحوه أرضا حيث بنى مسكنه جوار المسجد حتى يسهل عليه التنقل وكان ذلك سنة 1940م وفي هذا الوقت فتح باب الادعاء إلى الدخول إلى جامع الزيتونة فتتلمذ عليه عدد كبير من الشباب من **ليبيا** الشيخ عمر بن إبراهيم الباروني والشيخ عاصم الباروني والحاج خليفة الشيباني الطمزيني ومن **جربة** الشيخ الصادق المصدع والشيخ قاسم قوجة والشيخ بشير قوجة والشيخ محمد النالوتي وغيرهم تقدموا بعد ذلك لإجراء الامتحان بتونس فخول لهم الدراسة بالسنة الثالثة أو الرابعة من التعليم الزيتوني وتمكنوا بذلك من اختصار مدة الدراسة بجامع الزيتونة التي تدوم الدراسة فيه سبعة سنوات يتخرج الطالب بشهادة التحصيل ومن أراد الزيادة ثلاثة سنوات تعليم عالي يتخرج حاملا شهادة العالمية في الآداب والشريعة وأصول الدين وكان تلاميذه الكبار الذين أشرفوا على نهاية الدراسة يعودون في الصيف يساعدونه في تعليم بعض المواد كالهندسة والحساب والجغرافيا والتاريخ منهم الشيخ عمر الباروني وغيره

وفي سنة 1947م ازداد إقبال التلاميذ على تلقي العلوم على الشيخ يونس المثني واقبل عليه طلاب العلم داخل الجزيرة وخارجها يقضون عامين أو ثلاثة ثم ينتقلون إلى تونس فكان له الفضل في تكوينهم الأول ولم يقتصر المثني على تعليم الشباب بل تعداه إلى نشر مبادئ الدين الإسلامي في عديد المساجد بآجيم وقلالة وفي الولائم والمآتم والمواسم الدينية والأعياد ولم يكن له في كل ما يعمله أجر معيّن أو راتب شهري بل كان لوجه الله وقبل وفاته بعامين قام بنشاط اجتماعي محمود إذ أصبح عضوا في فرع منظمة الإتحاد القومي للمكفوفين بجربة وهكذا قضى الشيخ يونس حياته في نشر العلم في مجتمعه وكون أجيالا يعملون الآن في التدريس وفي سلك القضاء والمحاماة وافاه الأجل في 12 ماي 1965 بمستشفى جزيرة جربة ودفن بقرية آجيم رحمه الله([263]).

---

[263])- قمت بزيارة الشيخ يونس المثني بجامع ليمس صحبة الحاج سعيد العطفي من قرية العطف أحدى قرى وادي ميزاب وذلك في أوائل سنة 1965م

مدرسة جامع بن يعلى

أسسه عبدالرحمان ابن المعلا أصله من وادي أريغ في أواخر القرن 5 هـ/11م وهناك رواية تقول أن أسرة بن يعلا من ذرية الإمام أبي خزر يغلى بن زلتاف الإمام المتكلم المشهور الذي كان يناظر علماء الفرق في مجلس السلطان أبي تميم المعز لدين الله العبيدي بمدينة القيروان في أواسط القرن الرابع الهجري أيام دولة العبيديين ويقول الحيلاتي في رسالته أن أسرة الزنكري بحومة الأرباح أصلهم من عائلة التغزويسني بحومة جعبيرة وان أسرة بن يعلا فرع من أسرة الزنكري ولما أراد المعز الفاطمي الانتقال إلى مصر أخذ معه العلامة أبا يغلى زلتاف فانتقل معه إلى مصر مضطرا وقد جعله بمصر مكرما ومقربا على بقية أقرانه من علماء مصر والشام يحضر مناظراتهم ومجالسهم العلمية ومعه ابنه عبدالعزيز. استوطن أبو يغلى مصر إلى أن توفي بها وهو من إباضية الحامة فان صحت هذه النسبة فان بن يعلى أصله من ذرية يغلى بعد إبدال الغين عينا ولم أعلم فيهم من ينسب للعلم في الماضي إلا الفقيه سليمان بن قاسم بن يعلى المتوفي سنة 1241هـ والشيخ رمضان بن أحمد بن يعلى الذي حضر المجلس العلمي المنعقد بحامع ليمس بقرية آجيم سنة 1146هـ وهو من المتأخرين.

الشيخ علي بن عمر بن يعلى

ولد الشيخ علي بن عمر بن يعلى سنة 1320هـ/1902م تقريبا بحومة بني ديغت حفظ القرآن الكريم في مدرسة بن يعلى على والده الحاج عمر بن يعلى واصل دراسته في جامع الزيتونة على خيرة علماء تونس فنال شهادة التطويع سنة 1355هـ/1935م ولما أنهى دراسته عاد إلى الجزيرة فتولى التدريس في مسجدهم بعد وفاة الشيخ سعيد بن أحمد الباروني ثم تولى إمامة الجمعة فكان مرجع الفتوى في جهته وله دروس في مساجد أخرى كمسجد تيواجن والمسجد القبلي بقرية قلالة وتولى الإشراف على وقف مسجدهم ولم يشتغل بالوظيفة بل اختار العمل الحر وفضل توعية عامة

الناس يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في جميع المناسبات ويخصص درسا للعموم بعد صلاة الجمعة ويلقي دروسا في الوعظ والإرشاد في الولائم والمآتم ويحضر الجلسات العلمية التي تعقد بجامع الشيخ بحومة السوق ليلا لدراسة كتب التفسير والفقه والحديث وإبداء الرأي في مسائل دينية وأسئلة توجه إلى المجلس وقد حضرت هذه الجلسات في بداية الخمسينات حيث كان يتركب المجلس من الشيخ عمر بن مرزوق والشيخ سالم بن يعقوب والشيخ علي بن يعلى والشيخ قاسم بن تعاريت والشيخ يوسف الباروني والفقيه حميدة الباسي وجمع من التجار منهم الحاج محمود الهواش والحاج محمود ريحان وإمام المسجد الفقيه زايد بوقاندة. قضى الشيخ علي بن يعلى بقية عمره يوجه الناس ويعلمهم أمر دينهم إلى أن وافاه الأجل سنة 1404هـ/1984م وخلفه في إمامة الجمعة ابن عمه الشيخ عياد بن يعلى وهو يشتغل بالتعليم بالمدارس الحكومية.

الشيخ صالح بن سعيد بن عيسى الباروني

عاش الشيخ صالح في العقد الرابع من القرن الثالث عشر هجري في حومة الحشان حفظ القرآن في مدرسة الجامع الكبير ثم أخذ العلوم على والده الشيخ سعيد الباروني درس عليه علوم الشريعة واللغة والسيرة اجتهد في طلب العلم مستعينا بوالده وشقيقه الشيخ علي الباروني يطالع ويدرس الكتب المفيدة حتى نال حظه من العلم فواصل طريقة السلف يعلم الأجيال في مدرسة جامع بن يعلى ويخصص دروسا ليلية في جامع الملاق ترك مكتبة هامة تدل على سعة إطلاعه وحبه للكتاب جلها مخطوطة حدثني الشيخ الوالد أمحمد بن يوسف الباروني أنه إذا حضر أي مناسبة يسأل الحاضرين عن مسائل علمية ليثير موضوعا للنقاش ولتصحيح بعض المفاهيم الغالطة بل يتوجه باللوم على الحاضرين الذين لا يشاركون ولا يسألون عن أمر دينهم ويقول لهم هل أنتم مستغنون عن طلب العلم لا يترك مجلسه يمر دون أن يستفيد أو يفيد غيره فكان مرجع الفتوى يكتسب رزقه من فلاحته لا يتقاضى أجرة عمل عاش كريما حميدا إلى أن وافاه الأجل ودفن في مقبرة جامع الملاق بوالغ

مدرسة الشيخ إبراهيم الجمني

هو إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن أبي بكر بن عمر بن عبدالله بن منصور بن عبدالعزيز بن معين وينتهي نسبه إلى المقداد بن الأسود الكندي أحد الصحابة رضي الله عنهم. وقد هاجر أحد أجداده وهو معين من قرية الجديدة بالقرب من المدينة المنورة إلى تونس واستقر بإحدى واحاتها في الجنوب التونسي وهي واحة جمنة بمنطقة نفزاوة وكان والده من فقهاء الجهة وبذلك ينتمي الشيخ الجمني إلى أسرة عربية عريقة نزلت بالجنوب التونسي.

نشأته وتكوينه العلمي

ولد إبراهيم الجمني سنة 1628م (1037هـ) بقرية جمنة ولما بلغ أشده وبإشارة من أستاذه سيدي علي الوحيشي ارتحل إبراهيم الجمني إلى مصر لأول مرة سنة 1656م وأقام بالقاهرة تسع سنوات لطلب العلم بالجامع الأزهر فدرس على الشيخ عبدالباقي الذي أجازه في الفقه والنحو والمنطق ودرس أيضا على الشيخ الخرشي الذي أجازه في رواية الحديث النبوي وأخذ عن الشيخ عبدالله بن بلقاسم الجلالي أصيل المغرب الأقصى وفي سنة 1665م استأذن شيوخه للعودة إلى البلاد التونسية ويروون أن السفينة التي أبحر عليها من الإسكندرية قد غرقت بالقرب من السواحل الشرقية لتونس وخرج الشيخ من هذا الحادث سالما ولكنه فقد كتبه الثمينة وحرصا على هذه الثروة الفكرية رجع الشيخ إلى مصر وتزود بالكتب من جديد وعاد إلى مسقط رأسه لكن المناخ الفكري في قريته لم يكن ملائما للنشاط العلمي فما لبث الشيخ أن غادر جمنة ليستقر في جزيرة جربة سنة 1673م وقصد جامع الغرباء بحومة السوق حيث أخذ الطلبة يتدفقون عليه ويجلسون بين يديه للاستماع إلى دروسه فأدركوا سعة علمه وتبحره في العلوم الشرعية.

انتصابه بالمدرسة المرادية

وصلت أخبار الشيخ الجمني إلى الباي حاكم تونس وهو مراد الثاني بن حمودة باشا وتقديرا لثقافته أذن مراد الثاني ببناء مدرسة في حومة السوق وبسانية التكيتك سميت المدرسة المرادية وتتألف هذه المدرسة من دور للسكنى (تحول إلى مقر الحماية المدنية) وبيت صلاة وضع محرابها سيدي أبوراوي من ذرية سيدي عبدالسلام وبها قاعتان رحبتان عليا وسفلى لإلقاء الدروس و60 غرفة أو خلوة لسكنى الطلبة الوافدين من أنحاء جربة والجنوب التونسي وتعتبر هذه المدرسة اليوم من المعالم الأثرية الممتازة للهندسة والفن المعماري للقرن السابع عشر ويعلوها صاري كان يرفع العلم التونسي طيلة الحكم الحسيني بالبلاد التونسية.

دور الشيخ بالمدرسة

كانت جزيرة جربة في ذلك العصر (أواخر القرن 17 وأوائل القرن 18) معقلا للمذهب الإباضي وأشار لهذا الوضع الديني الرحالة التيجاني اثناء عبوره بالجزيرة في القرن 13م.

قام الشيخ إبراهيم بمحاولة جريئة وناجحة فعكف على التدريس لمدة خمسين سنة (1674-1724) وقصده الطلبة المتعطشون إلى المعرفة من كامل الجنوب التونسي وقد بذل قصارى جهده لنشر المذهب المالكي وله اعتناء خاص بمختصر الخليل وكان وضع له حاشية تناقلها الدارسون رغم عدم طبعها وذكرتها المصادر السابقة وهو مواظب على قراءته كشأنه بالأزهر

وكان يختمه بمعية طلبته كل ستة أشهر وكان الشيخ يقوم باكرا لإيقاظ طلبته فيطرق عليهم أبواب الخلوات(الغرف) لينهضوا ويشرعون في العمل (قراءة الحديث، حفظ القرآن، شرح مختصر الخليل، الخ...) وهكذا كانت المدرسة المرادية مركزا للإشعاع الديني ما دام الشيخ على قيد الحياة واستمرت كذلك بعد وفاته لمدة طويلة وتخرج على الشيخ عدة فقهاء أشهرهم صالح المكاشف وعلي الفرجاني وأبي عبدالله محمد الشرقي الذي مدح الشيخ في قصيدة شعرية تتركب من تسع أبيات. وقد أجاز الشيخ إبراهيم الجمني كل من رأى فيه الكفاءة وأرسله لإرشاد الناس لدين الله ولهذه المدرسة مثيلها ببلدة مطماطة وتدعى مدرسة سيدي موسى الجمني وهو شقيقه وقد سار على منواله.

خصاله

يروي محمود مقديش في "نزهة الأنظار" في شأن تزهد الشيخ وعدم حرصه على المال، أنه لا يباشر ميزانية المدرسة بنفسه رغم إشرافه الأدبي عليها ويترك مهمة التصرف لوكيله فلا يعرف ما دخل من الدراهم وما خرج فكان وكيله في المدرسة يرفع الجلد الذي يجلس عليه الشيخ فيأخذ ما شاء ويضع ما شاء بدون أن ينظر إليه ويقول حسين خوجة في كتابه "ذيل بشائر الإيمان" إن الشيخ الجمني قدم من جربة إلى تونس لمقابلة الباشا إبراهيم الشريف حاكم تونس انذاك في شفاعة لابن أخيه عمر كان قد سجن من طرف السلطة المحلية وأثناء المقابلة احتقر الباشا الشيخ ولم يقبل له الشفاعة فانصرف الشيخ مكسور الخاطر ولما جاء الليل اضطربت أحوال الباي إبراهيم الشريف وضاقت نفسه فأمر باستدعاء الشيخ الجمني ولما حضر لديه طلب منه العفو وأطلق سراح السجين بعد أن شعر بنبل القضية التي جاء من أجلها الشيخ.

العراقيل التي واجهته

عاشت البلاد التونسية في الربع الأخير من القرن السابع عشر أزمة سياسية خطيرة تميزت بالنزاع الذي نشب بين أفراد البيت المرادي على السلطة وخاصة بين محمد وعلي ورمضان والذي انتهى بمقتل آخر المرادين وهو مراد الثالث من قبل إبراهيم الشريف وفي هذا الإطار تمردت القبائل بالبلاد التونسية وثار بعض الدايات على السلطة المركزية فاغتنمت عائلة بن جلود الحاكمة بجربة ضعف السلطة بتونس لتستقل بدورها في الحكم على المستوى الجهوي وقد واكب الشيخ الجمني هذا الوضع وتعرض الفقيه إلى مضايقات مالية من طرف حكام جربة وهم سعيد وعبدالرحمان واحمد أبناء جلود إذ فرض هؤلاء على الشيخ ضريبة ثقيلة عجز عن دفعها مما أدى به إلى مغادرة الجزيرة سرا والالتحاق بالعاصمة واستشفع بإخوانه الفقهاء كالشيخ أبي عبدالله الغرياني الذي مكنه من الاتصال بالباي حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية وعلم الباي أن للشيخ الجمني دورا هاما في نشر المذهب السني بجربة التي يسيطر عليها الوهبية ولا غرابة إذن أن يرفع حسين بن علي ما كان على الشيخ من ديون وان يزيل عليه الظلم والضغوط المجحفة. تعظيما لقدره واعترافا له بالخدمات التي أداها في سبيل نشر المذهب المالكي بجربة خاصة والجنوب عامة ورغم انتمائه إلى المذهب الحنفي بذل حسين بن علي مع الشيخ إبراهيم الجمني جزيل الإحسان واثر وفاته (نوفمبر 1774 الموافق لربيع الثانية من سنة 1134) أمر ببناء قبة خضراء على ضريحه وهكذا اكتملت المدرسة الجمنية وتداول على منصب التصرف فيها وتنشيط الحياة الدينية داخلها وكلاء من أحفاد الشيخ إبراهيم أولهم عمر

الجمني وأخرهم الطيب الجمني وكان هذا الأخير قلبها النابض ولسانها الناطق لمدة عشرين سنة قبيل الاستقلال ولنفس الغرض أوقف حسين باي على المدرسة المعنية بعض الأراضي الفلاحية وحبس لها العقارات لضمان إصلاحها والنفقة على طلبتها المقيمين بها.

الملاحق

علاقة جربة بجبل نفوسة

إن الإباضية المنتشرين في عدة أقطار من العالم العربي تربطهم صلة متينة بواسطة الزيارات التي يقوم بها رجال الدعوة من حين لآخر عن طريق إرسال البعثات العلمية لقصد التفقه في الدين والقيام برحلات استطلاعية لمعرفة مواطن الإباضية في المشرق والمغرب وتبادل الآراء في الأمور الدينية وإرسال الكتب العلمية التي ألفها علماء الإباضية وغير الإباضية. واهتموا بجمع تراثهم الثقافي وطبع الكتب القديمة والحديثة وبناء المساجد والمدارس والجامعات وإرسال شبابهم إلى الجامعات الإسلامية والغربية حتى يتفقه كل في ميدان اختصاصه. كان هناك في القديم تبادل ثقافي بين جربة وجبل نفوسة فالمدارس العلمية تكمل بعضها بعضا فيدرس شباب جربة في مدارس الجزيرة ويسافر إلى جبل نفوسة يكمل ثقافته في مدارس الجبل كما أن رابطة الدين التي تربط بين هذه الأقطار واحدة تبين لنا تداخل الشخصيات العلمية وأخذ بعضها عن بعض لقد أخذ علماء جربة دينهم عن سلسلة ذهبية من المشرق ومن سلطنة عمان ومن البصرة ومن جبل نفوسة وميزاب وهذه صورة مصغرة مقتبسة من سيرتهم. أخذ الشيخ داود التلاتي عن الشيخ قاسم السدويكشي بجربة وأخذ عن الشيخ أبي يوسف يعقوب التندميرتي بجبل نفوسة وأخذ عنه العلم بجربة الشيخ عبدالرحمان الحيلاتي وأخذ عن الشيخ محمد بن زكرياء الباروني إلى آخره وتعاون هذه الجماعة عندما تصيب جهة ظروف قاسية كالجفاف ونقص التغذية وفي حالة هجوم الأعداء يتبرعون بالمال ويساعدون بالرأي والرجال فكانت جربة ملجاء لإخوانهم من جبل نفوسة ووادي ميزاب والعكس بالعكس كان هذا التعاون قديما في شتى المجالات الثقافية والاجتماعية وظهر هذا في تعاون ثلاثة جهات على تأليف ديوان الأشياخ واحد من جبل دمّر وواحد من جبل نفوسة وخمسة من جزيرة جربة كما نجد أن الشيخ أبا زكرياء يحي بن جرناز تعاون مع عزابة جربة لتقرير بعض الأحكام الدينية منها والاجتماع العلمي الذي انعقد بمدينة لالوت سنة 1103هـ/1692م.

لم تنقطع الصلة بين جبل نفوسة وجربة لقرب المسافة فعندما تنزل المصائب بأهل نفوسة يلجؤون إلى جربة فيجدون فيها العون والمساعدة من إخوانهم لأن جل سكان جربة نازلين من جبل نفوسة ومن الجنوب التونسي استوطنوا الجزيرة لطيب أهلها واعتدال مناخها وخصوب أرضها حيث يجد فيها الفقير العيش الكريم كما استعان سكان جربة بإخوانهم بجبال نفوسة خاصة في عهد الحملات الصليبية على جربة في القرن العاشر الهجري حيث بعث الشيخ يونس بن تعاريت رسالة إلى إخوانه يطلب منهم نصرة الجزيرة والدعاء الصالح وتلاوة القرآن في أماكن الإجابة. ومن علماء الجبل الذين درسوا العلوم في مدرسة الجامع الكبير الشيخ عبدالله الباروني والشيخ سعيد بن أيوب الباروني على الشيخ سعيد بن عيسى الباروني وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر هجري نزلت عائلات بالجزيرة من جبل نفوسة البعض منهم اشتغل بالتعليم وفريق اشتغل بالتجارة والفلاحة وتكونت منهم نخبة واصلت تعليمها في جامع الزيتونة والمعاهد الأخرى منهم الشيخ علي يحي معمر

والشيخ عبدالله حمبولة والشيخ عمر الباروني والشيخ عاصم الباروني وفي السنين الأخيرة تجددت الزيارات وتبادل الرسائل والمسائل العلمية والتاريخية وقام رجال العلم بطبع الكتب القديمة كالإيضاح وجامع ابن بركة ورسائل المسجد التي تصدرها منشورات الدعوة بنالوت بليبيا وطبع كاتب مقدمة التوحيد وكتاب الإباضية في موكب التاريخ للشيخ علي يحي معمر.

الصلة بين جربة ووادي ميزاب

العلاقة بين جربة وميزاب قديمة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الهجري في عهد أبي عبدالله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي مؤسس نظام العزابة وقد استمرت الصلة بين الشعبين إلى عصرنا هذا رغم بعد المسافة فعلاقة جربة بالأقطار الأخرى من المواطن التي ساد فيها المذهب الإباضي وانتشر كجبل نفوسة وجبل دمّر والجريد وأريغ وورجلان وأوراس وتاهرت علاقتها بهذه المناطق كانت وطيدة قبل هذا التاريخ وكانت جربة في تلك العهود تمثل جزءا من أراضي الدولة الرستمية. إن التعاون والتآزر والأخذ والعطاء لا يتأتى بين مجتمعين إلا إذا توفرت لهما الأسباب وتهيأت الظروف المشجعة الحافزة على ذلك وميزاب وجربة قد توفرت لهما الشيء الكثير:

1- يسود بين المجتمعين مذهب إسلامي واحد فغالب سكان المنطقتين إباضية المذهب فلابد أن ينشأ عن المذهب الواحد رابطة ثقافية واجتماعية وروح من التفاهم والتعاون.

2- الظروف الاجتماعية المتشابهة بين جربة وميزاب، فجربة جزء منعزل في البحر وميزاب واحة منعزلة في الصحراء الجزائرية فهي منطقة فقيرة تعتمد على الزراعة وتربية الماشية والإبل والتجارة التي يباشرونها في مدن الجزائر وخاصة منطقة الشمال وبجوار أهلها هناك إخوان لهم مسلمون يضايقونهم بتصرفاتهم التي لا تتسم في الكثير من الأحيان بالعدل والأخذ بالحق. أثرت هذه المعاملة في نفوسهم وجعلتهم يتسمون بالحذر ويتشبثون بالمذهب الذي اختاروه وهذه العوامل كفيلة أن تفتح بين المجموعتين أفاقا واسعة من التعاون والروابط الاجتماعية بين الأجيال المتوالية فصور التعاون بين جربة وميزاب تتجسم في انتقال الطلبة من جربة إلى ميزاب ومن ميزاب إلى جربة سعيا وراء الاستفادة والأخذ عن أي عالم يظهر في جربة أو ميزاب إما رغبة في الإستيزادة من المعرفة وإما لأن أوطانهم لا يتوفر فيها العلماء غالبا ما يكون ذلك بعد أن يؤم الطالب حواضر العلم في شمال إفريقيا تونس العاصمة أو القيروان أو مصر في جامع الأزهر فيجد الطالب من الإمكانيات ما يعينه ويشجعه على قضاء فترة الأخذ والاستفادة من مدارس البلدين فمساجد ميزاب بنيت بها بيوت تكون مأوى للطلبة الوافدين من القطرين ولها من الأوقاف ما يعين أولائك الطلبة ويدفع عنهم العوز.

و كذلك بمساجد جربة مثل الجامع الكبير بحومة الحشان نذكر على سبيل المثال أن الشيخ داود التلاتي تعلم من الشيخ المهدي بن عيسى المصعبي المليكي نسبة إلى مليكة قرية بوادي ميزاب وتتلمذ الشيخ أبو مهدي المصعبي على الشيخ أبى سعيد الجربي والشيخ يحي بن صالح الأفضلي من ميزاب أخذ العلم على الشيخ أمحمد بن يوسف المصعبي الذي استقر بجربة ودرس الشيخ عمر العوام والشيخ رمضان اللييني والشيخ سعيد بن علي بن تعاريت وابن عمه الشيخ أمحمد بن تعاريت عن قطب الأئمة الشيخ طفيش كما أخذ الشيخ يوسف المصعبي عن الشيخ سعيد بن يحي الجادوي بآجيم وينتقل العلماء من منطقة إلى أخرى قياما بواجب التعليم ونشر الفضيلة والتفقه في الدين.

كان علماء الإباضية حريصين على نشر العلم والمعرفة في مجتمعاتهم لأن أشد خطر على المجتمع الإسلامي هو الجهل بالدين ومن هؤلاء العلماء الذين وفدوا إلى ميزاب الشيخ سعيد بن علي بن حميدة الخيري من علماء النصف الأول من القرن العاشر الهجري جاء إلى ميزاب بطلب من إخوانه الميزابيين لنشر العلم فيهم. استقر الشيخ سعيد بن علي الجربي في مدينة غرداية والشيخ بالحاج بن محمد بن سعيد النفوسي في مدينة بني يزقن والشيخ دحمان النفوسي بقرية بنورة وقد أعطت هذه البعثة ثمارها الطيبة فأقام بها كل من الشيخ عمي سعيد والشيخ بالحاج بن محمد ومن هؤلاء العلماء الذين فضلوا البقاء بالجزيرة الشيخ يوسف بن أمحمد المصعبي وابنه الشيخ أمحمد بن يوسف ولهذا العالم الجليل أثار قيمة ومواقف محمودة ونشاط اجتماعي وثقافي بكامل الجزيرة وبالجامع الكبير خاصة واستمر تبادل الوفود والزيارات بين جربة وميزاب فلا تمر فترة إلا ويزور جربة عالم أو عالمان أو أكثر مع من يصحبهم من الطلبة ومحبي العلم فتترك زيارتهم حيوية ونشاطا لما يقع في تلك الزيارات من تجمع ولما يلقى فيها من دروس الوعظ ولما يقع فيها من بحث علمي ومراجعة لمسائل دينية وإثارة بعض الفتاوى المعينة أو نازلة حديثة أذكر على سبيل المثال زيارة الشيخ محمد طفيش بمناسبة سفره للحج عام 1303هـ في عهد الشيخ علي بن سعيد الباروني ألقى دروسا في مدرسة الجامع الكبير وزيارة الشيخ بيوض إبراهيم مرتين إلى الجزيرة وزيارة الشيخ محمد الثميني والشيخ ناصر المرموري والشيخ عدون وغيرهم.

يقول الشيخ أبو اليقضان إبراهيم([264]) والشيخ علي يحي معمر "يمكن أن نستخلص من مظاهر التعاون والروابط بين مناطق الإباضية انتقال بعض الأسر من جهة إلى أخرى وتفرغها لنشر العلم كما وقع من أسرة عبدالله الفرسطائي النفوسي وانتقالها إلى الجزائر وأسرة الباروني من جادو إلى جربة وأسرة المصعبي من مليكة إلى جربة وأسرة البغطوري من كاباو إلى جربة ونجدة نفوسة لجربة في محنتها عند غزو الأسبان سنة 915هـ ويشير الشيخ طفيش من ميزاب لمؤلفات جربة ونفوسة والاستفادة منها وتعاون رجال الأقطار الثلاثة في تبادل الكتب واستنساخ المخطوطات والتعاون على نشر الكتب العلمية والدينية.

وفي سنة 917 هـجري هجم الأسبان على جربة فاستنفر سكان وادي ميزاب للجهاد في سبيل الله. قدم الشيخ يحي بن موسى المصعبي ومعه جمع من المجاهدين واشتبكوا في ثلاثة معارك عنيفة كان النصر حليف المسلمين قال الشيخ يحي بن موسى المصعبي:

سمعت خطابا رمى به الفؤاد	سقيما من النار يا للجهاد
بأن الجزيرة حلت بها	جيوش النصارى كمثل الجراد
إذا ما تأملتم قلت	هذا ليل بدا شاءه بالسواد

---

[264])- أبو اليقضان إبراهيم بن الحاج عيسى ولد في مدينة القرارة بجنوب الجزائر في آخر القرن التاسع عشر. كان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا . كانت لي معه مراسلات دامت أكثر من خمسة عشر سنة وافيته ببعض تراجم علماء جربة ألحقها بكتابه الذي سماه محلق كتاب السير. وله عدة رسائل منها :

- سبيل المؤمن البصير إلى الله أصدره في 14 جمادى الثانية 1388هـ/6 سبتمبر 1968م
- فتح نوافذ القرآن أصدره في 16 محرم 1387هـ/24 أفريل 1967م
- مأساة فلسطين: قصيدة نظمها في 25 ذي الحجة 1367هـ/29 أكتوبر 1948م

تخرج من الجامعة الزيتونية وتخصص في علوم الدين واللغة العربية انخرط في الحزب الدستوري التونسي وآزر زعيمه المجاهد الشيخ عبد العزيز الثعالبي. أنشأ أول بعثة علمية جزائرية في تونس بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة ورابط في تونس من أجلها وقد زاد عدد تلاميذها على مائة وكان يديرها. وفي سنة 1924م نزل إلى الميدان الصحافي فأنشأ سبع صحف وطنية كان الاستعمار الفرنسي يعطلها الواحدة بعض الأخرى وكانت مقاولاته فيها قوية اللهجة تشتعل حماسة وغيرة. عين عضوا إداريا بجمعية العلماء المسلمين في الجزائر عند تأسيسها

ومن دون تحت الثريا يرى غبار عجاجة أهل العناد
سرابيلهم من حديد لهم عقار من الهند شبه المداد
ومنهم ترى الترس مكتسبا فكيف المهند وكيف الرصاد
وليس سوى المقلتين يرى من أجسادهم متمة بالفساد
فصلصلة الرعد بين السحاب يزيد عليها صهيل الجياد
وفي الأرض تقدح أقدامهم بنار كبرق لدى المزن ماد
وعسكر أهل الرد الردي ينتهي ثمانين ألفا بالإزدياد
يصير الحصى تحت أقدامهم شرارا وأيضا كمثل الزناد
تزلزله الأرض لما انتهوا إلى رحلة دون سوق البلاد
فكم غائب غاب عن أهله فصادف الأمر فيها يناد

والقصيدة طويلة تزيد عن أربعين بيتا اكتفيت بذكر أولها. أما المراسلات بين ميزاب وجربة فكانت أقل عددا من مراسلات نفوسة ولعل ذلك يرجع لبعد المسافة. وفي عهد الشيخ أبي زيد أحمد ابن أبي ستة جاءته رسالة من عزابة ميزاب إلى عزابة جربة وهذا نص الرسالة: بعد الحمد والثناء يقول المحرر:"من إخوانكم في الله عزابة بني مصعب الموافقين لكم في الدين والمذهب السالكن للطريق الأصوب سلام عليكم من لسان المجلس المنعقد في روضة عمي سعيد الجربي وقد ختمت الرسالة بقصيدة أبياتها ثلاثون وهذا مطلعها:

هذا الكتاب يؤم أهل مذهبنا من الجزيرة أولى العلم والحكم

أما الرسالة الثالثة فموجهة من طرف الشيخ داود التلاتي إلى شيخه أبي مهدي وموضوعها طلب الإعانة من ميزاب والدعاء لهم بالنصر عند هجوم النصارى سنة 967هـ 1560م يقول: "سألتكم الله وحرمة المذهب أن تجمعوا في بعض مضان الإجابة وتديروا الدعاء أن ينجي الله هذه الجزيرة من كل عدو وخائن([265])

علاقة جربة بوارجلان

في القرن السابع الهجري الثالث عشر مسيحي كان رئيس مجلس العزابة الشيخ عبدالله بن سعيد الصدغياني جاءته رسالة من مدينة ورجلان يطلب فيها باعثوها حقيقة المذهب تضمنت رسالته ردا على المخالفين وقد أشرت إليها عند ترجمة الشيخ عبدالله الصدغياني

علاقة جربة بأريغ([266])

كان الاتصال بين جربة وأريغ في عهد الشيخ يعيش بن موسى الزواغي كانت هذه المنطقة أهلة بالإباضية وجه إليهم الشيخ رسالة لوم عن تقصيرهم في إرسال أبنائهم يتعلمون العلوم الفقهية واللغوية في مدارس جربة وذكرهم بمجد أسلافهم ودعاهم إلى القدوم إلى الجزيرة لدراسة العلوم العقلية والنقلية في القرن الثامن هجري.

---

[265])- رسالة التلاتي إلى أبي مهدي مخطوطة بالمكتبة البارونية تحت رقم 133 وردت في نهاية مختصر كامل من قول الشيخ أبي يحي توفيق بن يحي

[266])- أريغ: منطقة الجريد حسب تحديد بن خلدون ج1 ص122 وتسمى في القديم قسطيلية وهي كثيرة العمران مستحكمة الحضارة بها كثير من النخيل والأودية كانت آهلة بالإباضية في القرن الثامن هجري.

الصلة بين جربة وعمان

رغم بعد المسافة بين الموطنين جربة وعمان فان الصلة كانت متينة عن طريق تبادل الرسائل والزيارات فالوثائق التاريخية تثبت زيارة الشيخ عمر بن سعيد بن أمحمد بن زكرياء الباروني إلى عمان سنة 1092هـ وسنة 1104هـ يذكر في رسالته للإمام بليعرب بن سلطان بن سيف بن مالك إمام عمان ويذكر فيها بعض أحوال جربة من أهل الدعوة ونشاطهم في نشر العلم وقد بلغت مدارسهم عشرين مدرسة رغم قلتهم وضعفهم وسوء حالهم واحتياجهم.

وزار عمان الحاج سعيد بن زكرياء في القرن السابع هجري وطلب منه العمانيون أن يرسل لهم كتابا يعرف بعلماء الإباضية في جبل نفوسة وجربة ووادي ميزاب فنظر عزابة جربة في كتاب سير الأيمة وأخبارهم تأليف أبي زكرياء يحي ابن أبي بكر من علماء القرن الخامس هجري فوجدوه مخلا ببعض التفاصيل فعرضوا الأمر على العلامة الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني المتوفي حوالي 670هـ فصنف كتابه طبقات المشائخ بالمغرب العربي([267]) هاتان الزيارتان تثبتان فائدة زيارة الجربيين إلى عمان. الزيارة الأولى شجعت أهل عمان على إحياء العلم بجهتهم ونتج عن زيارة الحاج عيسى تأليف كتاب الطبقات للدرجيني قال الشيخ قاسم البرادي([268]) إن سبب تأليف كتاب الطبقات هو طلب العمانيين. وهذه قصيدة أرسلها الشيخ العلامة أبو سليمان محمد بن عامر بن راشد العماني إلى إخوانه المغاربة في نفو سة وبني مصعب وأهل الجزيرة بتاريخ 15 ربيع الثاني 1178هـ وهذا نص الرسالة:

"الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم عليهم أجمعين أما بعد فقد بلغني أن بني مصعب وأهل الجزيرة وأمثالهم من أرض نفوسة من المغرب ثبتوا على الدين الذي كان عليه رسول الله صل الله عليه وسلم ولم يغييروا ولم يبدلوا وصار أخرهم يأخذ عن أولهم درر الكلام محبة مني لهم في قصيدة أقولها لهم لتكون المودة بيننا وإياهم موصولة وأسباب الهجر مقطوعة مفصولة.

قال الشيخ أبو سليمان الراشدي:

لكم في قلوب المشفقين منازل ... وهن بذكراكم عمار أواهل
نزلتم رياض القلب يا آل مصعب ... فبوركتم أنتم وتلك المنازل
لنا فيكم أصل المودة سابقا ... كما سلفت يوما عليه الأوائل
يا عصبة الدين الإباضي الذي مضى ... عليه رسول الله ثم العبادل
عليكم بما انتم عليه من الهدى ... ولو قاومتكم بالقتال الجحافل
فدينكم الدين القويم سبيله ... ودينهم المرذول أعوج مائل
لكم جنة الفردوس دون الذين هم ... إذا نوصحوا في الله صدوا وجادل
فياليت شعري كيف حال دياركم ... وقد بعدت عنا لديها العواجل
فنحن الإباضيون دينا ومذهبا ... فما لسوانا منصب وفضائل
فكم من تسمى بالديانة والهدى ... ولكنه غاو عن الرشد غافل

وهذه القصيدة طويلة بها ثلاثة وسبعون بيتا([269]) ورد على الرسالة المتقدمة للشيخ عيسى بن أبي القاسم الباروني نسبا الإباضي مذهبا النفوسي وطنا الجربي دارا ومسكنا وهذا نصها:

---

[267])- قام بتحقيق الكتاب وطبعه الشيخ إبراهيم طلاي الميزابي في جزأين بمطبعة البعث بقسنطينة بالجزائر سنة 1394هـ/1974م

[268])- كتاب الجواهر ص11

[269])- توجد القصيدة بالمكتبة البارونية بجربة

"النثر للشيخ عيسى والنظم لابنه الشيخ قاسم الباروني: الحمد لله الذي جعل الكتابة للإنسان قائمة مقام المشافهة بالكلام عند تعذر الملاقاة بالأبدان ولو تباعدت الأوطان ذلك بفضل المنان الذي ألهمنا وعلم الإنسان ما لم يعلم وأنعم بمحض فضله على كثير من خلقه وسخر له اللسان وعلمه القرآن بعد شرفه بالغزيرة العقلية فبسببها كلفه بالفرائض القولية والفعلية إلى آخر الديباجة. ويقول نخص بجزيل السلام والتحية والإكرام ذو الفضل والإحسان والعدل والإنعام المنشرح صدورهم لتخليص البيان المنورة قلوبهم بلوامع التبيان المشرفين بحلية الإدراك وزينة الإفهام أعني بهم ساداتنا وقادتنا ومشائخنا وإخواننا من أهل عمان ذو الدين القويم والصراط المستقيم العلماء الأخيار الذين شهدت بتحرير سطورهم الدفاتر وقضت بتحقيقهم أقلام المحابر وقامت كلمة الإجماع على أنهم ختام من يذكر بعلم وعمل من الناس وحكمت كلمة الأنام مقدمون تقدم النص على القياس العاملين بمقتضى الكتاب والسنة أناء الليل وأطراف النهار المخلصين له العمل من غير زيادة ولا استكبار ثم يقول وأخص بالسلام والتحية والإكرام العلامة الشيخ محمد بن عامر بن راشد بن سعيد بن عبدالله بن راشد العماني اليمني الذي أحيا ديدان الأولين وعادة المتقدمين بنظمه رسالة لنا فتناثرت الدموع من عين كل حبيب بسماعهم الكلام المجيب وما ذلك إلا اشتياقا وتشوقا ومحبة منا لإخواننا فتهادينا من يد إلى يد وتراسلنا من بلد إلى بلد. وقد نظم ولدنا الشيخ أبو القاسم بن عمر بن خليفة الباروني نسبا قصيدة وهي من البحر الطويل يقول :

أتتنا قصيدة بنظم الأفاضل أضاءت بها أرض القرا والمنازل
تلقيتها أهلا وسهلا ومرحبا بما جاء من أهل الولاية والعدل
ببحر الطويل نظمها وانتظامها إذا عاريا من الزحاف مع الجزل

ثم يقول أيضا:

جدير علينا كل عام بحبكم كتابا مقام العاجزين عن الوصل
حياة القلوب الذكر والعلم والعمل كأرض تحيا من قبول الهواطل
فنحن على دين كما أنتم به يعضّ عليه بالضروس الكوامل
وفي جربة حسنا يوسف وابنه فلازال يسمو نجمه غير أفل
ونسبته الحسناء من آل مصعب زكي ذكي القلب حلو الشمائل
جميل المحيا صادق وسميدع صبور شكور ذكره غير زائل
سمى وارتقى فوق القبيلة مرشدا ومنجزا للطلاب غير مماطل
أحي لنا دينا الإباضي مدحضا به كل زيغ من ضلال الأراذل

وقد ذكر في هذه القصيدة عددا من العلماء الذين أضاءت بهم الجزيرة ويختم هذه القصيدة الطويلة التي بها ستة وستون بيتا بقوله:

وناظمها نجل لعمر ابن صالح أبو القاسم الباروني أهل الفضائل

نسختها في أول جمادى الأولى سنة 1197هـ([270]) وزار سلطنة عمان الشيخ عبدالله بن سعيد السدويكشي سنة 1070هـ.

اللقاء في موسم الحج

إن إباضية المغرب العربي وإباضية عمان يجتمعون في موسم الحج لتبادل الرسائل والكتب والآراء في المسائل الدينية([271]) وفي القرن التاسع

---

[270])- توجد هذه الرسالة المتضمنة للقصيدة بالمكتبة البارونية بجربة

[271])- أديت مناسك الحج سنة 1401هـ/1981م وحضرت بدار الميزابية بمكة المكرمة مسامرة دينية ألقاها الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي سلطنة عمان صحبة الشيخ الصادق بن مرزوق والشيخ يونس بن شعبان ومشائخ من جبل نفوسة والجزائر.

الهجري الخامس عشر ميلادي زار الشيخ قاسم البرادي مكة المكرة لآداء مناسك الحج فاجتمع بوفد عمان وقد طلب منهم أن يرسلوا له كتاب كشف الغمة ذكر ذلك في المقدمة التي وضعها لهذا الكتاب وأيضا وجد قصيدة لشاعر عماني هو الشيخ محمد بن عبدالله الأغبري تثبت تجاوب العمانيين مع عزابة جربة وذلك في القرن العاشر هجري 16م وموضوعها تحية لأهل المغرب جربة ونفوسة وميزاب وورجلان يقول:

أنخ بجربة تبري سقم مذهبك المختار فهي شفاء الدين في سقم

توفرت بعض المخطوطات العمانية بالمكتبة البارونية منها كتاب جامع ابن بركة من علماء القرن الثالث هجري وكتاب جامع أبي جعفر لصاحبه جابر محمد ابن جعفر في القرن التاسع هجري وديوان المعروض وكتاب كشف الغمة ومختصر البسيوي لأبي الحسن البسياني العماني وكتاب منهاج الطالبين للشيخ خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الشقصي وكتاب الدعائم لأبي النظر العماني بواسطة المسافرين والحجاج وقد زار الشيخ نصر بن خميس جبل نفوسة وحضر الاجتماع العلمي بمدينة نالوت سنة 1145هـ حضره علماء من جربة وجبل نفوسة وهذه رسالة وجهها علماء جربة إلى أهل عمان يهنون فيها الشعب العماني بتولية السلطان ناصر ابن مرشد ابن مالك اليعربي سنة 1024هـ وهذا نص الرسالة:

"الحمد لله الذي وضع سبيلا لخيار خلقه وأهل حبه ووداده وشرفهم بخدمته وبالتزام وظائف طاعته واطلع لهم شموس الإمارة بدوام مذهبهم إلى يوم لقائه وجعلهم سيوف قواطع للأشرار والظلمة وأعوان شيطانه. ثم يقول أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين المجاهد الصبور والعبد الشكور ذي المفاخر المجيدة والمناقب الحميدة صاحب الخصال السنية والأوصاف البهية أميرنا السلطان ناصر بن المرحوم مرشد ابن السلطان ملك اليعربي الوهبي الإباضي أدام الله علاه" إلى آخر الرسالة.

وفي 19 جمادى الأولى سنة 1393هـ/28 ماي 1972 زار جربة مفتي سلطنة عمان الشيخ أحمد بن حمد الخليلي صحبة رفاقه الشيخ سعيد بن علي بن سيف الشكلي والشيخ سالم بن أمحمد الرواحي فاجتمعوا بعلماء جربة وزاروا المكتبة البارونية كما زار جربة الشيخ سالم بن أحمد بن حميد الحارثي. وفي 13 رجب سنة 1394هـ/3 أوت 1974م زار جربة وفد من وزارة التربية والتعليم والتراث القومي من سلطنة عمان يتركب من الشيخ أحمد حمدالخليلي وعبدالله بن علي الخليلي وسعيد بن عبدالله الحارثي وسليمان بن محمد السالمي وزاروا المكتبة البارونية وطلبوا من جربة مدرسين للعمل بسلطنة عمان وإداريين لوزارة العدل فلم يتمكنوا من تحقيق رغبتهم لأن ظروف العمل وحاجة البلاد تستدعي بقاء نخبة مثقفة ترشد الأمة في أمور دينها ودنياها وفي 15 شعبان سنة 1401هـ 1981م زار الجزيرة الشيخ سعيد بن أحمد الحارثي وقد جادت شاعريته فسجل في السجل الذهبي للمكتبة هذه الأرجوزة:

وسرت جربة فحيا ربي لجربة وهي مقر الصحب
فهم وان كانوا بعيدي النسب يربطني بهم كريم المذهب
لذاك تلقاني لهم محبا ومن هوى شيئا له أحب
وان ما كان له بالدين صلة حب فهو بالقمين

وفي سنة 1402هـ/1982م زرت بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج فاجتمع الوفد الجربي بإخوانه من نفوسة وميزاب وعمان لتدعيم الروابط بين المناطق الإباضية وألقى في هذا الجمع بمكة المكرمة الشيخ أحمد الخليلي مسامرة في دار المزابيين حضرها الشيخ ناصر المرموري وجمع كبير من المزابيين ومن الجربيين يوسف الباروني والصادق بن مرزوق ويونس بن شعبان. وفي نطاق التبادل الثقافي زار الأستاذ فرحات الجعبيري والشيخ

الصادق بن مرزوق سلطنة عمان لإلقاء محاضرات في معهد القضاء أو في بعض المساجد وذلك في سنة 1403هـ الموافق لـ1983م. وفي شهر رجب 1405 أفريل 1985 استدعت وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية الشيخ قاسم بن عمر قوجة والشيخ سعيد بن يوسف الباروني لزيارة عمان في نطاق التبادل الثقافي فألقيا محاضرات في معهد القضاء ودامت زيارتهما أسبوعين وقاما برحلات داخل عمان فاطلعا على معالم النهضة العلمية والاقتصادية والفلاحية والعمرانية ولقيا تكريما وترحابا من الشعب العماني أينما حلا واهديت لهما الكتب العلمية من التراث العماني نرجو من الله أن يدعم هذا التعاون بين تونس وسلطنة عمان خدمة للشعبين في المستقبل. كما زرت سلطنة عمان في شهر شعبان 1408هـ/أفريل 1988 بدعوة من وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية لحضور ندوة الفقه الإسلامي بجامعة قابوس التي شارك فيه الدكتور فرحات الجعبيري والشيخ الصادق بن مرزوق والدكتور الوصيف والأستاذ أحمد مادي، قضيت بسلطنة عمان أكثر من شهر ونصف تجولت في مناطق عديدة من السلطنة ووقفت على معالمها العمرانية والتاريخية.

دور المساجد في التاريخ الإسلامي

جامع الرّيحيّة بسدويكش

ظل المسجد في جميع العصور الإسلامية يؤدي دوره الإصلاحي في جميع المجتمعات تخرج منه الفقهاء والعلماء والقادة والزعماء وأساتذة العلوم السياسية فالمسجد كافح الجهل وحارب عناصر الغزو العقائدي والسياسي وقام بدور مهم لا في حركات المجتمعات الإسلامية فحسب بل ظل ينمو حتى في ظل القمع الصليبي طيلة العصور المختلفة حافظت المساجد على الشخصية الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي الطويل فالشعوب العربية جعلت من المسجد منبرا للتوعية الدينية ونشر الثقافة الإسلامية فمساجد جربة قامت بدور عظيم في تركيز العقيدة الإسلامية والمحافظة على اللغة العربية وتعليمها لشباب الأمة فالإسلام هو الذي سن الفروض في العبادات والعمل على كسب الحياة الآخرة وجعل من الدنيا مطية لأمر الآخرة والإسلام رغم دعاة التظليل وقف بقوة أمامهم يصارعهم وقد اهتم المسلمون ببناء المساجد إقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمساجد تشهد يوم القيامة لمن بناها وأحياها بالذكر والطاعة يفرح ببنائها أهل الأرض وأهل السماء جعلها الله مهبط الرحمة والرضوان فطوبى لم شيدها وتعبد فيها. وكان المجتمع الجربي ومازال سباقا إلى تأسيس المساجد فبها يعبد ربه ويذكر اسمه فقد اهتم

الأوائل بعمارتها والعناية بأمرها وأوقفوا عليها الأراضي الفلاحية وأصول الزيتون والعقارات والفنادق لصيانتها وضمان بقاء رسالتها كانت هذه المساجد مدارس تنشر الثقافة الإسلامية في ربوع هذه الجزيرة فقد رابط بها العلماء يعلمون الأمة دينها ولغتها ومن هذه المساجد تخرجت نخبة من العلماء ورجال الإصلاح وبمساجد هذه الجزيرة حافظت البلاد على أصالتها العربية وعلى إسلامها فالمساجد حصون الله في أرضه لمن تعلق بها قلبه وأخلص لله في عمله "إنما يعمّر مساجد الله من أمن بالله واليوم الأخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشى إلا الله فعسى أولائك أن يكونوا من المهتدين"([272]) جاز الله أهل البر والإحسان الذين سبقونا بالإيمان وقد فارقوا الدنيا وتركوا أثارهم ومساجدهم شاهدة لهم بصدق الإيمان يقول الرسول عليه الصلاة والسلام في حديث قدسي : "إن بيوتي في الأرض المساجد وأن زواري فيها عمارها فطوبى لمن تطهر في بيته وزارني في بيتي وحق على المزور أن يكرم زائره" في هذه المساجد تعقد المؤتمرات والندوات العلمية والسياسية لدراسة مصير البلاد وتخرج منها القرارات الهامة لتنفيذها بروح الإيمان والعمل الناجم عن العقيدة الصحيحة.

ومن المساجد ينطلق رجال الإصلاح لخدمة البلاد والعباد وفض مشاكل المجتمع وفي المساجد يجد الناس الحلول العادلة التي تتماشى وروح الدين فيخرج الناس مسرورين راضين بعدالة هذا المجلس الذي يستمد سلطانه من روح الدين لا ظالم ولا مظلوم الناس سواسية أمام عدالة السماء لا فضل لأحد إلا بالتقوى وفي رحاب المسجد يدرب الشباب على القتال حتى يكونوا حصنا منيعا للبلاد وكانت المساجد في القديم مدراس تنشر العلم والحكمة ومقر الفتوى ونوادي يجتمع فيها العلماء والأدباء. أن المساجد في العالم الإسلامي قد اكتسبت المكانة العالية من روح الأمة حيث أصبح المسجد منبرا عصريا لطرح القضايا المصيرية للأمة الإسلامية فالمسجد وقف أمام النزاعات المادية الاستعمارية عبر العصور صحيح أن العالم يتكور ويتداخل في شبكة عريضة من العلاقات التي تفرضها المصالح ومن خلال هذا التواصل تشكلت فصائل الغزو المباشر وغير المباشر لجميع العقائد التي ترفض التدجيل ومن هذه الظواهر توصل علماء الاجتماع إلى دراسة ما يسمونه بالظاهرة الإسلامية لأن التاريخ مشحون بالمتناقضات والمصادمات مع قوى الغرب المناهضة للإسلام وفي وسط هذا الواقع نجد أن المسجد بدأ يأخذ طبيعة مضخة الدم في الجسم الإسلامي لأنه حلقة الصلة بين الأبعاد الجغرافية التي يشغلها العالم الإسلامي والتاريخ أكبر شاهد على ذلك فهذه الحركة العلمية التي قامت بها مساجد الجزيرة في هذه المنطقة البعيدة عن العواصم العلمية خير شاهد على ذلك.

---

[272])- سورة التوبة الآية 18

دور المساجد الساحلية

مسجد سيدي زايد

لم يكتف أجدادنا ببناء المساجد في الأحياء السكنية في داخل الجزيرة بل حرصوا على حمايتها من الأعداء فبنوا ما يزيد عن عشرين مسجدا على طول سواحل الجزيرة من جميع الجهات يرابط فيها العلماء والمجاهدون وأهل الإصلاح يحمونها من هجومات النصارى لأن الجزيرة تعرضت في القديم لعدة حملات صليبية تزيد عن إحدى عشرة غارة ضاقت جربة فيها أنواع النهب والقتل والسلب والتخريب فكانت هذه المساجد تقوم بتعليم الأطفال العلوم وتحفيظ القرآن وتقام فيها الصلوات الخمس وترابط فيها الجماعة ليلا يتهجدون ويسبحون ويقرأون القرآن ويتسامرون أما الأطفال الصغار فلهم دور عظيم يتعلمون القراءة والكتابة ويدربون على الرباط منذ صغرهم فإذا لاحظوا العدو يهاجم الجزيرة أو يقترب من أرضها يرسلهم المؤدب ينشرون الخبر في جميع الأحياء فيهب الرجال كالأسود يحملون معهم السلاح والعتاد لخوض المعارك الدامية ضد العدو المهاجم فيكتسبون النصر ويستشهدون في سبيل حماية دينهم وأرضهم لأن الجزيرة لم تكن لها حامية تدافع عنها فسكان الجزيرة كلهم جنود متطوعون لحماية بلادهم أما إذا هاجمهم العدو ليلا فان المرابطين يستعدون للقتال في جميع الجهات وكانت وسيلة الاتصال بين المساجد التي على السواحل هي إشعال النار في إشارة بينهم على قدوم العدو فتهب جميع الجهات لنجدة هذه المساجد وكان العلماء يقومون بزيارتها ويتفقدون المرابطين ويمدونهم بالمال والعتاد ويقومون بإصلاحها ورعايتها وصيانتها وكانوا لا يغفلون عن زيارتها في كل شهر واستمر العمل إلى القرن الحادي عشر في عهد الشيخ أبي زيد بن أبي نوح الصدغياني (القرن 11هـ/17م) ([273]).

وعلق الشيخ سالم بن يعقوب عن دور المساجد بقوله: "وكان القصد من هذه الزيارة لمساجد الشطوط خفر سواحل الجزيرة وقد بنيت تلك المساجد الساحلية قصد إقامة المرابطين لئلا يهاجمهم العدو فجأة وكثيرا ما يهاجمهم ليلا، فأصبحوا أمام أمر واقع".

يبلغ عدد هذه المراكز أكثر من خمسة وعشرين أكثرها مساجد لتأدية فريضة الصلاة فيها. وكان الغرض من زيارة العلماء لهذه المراكز تفقد الخفراء والمرابطين وتشجيعهم وكانوا يصلون في كل مسجد ما شاءوا من النوافل ثم ينتقلون وهم على الدواب.

---

[273])- رسالة الحيلاتي ص34

برامج الدراسة في مساجد الجزيرة

لقد اهتم نظام العزابة بالعلم ويرى أنه فريضة على كل مسلم ومسلمة لذا كان اهتمامه به عظيما فأنشأ مدراس في كامل الجزيرة بلغت عشرين مدرسة. ويشترط في دخولها حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا مع السيرة الحسنة. يقول ابن تعاريت([274]) "عقيدة التوحيد المعروفة بالعقيدة يبتدئون بها في تعليم التلاميذ لمن أراد منهم أن يستمر في قراءة التوحيد والفقه في جربة."

وكتاب العقيدة هو متن في أصول الدين به مائتا سطر منسوب إلى العلامة الشيخ أبي حفص عمر بن جميع الذي تولى إبداله من لسان البربرية إلى لسان العربية وهو المعتمد كذلك في مدارس نفوسة ومدارس وادي ميزاب وتشتمل عقيدة التوحيد على ما لا يسع الناس جهله من مسائل التوحيد والتاريخ ومهمات المسائل التي يجب أن يتعلمها كل مبتدئ حتى يكون آخذا بقسط من مسائل الدين ومن الكتب المعتمدة في الفقه نذكر ديوان العزابة وشرح القصيدة الحائية للشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي وهو من علماء جبل نفوسة في النصف الأول من القرن السابع هـ/الثالث عشر م.

أما في أصول الفقه فيدرس الطلبة كتاب العدل والإنصاف للشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني وفي أصول الدين يدرّس كتاب التحف للشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي المتوفي سنة 471هـ/1078-1079م ومتن النونية لأبي نصر الملوشائي.

واهتمت المدارس العلمية المنتشرة بالجزيرة بدراسة النحو واللغة وعلم الديانات ويذكر الشيخ عمر بن سعيد بن محمد بن زكرياء في رسالة وجهها إلى الإمام بليعرب بن سلطان ابن يوسف بن مالك إمام عمان (1091-1104هـ) /(1680-1681) إلى (1692-1693م) «ومعهم من مدارس العلم ما يزيد على العشرين كل يعلم قدر علمه: منهم من اقتصر على النحو واللغة وعلم الديانات ومنهم من تبحر في النحو واللغة والصرف والحساب والفروض الشرعية والعروض الشعرية وغيرها..."

وبالنسبة لتنظيم أوقات الدراسة يذكر الأستاذ فرحات الجعبيري([275]):"لم أعثر على وثيقة تتحدث عن هذا التنظيم بجربة، لكن وجدت وثيقة في كتاب السير فصلت الحديث في هذا الموضوع عن أحد علماء جبل نفوسة والشبه بين الموطنين كبير... هذا النظام قد طبقه الشيخ أبو زكرياء يحي بن زكرياء النفوسي المتوفي سنة 874هـ/1469-1470م وهو بمثابة جدول أوقات العمل:

جدول أوقات الدروس الصيفية

تنطلق من صلاة الصبح إلى طلوع الشمس وتخصص لقراءة القرآن الكريم جماعيا ثم من الشروق إلى الضحى مطالعة بعدها استراحة قصيرة وصلاة النافلة. ومن بعد صلاة الضحى إلى الغداء كتابة القرآن على الألواح وتصحيحها وحفظها ثم حصة في علم الحساب والفرائض تعقبها حصة استراحة حتى صلاة الظهر تستأنف بعدها دروس الفقه والأصول حتى صلاة العصر التي تعقبها استراحة حتى صلاة المغرب. أما الفترة ما بين صلاة المغرب والعشاء

---

[274])- رسالة بن تعاريت ص43

[275])- نظام العزابة عند الإباضية الوهبية ص255-256للأستاذ فرحات الجعبيري.

فهي مخصصة لختمة القرآن وقد يرجع بعض الطلبة بعد صلاة العشاء للنظر في الفرائض أو غيرها ثم النوم.

جدول أوقات الدروس الشتوية

فهي تخضع لنفس النظام عدا بعض التغيير الطفيف حيث يتم تفسير القرآن الكريم من شروق الشمس إلى الضحى وتكون دروس ما بعد العشاء في التفسير.

على هذه الوتيرة يقضي الطالب عدة سنوات يغترف من مناهل العلم ليتأهل للتدريس أو القضاء أو الإشهاد. إلى جانب هذا البرنامج التعليمي تنظم المدارس رحلات لفائدة الطلبة في نطاق التبادل بينها لتدعيم الروابط والاستفادة من الخبرات كل ذلك تحت مراقبة العرفاء الذين يتولون تربية الطلبة ومحاسبتهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة. ولتأطير هؤلاء الطلبة يقع اختيار المدرسين من طرف هيئة العزابة ويكون المدرسون عادة من كبار الطلبة النجباء المتخرجين من نفس المدرسة أو غيرها. وقد يضطرون إلى استجلاب بعض المدرسين من مواطن الإباضية وهو ما حصل للشيخ إسماعيل الجيطالي في القرن الثّامن هـ/ الرابع عشر م، والشيخ سعيد بن عيسى الباروني في القرن 13هـ/19م حيث استدعيا من جبل نفوسة وللشيخ يوسف المصعبي في القرن الثاني عشر هـ/الثامن عشر م حيث استدعي من وادي ميزاب للتدريس في الجامع الكبير بالحشان.

تتولى هذه المدارس العلمية الإنفاق على الطلبة والمدرسين من أموال الأوقاف المحبسة عليها. لقد كانت لمساجد الجزيرة أوقاف طائلة([276]) تشتمل على أشجار الزيتون والنخيل والعقارات كأفران الخبز والحمامات والفنادق والدكاكين. وكان لكل مسجد وكيل أوقاف يتولى الصيانة والإنفاق على مصالح الجامع أو الجماعة التي خصص لها الوقف من إطعام الطلبة وأجرة المؤذن وإمام الصلاة وإطعام الغرباء وخاصة في شهر رمضان المعظم.

حدثني الوالد الشيخ أمحمد بن يوسف الباروني رحمه الله أنه لما كان طالبا بالجامع الكبير يتولى المؤدب توزيع التمر على الطلبة بعد حفظ الألواح كما يتولى وكيل الجامع الكبير من أولاد أبي مسور تدبير أمر الطلبة الغرباء وتوزيع مقادير من الزيت والنقود عليهم في كل شهر.

وقد عثرت على وثيقة بخط جدي الشيخ يوسف بن علي الباروني المدرس بالجامع الكبير ذكر فيها أسماء الطلبة وبعض العائلات التي توزع عليها الزكاة والصدقات من أموال الأغنياء.

ويروي سلامة الجناوني عن شيخه يونس بن تعاريت (القرن العاشر هـ- السادس عشر م) في شأن الأوقاف ما يلي: "وقال لنا فيما تأكل الطلبة من مال المسجد، أما التمر والعنب فجائز وأما الزيت فأنهم يأخذون منه ما يحتاجون إليه وهو ما يراه أهل الصلاح."

بقي أن نشير إلى أن المدرسين الأثرياء منهم يعيشون على نفقاتهم الخاصة أما الفقراء فانهم يعتمدون على ما يخصص لهم من الأوقاف وعلى إحسان المحسنين.

---

[276])- حسب إحصائيات أملاك الدولة. أوقاف مساجد جربة تملك هذه المساجد أربعين ألف أصل زيتون عدى النخيل والفنادق والدكاكين داخل الجزيرة وخارجها.

مصـــادر البحـــث

1. الشماخي (أبو العباس أحمد) (928هـ/1522م)
كتاب السير ط حجرية, القاهرة.1301هـ.600صفحة
2. – الباروني (سليمان بن عبد الله) (1359هـ/1940م)
كتاب الأزهار الرياضية في أيمة وملوك الإباضية.-البارونية. القاهرة .د.ت.ج2: 311 صفحة
3. ابن سلام (الإباضي) (ق 3هـ/9م)
الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية أو شرائع الإسلام, تحقيق د.ق شقارتز
وسالم بن يعقوب.-دار اقرأ.182ص.05هـ/1985م.182ص.
4. معمر (علي يحي) (1401هـ/ 1980م)
- ال220ص. في موكب التاريخ, الحلقة الأولى: نشأة الإباضية 163صفحة, الحلقة الثانية:الإباضية في ليبيا ط 1 مكتبة وهبة 1384هـ.قسم1: 220ص .قسم2: 1386هـ:حلقة الثالثة: الإباضية في تونس.بيروت 1386هـ:460 ص.الحلقة الرابعة: الإباضية بالجزائر, 1399هـ/1979م به 632 ص.
- الإباضيةالعرب.الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث.494 ص.مطابع سجل العرب.ط1 1396هـ/1976م
5. الدكتور خليفات (عوض محمد) الأصول التاريخية للفرقة الإباضية عمان الأردن.
6– البرادي (أبو القاسم بن إبراهيم)8هـ/14م
كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطبقات (الدرجيني) ط حجرية: القاهرة 1302هـ /1885م
7. أبو الربيع سليمان الوسياني (ق6هـ/12م)
سير الوسياني.خ, مصورة بالبارونية.نسخة مخطوطة.هـ/1656م بسطرا, ص بكل منها 35 سطرا, 12.5/17.5 صم مخطوط.
8. كتاب كشف الغمة فيما تشاجرت به الأمة للأهل عمان.به 235ص.15/21صم مخطوط بالبارونية رقم 167
9 الجيطالي (إسماعيل) (750هـ/1349م)
قناطر الخيرات, حققه وعلق عليه عمرو خليفة النامي, القسم الأول يحتوي على قنطرتي الإيمان والعلم, ط1 ربيع الأول 1385هـ/يولية 1965م.مطبعة الاستقلال الكبرى, متبة وهبة, القاهرة, به 406ص.ويضم 3 أجزاء في الفقه والأدب
10. الجعبيري (فرحات)
نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة.-المطبعة العصرية تونس 1975.وزارة الشؤون الثقافية, المعهد القومي للآثار والفنون 387ص.
11. الباروني (عبد الله بن يحي النفوسي). (1331هـ/1913م)
- رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين, ألفها 1290هـ/1873م.محلاة ببعض كلمات كالحاشية لا تخلوا من فائدة. حررها ابن المؤلف رحمه الله سليمان باشا الباروني.56 صفحة.
-ديوان الشيخ سليمان باشا الباروني
12. ابن أبي بكر (أبو زكرياء يحي) (ت 471هـ).كتاب سير الأئمة وأخبارهم – تحقيق إسماعيل العربي, إصدارات المكتبة الوطنية الجزائر, 1979م.
13- باجية(صالح) (معاصر)

- الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى, شهادة كفاءة في البحث العلمي بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ط 1. دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع, تونس 1396هـ/1976م, 283ص.
14. الدرجيني (احمد بن سعيد)(670هـ/1271م):
طبقات المشائخ بالمغرب.حققه وقام بطبعه إبراهيم طلّاي, مطبعة البعث.قسنطينة, الجزائر. ج 1:208ص, ج 2:544ص
15. ابن يوسف (سلبمان بن داود) (معاصر)
-ثورة أبي يزيد , جهاد لإعلاء كلمة الله.-دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة, الجزائر ط1 1402هـ/1981م.-105ص
16. الحيلاتي(سليمان بن أحمد)(1099هـ/1688م):
علماء جربة المسمى رسائل الحيلاتي الجربي.نسخة من نص اصلي كتبت بخط حديث بالمكتبة البارونية بجربة
17- التعاريتي (سعيد) أو بن تعاريت (1355هـ/1936م):
المسلك المحمود في معرفة الردود-ط حجرية بتونس 1321هـ, به 365ص.
18- التعاريتي(سعيد بن الحاج علي) وفاته:1289هـ/1872م
رسالة في تراجم علماء الجزيرة وذكر أمرائها من بني سمومن وبني الجلود, فرغ من تأليفها 1274هـ /1864م, مخطوط بمكتبة الشيخ سالم بن يعقوب, تقع في كراسين.
19 - الباروني(عمر) (معاصر)
كتاب الأسبان وفرسان القديس يوحنا.
19. رسالة سلامة الجناوي - مخطوط.
20. كتاب معجم الأعلام - أمين سلامة.
21- محمد أبو راس الجربي ق 13هـ/19م
مؤنس الأحبالرسمية, ر جربة - تحقيق محمد المرزوقي.ط المطبعة الرسمية, تونس 1960
22. دائرة المعارف الإسلامية:ط العربية والفرنسية: فصل جربة.
23. فلسطين عبر التاريخ - محمد فنطر - طبع ونشر مجلة الشباب.
24. تاريخ القرون الأولى - صادق الصدقاوي.
25. يهود المغرب - الدكتور محمد الحبيب بن خوجة.
26. أحمد بن أبي الضّياف:(1802- 1874)
إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان: شرع في تأليفه يوم 18 رجب 1278هـ/19 جانفي 1862م.
27. رحلة التيجاني.
28. الكعاك(عثمان):
موجز التاريخ العام للجزائر, مطبعة العرب, تونس 1925م.
29. لوفيسكي. رسالة الإباضية بتونس في القرون الوسطى.
30. التفكير الإسلامي - الدكتور عبد الحليم.
31. ابن عذارى المراكشي(ت في القرن 7هـ):
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب, تحقيق ج.س.كولان, و.ل.بروفنصال. دار الثقافة بيروت 1948م.
32. - محمدالمرزوقي:
قابس جنة الدنيا.ط القاهرة .1962
33. ابن خلدون - ط الجزائر.
34. كتاب معالم الإيمان.
35. كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة حوادث الزمان - مخطوط - الجزائر

36. حسن حسني عبد الوهاب(1968):
خلاصة تاريخ تونس – الدار التونسية للنشر, المطبعة الرسمبة التونسية, 1968م.246ص
37. تاريخ الفتح العربي في ليبيا - الزاوي.
38. السالمي (عبد الله)(1332هـ/1914م)
- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان,
تصحيح وتعليق أبي إسحاق إبراهيم طفيش ج 1 به 352ص, ج2 به 316ص.مطبعة الشباب, القاهرة 1350هـ
39. المهدية عبر التاريخ - الطيب الفقيه احمد - ط دار العلوم بتونس.
40. حرب 300 سنة بين الجزائر وأسبانيا - أحمد توفيق المدني - الجزائر.
41. طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطة بقلم " دابنوري ويولسي " - ترجمة محمد خليفة التلبسن - ط ليبيا 1969.
42. الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية - تأليف عزيز سامع - ترجمة عبد السلام الأدهم بيروت 1929.
43. كتاب طرابلس الغرب - راسم راشد.
44. كتاب المنهل العذب - أحمد بك النائب.
45. محاضرة رشيد عزوز حول تاريخ جربة سنة 1982.
46. محمد علي دبوز
تاريخ المغرب العربي.3اجزاء.ط1 دار إحياء الكتب العربية.1383-1384هـ/1963-1964م
47. كتاب علماء إفريقيا - محمد أحمد التميمي.
48. كتاب رياض النفوس - مخطوط.
49. كتاب الكامل لابن الأثير
50. الزركلي, خير الدين, الأعلام, بيروت .1970
51. ابن الصغير المالكي (ق 3هـ/9م)
50ص. الدولة الرستمية بتاهرت, إعادة الطبعة التي ظهرت ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد بالجزائر 1905.منشورات الجامعة التونسية.كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس 1976.50ص .
52. المجدوب (عبد العزيز).
كتاب الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية.تونس.التونسية للنشر.تونس.1395هـ/1975م. 316صفحة.
53. الإسلام بلا مذاهب - مصطفى شكعة
54. ابن خلدون (عبد الرحمان)
المقدمة و كتاب العبر, ط بيروت 1967

فهــرس المــوضــوعــات

الموضوع **الصفحة**

الإهـــداء..... 1
تقديم الكتاب..... 2
مقدمــة الكتـــاب..... 3
الحلقة الأولى 5
تمهيـــد 5
السكـــان الأصليون بحربة..... 6
جـــربـــــة فـــي العهـــد الفينيقي..... 6
جـــربـــة فـــي العهـــد الـرومـــاني 7
جـــربـــة فـــي عهـــد الـونـــدال والبيزنطيين..... 9
سبـــب نـــزول اليهـــود إلـــى جـــربـــة.....10
الفتـــح الإســـلامـــي لجـــزيـــرة جـــربـــة.....12
بـــدايـــة الخـــلافـــات السيـــاسيـــة بالمشـــرق العـــربـــي.....12
دعـــاة الإباضية يـــؤسســون المدارس فـــي المغرب العـربـــي 16
أول إمـــامـــة بطـــرابلـــس 16
إمـــامـــة أبـــي الخطـــاب عبـــد الأعلـــى بـــن السمـــح المعـــافـــري.....17
تـــأسيـــس الإمـــامـــة بالجـــزائـــر 18
رحلـــة الإمـــام عبـــد الـوهـــاب إلـــى الجنـــوب التـــونسـي 19
وجبل نفوسة 19
خلف بن السمح يثير الفتن بجبل نفوسة 20
ولاة الـدولـــة الـرستميـــة فـي جهـــة الجنـــوب 21
انقـــراض الـــدولـــة الـــرستميـــة.....22
جـربـــة فـي عهـــد الـــدولـــة الـــرستميـــة 22
دخـــول المـــذهـب الإباضي إلـــى تـــونـــس.....22
الـوضـع السيـــاســي عند قـدوم أبـــي مسـور إلـى جـربـــة 24
الـدولـــة الفـاطميـــة تـوجّـه أسطـولهـــا إلـــى جـربـــة.....25
ثـورة أبـــي يـزيـــد مخلـــد بـن كيـــداد النكـــاري علـــى الفـاطميـــن.....25
دولـــة أبـــي يـزيـد مخلـــد بـن كيـــداد 27
أبـو يـــزيـــد النكـــاري يحتـل جـربـــة 27
استمرار الفتن أيام الدولة الصنهاجية.....28
احتـــلال المعـز بـن بـاديـس الصنهـــاجـي لجـربـــة 28

أسطـول الجـزيـرة يستعـد للـدفـاع.....29
نظــام العــزابــة فــي جـربــة.....30
هجــوم النــرمــان علــى جـربــة () 33
بــدايـــة الحــروب الصليبيـــة.....33
بــدايــة الحمــلات الصليبيــة على جـربــة.....34
اجتمـــاع عــزابـــة جـربـــة 34
دخـول جـربــة تحـت حكم المـوحـديـن 35
بنـــاء حصــن القشتيــل ().....35
أبنــاء أسـرة السمـومنــي يتـولــون الحكـم علـى جـربــة.....37
ثــورة أحمــد بــن مكــي علــى الـدولــة الحفصيــة 37
جربـة فـي عهد الأمير أبـي فـارس عبـد العزيـز الحفصــي.....38
بنــاء القنطـرة البحـريــة بجـربـــة 39
القـرصنـة فـي البحـر الأبيض المتـوسـط.....40
قــوة الجيــش الأسباني تتحطـم علــى سواحـل جـربـة 41
حملــة إسبانية فــاشلـــة ضـد جزيـرة قرقنـــة 43
أسـرة عـروج وخيـر الـدين بربـــروس 43
ظهـور درغوث باشا فـي البحـر الأبيض المتوسـط.....44
جـربـــة فـي عهد التبعيـــة التـركيـة 47
درغـوث بــاشــا يلحـق جربــة بحكمــه 49
جـربــة فـي عهد أسـرة بـن جلـود.....50
جـربـــة فـي عهد أسـرة بـن عيــاد.....51
الحـــاج علــي الجزيــري بجــربـــة.....52
جـربــة تحت حكـم الـدولــة الحسينيـــة.....52
المـــــلاحـــــــق.....53
أضـرحــة مشــاهيـر علمــاء جـــربــة 53
بنـــاء الحصـــن الكبيـر فـي جـربــة.....55
شكل الحصن الكبير.....56
أبـــراج الجـــزيـــرة.....57
المســاجـد الســاحليـــة بجـزيـرة جـربــة.....58
أبـطال جـربـــة يقـــاومـون الحمـايــة الفـرنسيــة.....60
الأوبئـــة التـــي أصـــابـت الجـزيـرة.....60
جـــربـــة فـــي عهـد الاستقلال.....62
الميـــدان الصحـــي.....63

ميــدان النقـــل.....63
الطـرقــات التــي أحــدثت بالجــزيــرة.....63
الصنــاعــات التقليـــديـــة بجــربـــة.....63
البلـــديـــة بجــزيـــرة جــربــة.....64
الحلقة الثانية.....68
الحياة الثقافية في جزيرة جربة.....68
حياة أبي مسور.....69
رحلة أبي مسور إلى جربة.....69
بناء الجامع الكبير.....71
أبو زكرياء فصيل ابن ابي مسور.....73
مواقف فصيل اليهراسني السياسية.....74
شهادة أهل العلم في فضل ابي زكرياء فصيل.....76
ورع أبي زكرياء فصيل.....76
خشوعه في الصلاة.....76
تلاميذ زكرياء فصيل اليهراسني.....76
أبو زكرياء فصيل يبعث بابنيه إلى تلميذه محمد بن بكر.....76
نشاط زكرياء فصيل العلمي.....77
وفاته.....77
الشيخ أبو صالح بكر بن قاسم اليهراسني.....78
انتقال أبي صالح اليهراسني إلى جربة.....78
أبو صالح اليهراسني يتولى الحكم في جربة.....78
اجتهاد أبي صالح اليهراسني.....79
سفره إلى جبل دمر.....79
زكرياء وأخوه يونس ابناء فصيل بن أبي مسور.....80
أبو يحي زكرياء بن صالح اليهراسني.....81
أبو يحي فصيل بن مسعود اليهراسني.....83
شيوخ أبي عمرو النميلي.....84
أبو محمد عبد الله بن مانوح اللمائي.....85
أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي الدمري.....86
جابر بن سدرمام الجربي.....87
أبو مجبر توزبن وكباب بن مصلح.....87
أبو يحي زكرياء بن جرناز النفوسي.....87
تعريف موجز لكتاب ديوان الأشياخ الذي ألف في غار مجماج.....88

أبو الربيع سليمان بن علي بن يخلف المزاتي.....90
حكم أبي الربيع سليمان بن علي بن يخلف المزاتي 90
آراءه السياسية 91
الإمام إسماعيل الجيطالي 92
مؤلفاته:.....94
الشيخ أبو قاسم بن القاضي اليديسي.....96
الشيخ أبو قاسم البرادي 96
مؤلفات البرادي.....97
تلاميذ قاسم البرادي.....98
أبو موسى عيسى الرباني الزواغي.....98
الشيخ سليمان المدني البازيمي.....99
الشيخ يوسف بن أبي مسور.....99
العلامة الشيخ يوسف المصعبي 101
تلاميذ الشيخ يوسف المصعبي 103
مؤلفات الشيخ يوسف المصعبي.....103
سفر الشيخ يوسف إلى تونس.....104
رسالة الشيخ يوسف إلى أحمد باشا بن يوسف القرمانلي التركي.....105
الشيخ أبو عبد الله أمحمد بن يوسف المصعبي.....107
تلاميذه.....108
مؤلفات الشيخ أمحمد المصعبي 108
الشيخ أبو الحسن علي بن يوسف المصعبي 109
الشيخ أبو الربيع سليمان بن محمد الشماخي.....109
الشيخ أبو عثمان سعيد بن عيسى الباروني 110
تلاميذ الشيخ سعيد الباروني.....110
مناظرة الشيخ سعيد بن عيسى الباروني مع الشيخ أحمد السنّاري.....113
مكتبة الشيخ سعيد الباروني.....114
نشاط المكتبة 115
الشيخ علي بن سعيد الباروني 116
تلاميذه.....116
الشيخ يوسف بن علي الباروني.....118
مدرسة جامع وادي الزبيب 119
الشيخ يعيش بن موسى الزواغي الجربي 120
الشيخ عبد الرحمان بن أحمد الحيلاتي 123

تلاميذه 123
الشيخ أبو عثمان سعيد بن محمد التغزويسني 124
الشيخ أبو عبدالله محمد ابن أبي القاسم البرادي 124
تلاميذه 126
الشيخ عبدالله بن أبي قاسم البرادي 126
أبو الربيع سليمان بن أحمد الحيلاتي 126
مؤلفاته 126
مدرسة جامع تاجديت 128
الشيخ أبو النجاة يونس التعريتي 128
تلاميذه 129
توليه رئاسة العزابة 129
مؤلفات الشيخ يونس التعاريتي 130
الشيخ قاسم بن سعيد اليونسي 131
مدرسة جامع لاكين بحومة غيزن 133
الشيخ عبدالله بن سعيد السدويكشي 133
الشيخ محمد بن عمر بن أحمد بن أبي ستة المشهور بالمحشّي 135
مؤلفاته 136
الشيخ أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي 138
مؤلفات الشيخ داود التلاتي 139
مدرسة جامع ليمس بحومة آجيم 140
الشيخ سعيد بن يحي الجادوي 141
سعيد بن عبدالله الجادوي 141
آثاره العلمية 141
الشيخ عبدالله بن سعيد بن يحي الجادوي 143
مؤلفاته 143
سعيد بن عبدالله بن سعيد بن يحي الجادوي 143
الشيخ سليمان الجادوي 144
سليمان الفراتي الخيري الآجيمي 147
الشيخ رمضان بن يحي الليني 147
تلاميذه 148
الشيخ أحمد بن سعيد بن عبدالواحد الشماخي 148
مؤلفات الشماخي 149
الشيخ قاسم بن سعيد الشماخي 150

مدرسة تيواجن..... 151
الشيخ عمر بن جميع 151
الشيخ عبدالله بن سعيد الصدغياني 152
الشيخ زكرياء بن أفلح الصدغياني 153
أبو النماء زايد بن عمر اللوغ الصدغياني 154
جامع بوليمان بصدغيان 155
الشيخ موسى بن الشيخ علي الباروني..... 156
الشيخ سعيد بن تعاريت 156
الشيخ أمحمد بن تعاريت..... 157
جامع الباسي بوالغ 158
الشيخ عمر بن مرزوق 159
الشيخ عمر العوام 161
تلاميذه..... 162
مدرسة جامع القائد بصدغيان..... 162
الشيخ قاسم بن أحمد المثني 163
مدرسة قلالة 163
الشيخ أحمد بن رمضان الغول..... 163
الشيخ سعيد بن الحاج علي بن سعيد بن علي بن حمزة بن تعاريت 163
حكم في الطلاق..... 164
حكم في النفقة 164
الشيخ سليمان بن أمحمد الباروني 165
الشيخ أمحمد بن سليمان الباروني 166
الشيخ علي بن أمحمد بن سليمان الباروني..... 166
علماء أسرة البغطوري..... 166
مقرين بن محمد البغطوري..... 166
الشيخ أحمد بن عمر بن أحمد البغطوري 166
الشيخ عمر بن الشيخ أحمد البغطوري 167
الشيخ يحي بن يعقوب اليزمرتني..... 167
أسرة الويراني 168
الشيخ عمر بن علي الويراني..... 168
الشيخ يونس المثني..... 168
مدرسة جامع بن يعلى..... 170
الشيخ علي بن عمر بن يعلى 170

الشيخ صالح بن سعيد بن عيسى الباروني 171
مدرسة الشيخ إبراهيم الجمني 171
نشأته وتكوينه العلمي 172
انتصابه بالمدرسة المرادية 172
دور الشيخ بالمدرسة 172
خصاله 173
العراقيل التي واجهته 173
الملاحق 174
علاقة جربة بجبل نفوسة 174
الصلة بين جربة ووادي ميزاب 175
علاقة جربة بوارجلان 177
علاقة جربة بأريغ 177
الصلة بين جربة وعمان 178
اللقاء في موسم الحج 179
دور المساجد في التاريخ الإسلامي 181
دور المساجد الساحلية 183
مسجد سيدي زايد 183
برامج الدراسة في مساجد الجزيرة 184
جدول أوقات الدروس الصيفية 184
جدول أوقات الدروس الشتوية 185
مصـــادر البحــث 186
فهــرس المــوضــوعــات 189

يوسف بن امحمد البارونـي

يوسف بن امحمد بن يوسف بن علي بن سعيد بن عيسى الباروني . ولد بجزيرة جربة في 08 أكتوبر 1929 بجربة، زاول تعليمه بكتاب جامع ابي مسور يسجا اليهراسني بالحشان و بالمدرسة الابتدائية بمليتة بجربة ثم التحق بجامع الزيتونة بالعاصمة التونسية سنة 1947 فتحصل على شهادة الأهلية سنة 1951 وشهادة التطويع.
ثمّ التحق بالتدريس في 10 نوفمبر1959 وعمل بالمدارس الابتدائية بكل من جرجيس وجربة حتى سنة احالته على التقاعد سنة 1989 كما عمل في مجال الوعظ والإرشاد في المناسبات الدينية والأفراح والمآتم
كان شغوفا بدراسة التاريخ ومن ابرز الناشطين في البحث عن تاريخ الجزيرة صحبة الشيخ سالم بن يعقوب والشيخ قاسم قوجة وغيرهم.
اعتنى بمكتبة اجداده الغنية بالمخطوطات ،فبنى لها مقرا جديدا سنة 1966 واصبحت قبلة للباحثين والدارسين من مختلف الجامعات العربية والغربية. سعى الى تنميتها بشراء عدد كبير من الكتب المطبوعة من معارض الكتاب التي انتظمت بالعاصمة التونسية.
قام بزيارة الجماهرية العربية الليبية في شهر اوت وسبتمبر سنة 1969 في اطار البحث عن وثائق لكتابة تاريخ جزيرة جربة كما قام بزيارة قرى وادي ميزاب بالجنوب الجزائري واطلع على النهضة العلمية بمدرسة الحياة بالقرارة في 4 ذو القعدة 1390هـ الموافق ل 31 ديسمبر 1971 كما كان له شرف المشاركة في ندوة الفقه الإسلامي التي انتظمت بجامعة السلطان قابوس من 22 الى 26 شعبان 1408الموافق ل9 الى 13 افريل 1988 وختمها باداء مناسك العمرة من 17 الى 22 افريل 1988

وتوفي رحمه الله في 15 جانفي1997 ودفن بمقبرة آل الباروني بالجامع الكبير، المقبرة التي ضمت قبله خيرة فقهاء جربة عبر العصور من أمثال الشيخ إسماعيل الجيطالي والشيخ يوسف المصعبي والشيخ سعيد بن عيسى الباروني مؤسس المكتبة البارونية